وزارة التعليـــم العالـــي والبحـث العلـــمي

جامعة أحمد دراية – أدرار –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإسلامية

الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية(ت546هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز) من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام.

–جمعا ودراسة–

مـذكرة مقدمة لنيل شهـادة الماجستير تخصص دراسـات قرآنية

إعداد الطالب: بوعكاز علي

تحت إشراف: أد. محمد دباغ

لجنـة المناقشـة

الاسم واللقب	الرتبـة	الجـامعة	الصفـة
أد. رابح دفـرور	أستـاذ	جامعة أحمد دراية – أدرار–	الرئيس
أد. محمد دباغ	أستـاذ	جامعة أحمد دراية – أدرار–	المقرر (المشرف)
د. كرومي عبد الحميد	أستاذ محاضر"أ"	جامعة أحمد دراية – أدرار–	مناقشا
د. بن خويا إدريس	أستاذ محاضر"أ"	جامعة أحمد دراية – أدرار–	مناقشا

السنة الجامعية :1437–1438هـ/2016–2017م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهـــداء

إلى والديَّ الكريمين اللذين ربياني صغيرا وضحَّيا من أجلي بكل ما يملكان من أجل حياتي ونجاحي... جمعني الله وإياهما في جنَّات النعيم وأحياهما وأدام حياتهما في طاعته...

إلى زوجتي الكريمة: أم فاطمة رمز الوفاء... وابنتيَّ: فاطمة ومريم...

إلى جميع إخوتي وأخواتي....

إلى كل من ساعدني في إخـــراج هذه المـذكرة

أهدي هذا العمل

شـــــــــكر

أحمد الله تعالى وأشكره أولا وآخرا وظاهرا وباطنا فهو أهل الحمد والثناء على أن وفقني لإنجاز هذا البحث...

وعملا بقول سيد الأنام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد دباغ الذي أشرف على بحثي وأحسن الإشراف ولم يبخل عليَّ بنصحه وتوجيهه فجزاه الله خيرا...

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين فرَّغوا نصيبا من جهدهم لقراءة البحث وتصويب ما فيه من أخطاء والإرشاد إلى الصواب فجزاهم الله خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناتهم...

كما أشكر عمادة الكلية وكل الطاقم الإداري من عمال وأساتذة الذين رافقوا البحث إداريا فجزاهم الله خيرا...

وأشكر كل من أعانني على إنجاز هذا البحث سواء بنصيحة أو بفكرة أو بكتاب أو بدعاء أو إرشاد إلى الصواب.

مقدمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ أما بعد:

إنَّ المتأمِّل في علم التفسير عموما، و فيما تركه علماء التفسير قديما وحديثا على وجه الخصوص من تصانيفَ ومؤلَّفات على اختلافٍ في مناهجها وطُرُقِ مؤلِّفيها في تفسير القرآن الكريم، من تفسير بالأثر وتفسير بالرأي، أو بتحكيم هؤلاء العلماء لِمَا نبغوا فيه من فنون في شتى العلوم الشرعية على تفسير كلام الله عز وجل، توظيفًا واستنباطا؛ فخرج التفسير اللغوي، والفقهي، والعلمي، وتفسيرٌ بالرأي المحمود وبالرأي المذموم، وفي خِضَمِّ هذا كلِّه تضاربت أقوال المفسِّرين وآراؤهم فيما تطرَّقوا له من تفسير للآيات، وتعدَّدَت الأقوال في الآية الواحدة، واجتمع في كتب التفسير الاختلافُ بنوعيه، اختلاف التنوُّع واختلاف التضاد أحيانا أخرى فيما تطرق له علماء التفسير من تأويلٍ لآيات القرآن، سواء في العقائد، أو الأحكام، أو المعاملات، أو الأحوال الشخصية، ولكن لم تَخْلُ ساحة التفسير من علماءَ جمعوا ما اخْتُلِفَ فيه من أقوال من لَدُن الصحابة والتابعين إلى مَنْ بعدهم، و نَظَرُوا فيها، سالكين في ذلك مسلك الاستنباط والاجتهاد، ركيزتهم في ذلك العقل الصحيح والنقل الصحيح الصريح، مستبصرين بنصوص القرآن والسنة، ومرجِّحين في الأخير ما يظهر لهم أنه صواب في الآية المُتَنَازَعِ في تأويلها؛ وهذا ما يُعْرَفُ عند المفَسِّرين بالترجيح المبنيّ على القواعد الصحيحة المعروفة بقواعد الترجيح، ومن بين القواعد المستعملة في الترجيح؛ بل من أهمِّها: الترجح بدلالة السياق، وليست هذه الدراسة في صدد التنظير لهذه الدّلالة فقدُ نُظِّر لها وقُتِلت بحثا كما يقال، و إنما هي محاولةٌ في التطبيق؛ وذلك بجمع ما رجَّح به العلماء بين الأقوال في كتب التفسير بهذه الدلالة؛ ويكون بالعمل على تفسير ابن عطية الأندلسي (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**).

-مجال البحث:

هذا البحث يتناول في جانبه التطبيقي دلالة السياق بمعنى السباق واللحاق، وفي جانب الترجيح، تناول البحث جانب بيان الراجح من الأقوال والصحيح؛ ولا يتناول جانب التضعيف للأقوال وردِّها عند ابن عطيَّة بدلالة السياق.

-أهمية الموضوع:

إنَّ هذا الموضوع تتجلى أهميته في عدَّة جوانب:

-أولا: في متعَلَّقه، فهو يتعلق بدراسة القرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل وكتابه المبين وحبله المتين، وهو القول الفصل ليس بالهزل، والمشرب الصافي، والمنبع العذب للاستنباط والفقه والتأصيل، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي كما هو معلوم، فشرف العلم من شرف المعلوم.

-ثانيا: دراسة أصل أصيل من أصول علم التفسير، وهو السياق القرآني ذلك أنَّ القرآن نزل بلغة العرب، و لا يمكن استجلاء معاني المفردات والألفاظ وتراكيب الجمل العربية؛ إلا على ضوء سابق الكلام ولاحقه، والسياق أصل مطَّرد في كل آية من كتاب الله عز وجل كونُ القرآن الكريم بِنْيَةٌ واحدة في قمَّة الترابط والانسجام، ولا ريب أن كتاب الله عز و جل يُشَكِّل بآياته وسوره وحدة موضوعية مُعْجِزة، وما دلالة السياق إلا ذلك الدليل الواضح في بيان هذه الوحدة الموضوعية وذلك الاعجاز، فلا يمكن الاستغناء عنها طرفة عين في تفسير كلام الله عزَّ وجلَّ، وإلَّا وقع المفسِّرُ في الخبط والخلل.

-ثالثا: دراسة سِفْرٍ عظيم من أسفار علم التفسير، حَظِيَ المكانة العظمى بين علماء الشريعة الإسلامية وعلماء التفسير بشكل خاص، ألا و هو كتاب: (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي**)؛ هذا التفسير الذي كانت له المكانة العَلِيَّة عند العلماء؛ فقد عكفوا عليه استفادةً، واختصارا، واستمدادًا منه، وكذلك في إفراد رسائل في الكلام على ابن عطية ومنهجه الذي سار عليه

في التفسير؛ مِمَّا يجعل هذا الكتاب ذا أهمية، وينبغي أن يكون محلَّ اهتمام وعناية من طرف الدارسين والباحثين، وعموم المستفيدين في علم التفسير .

-أهــداف البــحـث:

إنَّ هدف الطالب من خلال هذا البحث هو:

1-العمل على إبراز أهمية دلالة السياق من الناحية الترجيحية من خلال كتاب تفسير (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) لابن عطية الأندلسي، ويُعَدُّ هذا العمل عملا تطبيقيًّا، ذلك أن الأعمال التطبيقية على كتب العلماء من المفسِّرين لاستخراج هذه الدلالات ودراستها وتحليلها؛ أضحى عملًا قلَّ الاعتناءُ به، رغم أهميته في بيان كيفية تعامل العلماء في تطبيق دلالة السياق في العمل الترجيحي.

2-لفت النظر إلى أن دلالة السياق والعناية بها سواء في الترجيح، أو بيان معاني الآيات ليس حِكرا على المُحْدَثين، و المعاصرين من المفسِّرين واللغويين وعموم المعتنين بهذه الدلالة، وإنما كانت عند قدماء العلماء من المفسِّرين وغيرهم، وببيان هذه الحقيقة ومن خلال هذا البحث يمكن الاسهام في سَدِّ تلك الفجوة الموجودة، والترابط المعدوم، بين ما كتبه الأقدمون، وما انتهجه المحْدَثون من مناهجَ في التفسير غيرَ آبهين بمناهج الأقدمين؛ بدعوى التخلُّف في الأسلوب وعدم صلاحيته للعصر الحديث، ودلالة السياق من أهم المصطلحات العصرية التي يدندن حولها المفسِّرون واللغويون والأدباء في العصر الحاضر، وهو ما أَصَّلَ له القدماء في فهم كتاب الله عز وجل، بَلْه في الترجيح بين أقاويل المفسرين الذي يُعَدُّ ذروة التطبيق للمنهج السياقي في بيان معاني كلام الله عز و جل، وهذا يجعلنا ندرك أنه من الخطأ الاستغناء عن الأصيل مما كتبه علماء التفسير، سواء التفسير بالأثر، أو التفسير بالرأي المحمود المبني على القواعد الصحيحة فينبغي الاستفادة منه وجعله قاعدةً للانطلاق في بيان معاني كلام الله عز وجل.

3-العمل على إبراز أهمية تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث يعتبر جمعُ هذا النوع من الترجيح الذي هو الترجيح بدلالة السياق، من أهم آليات هذا النوع من التفسير، وتزداد الحاجة إلى تناول هذا الموضوع؛

نظرا لافتقار الدراسات القرآنية لإفراد هذه الدلالات بالدراسة والبحث، لخدمة أشرف منهج في التفسير الذي هو تفسير القرآن بالقرآن.

4-محاولة الطالب حصر المواضع التي رجَّح فيها ابن عطية بين أقوال المفسرين بدلالة السياق، من بداية سورة البقرة إلى نهاية سورة الأنعام، ودراسة هذه الترجيحات ومناقشتها وإفرادها في بحث مستقل؛ وبالتالي الكشف عن مناهج المفسرين في ترجيحهم بين الأقوال التفسيرية بناء على دلالة السياق.

-أسباب اختيار الموضوع:

لقد اتجهت رغبة الطالب لاختيار هذا البحث نظرًا لتوافر عدة أسباب يمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية، وأخرى موضوعية:

1-الأسباب الذاتية:

أ-الرغبة في دراسة كتاب في التفسير دراسة متأنيَّةً؛ يتأتَّى من خلالها الوقوف على المعاني الدقيقة التي يوظِّفها العلماء لبيان المعنى المراد من كلام الله عز وجل، ومن جملتها دلالة السياق، ويعتبر تفسير ابن عطية من أهم كتب التفسير التي اعتنى فيها صاحبها بهذه الدلالة في الترجيح فاتجهت الرغبة لدراسته.

ب-محاولة اكتساب الملكة العلمية في علم التفسير واكتساب الخبرة في التعامل مع كُتُبِ التفسير التي ألَّفها القدماء؛ وذلك بمعرفة مناهجهم فيها، وطرق تعاملهم مع النص القرآني.

ج-التأصيل من أجل التمكُّن العلمي من جانب الترجيح، وهو الترجيح بين الأقاويل التفسيرية؛ حيث إنه أصبح من الأهمية بمكانٍ تحرير المقال فيما تضاربت فيه أقوال المفسرين، ذلك التضارب الذي اتَّخَذه بعض الباحثين من المستشرقين وغيرهم مطيَّةً للطعن في النص القرآني وقداسته.

2-**الأسباب الموضوعية:**

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت فيما يلي:

أ-الاعتناء بالقرآن الكريم وخدمته؛ ببيان دور السياق في الترجيح كآلية فعَّالة للفهم الصحيح، والمنهجُ الأمثل لتدبُّر كلام الله عزَّ وجل، وفهم معانيه، واستخراج حِكَمه وأحكامه.

ب-العمل على بيان معالم السياق القرآني؛ ببيان أهمَّيته، ودوره الترجيحي من خلال أبرز وأشهر مؤلفات علماء التفسير (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**).

ج-إفادة الباحثين في التأصيل لأهمِّ القواعد المنَظَّرة، من مصادرها الأصيلة، مما كتبه علماء التفسير، مشدودةً إلى الأصالة بحبال فولاذية؛ مما يجعل علم التفسير علما مُؤصَّلاً ومُقعَّدًا، قويةٌ قواعده في الفقه، والاستنباط.

-تحـديد الإشـكالية:

إنّ اختيار تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي جاء بناء على اعتناء هذا العَالِمِ الفذِّ –رحمه الله– في تفسيره بدلالة السياق إلى جانب ترجيح الأقوال بهذه الدلالة، وإبطال أقوال أخرى، وهو كغيره من العلماء القلائل الذين اعتنوا بهذه الدلالة في جانب الترجيح في تفاسيرهم، كابن جرير، وابن كثير، والطاهر ابن عاشور، ومحمد الأمين الشنقيطي، والشوكاني، وغيرهم، وحَصْرُ البحث في هذا الكتاب على موضوع دلالة السياق في جانبها الترجيحي، يجعل إشكالية البحث تتركز على هذا الموضوع الذي هو الترجيح بدلالة السياق؛ لبيان الراجح والصحيح من أقوال المفسِّرين ، مما يجعل الإشكالية تكون كالآتي :

إلى أي مدى يمكن لدلالة السياق أن تكون أداة فعَّالة في الترجيح بين أقوال المفسرين؟

وهل لعلماء التفسير الأوائل دور في التأصيل لهذه الدلالة في جانبها الترجيحي؟ وهل يمكن الاستغناء عن دلالة السياق في الترجيح أم أنها دلالة لها موقعها كمنهج متكامل لا محيد عنه في فهم النص القرآني؟.

كيف وظَّف ابن عطية هذه الدلالة في تفسيره للترجيح بين أقوال المفسرين؟ فهل كان منهجه في توظيفها وتطبيقها كمنهج من سبقه من المفسِّرين أم أن له منهجا مغايرًا ؟.

-الدراســات الســابقة:

من خلال عمليَّة البحث في المصادر والمراجع المتعلِّقة بالبحث تمَّ العثور على هذه الدراسات:

1-**السياق القرآني ودلالته على الترجيح في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور**، للباحث محمد ابن إبراهيم بن عبد الله الشمسان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى.

2-**السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، للباحث عبد الرحمان عبد الله سرور المطيري، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى.

3-دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي، دراسة موضوعية تحليلية للباحث: أحمد لافي فلاح المطيري، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية.

4-أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، للباحث: محمد بن عبد الله الربيعة، وهي رسالة دكتوراه مقدمه لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض.

5-نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، للباحث: المثنى عبد الفتاح محمود، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة اليرموك بالأردن.

6-أثر السياق في فهم النص القرآني (سورة النساء نموذجا)، للباحثة: مليط إلهام، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

7-السياق القرآني وأثره في توجيه معاني الآيات الإعجاز البياني: دراسة في رحاب التكرار، للباحث: بومدين هواري، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر 1.

8-السياق ودلالته في القصص القرآني،(قصة موسى عليه السلام-نموذجا) للباحثة علية بيبية، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

9-ترجيحات الإمام ابن عطية في تفسيره " المحرر الوجيز" دراسة تطبيقية على سورة يونس- عرضا ودراسة). الطالبة نورة بنت سالم المري، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة الملك فيصل السعودية.

10-ترجيحات ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: عرض ودراسة: (دراسة تطبيقية على سورة آل عمران) للباحث: خلود محمد بن عبد الرحمان الجعفري، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الملك فيصل.

فالدراسات **الثلاث الأولى** هي دراسات تطبيقية على بعض التفاسير، التحرير والتنوير لابن عاشور، تفسير ابن كثير، أضواء البيان للشنقيطي.

- **الدراسة الرابعة:** تطبيقية على سورتين من سور القرآن وهي الفاتحة والبقرة.
- **الدراسة الخامسة:** فهي دراسة نظرية تأصيلية للسياق
- **الدراسة السادسة:** دراسة تطبيقية على سورة النساء.
- **الدراسة السابعة:** تناولت السياق في موضوع الإعجاز البياني.

- **الدراسة الثامنة:** تناولت السياق كدراسة على موضوع القصص القرآني.
- **الدراسة التاسعة:** دراسة تطبيقية على سورة يونس.
- **الدراسة العاشرة:** دراسة تطبيقية على سورة آل عمران.

وقد جاءت هذه الرسالة كمشاركة في بناء هذا الصرح المبارك، ولكن في جانب دلالة السياق على الترجيح، وذلك بجمع ودراسة ما رجح به ابن عطية الأندلسي في كتابه (**المحرر الوجيز**) بدايةً من سورة البقرة إلى نهاية سورة الأنعام، فجاء عنوان البحث كالآتي:

الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز) من بداية سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام (جمعًا ودراسة).

-المنـهـج المتبع في البـحث:

من خلال ما سبق يمكن أن يكون المنهج المتبع في هذا البحث لدراسة موضوعه دراسةً تُلِمُّ بجوانبه كالآتي:

1-**المنهج الاستقرائي:** ويتجلى هذا عند تتبُّع واستقراء المسائل التي رجَّح فيها ابن عطية بدلالة السياق من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام، ولا أدَّعي الإحاطة بجميع المواضع التي رجَّح بها بهذه الدلالة إلا أنني أرجو أني قد تتبعت كثيرا منها.

2-**المنهج التحليلي:** وذلك بتحليل هذه المسائل ودراستها؛ ببيان وجه الشاهد من الترجيح، وكيفية تطبيق المؤلِّف لدلالة السياق للخروج بالقول الراجح، وبيان نوع السياق الذي استعمله في الترجيح، ثم بيان من وافقَ المؤلِّفَ ومن خالفه في هذا الترجيح ومدى صحَّة وقوة القول المرجَّح بهذه الدلالة.

3-المنهج المقارن: وهذا، عند مقارنة ترجيح ابن عطيَّة مع ترجيح غيره من المفسرين؛ لغرض بيان قوَّة دلالة السياق في الترجيح، خاصَّة وأن بعض المفسرين يرجِّحُ بدلالة السياق على أكثر من وجه في السياق نفسه.

-منهج عرض البحث:

لقد كان المنهج المتبع في عرض البحث وفق خطوات هي كالآتي:

- التصدير بالآية المراد دراستها مع بيان رقمها من السورة.
- التنصيص عل موضع الترجيح دون فصله عن سابقه ولاحقه من المحرر الوجيز؛ لإعطاء السورة الكاملة لحيثيات ترجيح ابن عطيَّة.
- بيان الأقوال المحكيَّة في الآية المتنازع في تفسيرها، وعزوها إلى مصادرها التي ذُكرت فيها من كتب التفسير.
- بيان ترجيح ابن عطيَّة ووجه الشاهد من ترجيحه ونوع السياق الذي استعمله، سواء كان سباقاً أو لحاقاً أو كلاهما.
- استعمال منهج المقارنة في دراسة ترجيح ابن عطيَّة، ببيان من وافقه أو من خالفه في هذا الترجيح من علماء التفسير.
- بيان الظاهر من الترجيحات استنادًا إلى الأدلَّة التي ارتكز عليها علماء التفسير في بيان قوَّة دلالة السياق مع إضافة ما يعضِّدها من أدلَّة في بعض الأحيان، أو بيان ضعف هذه الدلالة حيث لا تقوى أحيانا أن تكون آلية في الترجيح؛ لمصادمتها لنصوص صريحة وصحيحة مثلا، أو لأنَّ سياقا آخر أرجح في الدلالة لما ذهب إليه ابن عطيَّة.
- الاختصار في عرض المسائل إلا فيما يحتاج إلى بعض التطويل.
- الحياد حيال دراسة المسائل قدر المستطاع
- ترتيب المواضع على حسب ترتيب الآيات في المصحف.

اعتماد الفهارس الآتية:

- فهرس الآيات القرآنية.

- فهرس الأحاديث والآثار.

- فهرس الأعلام.

- فهرس الموضوعات.

- ذكر الأحاديث النبويَّة مع بيان درجة الصحَّة والضَّعف منها.

- ذكر الآثار التفسيريَّة كما وردت في كتب التفسير دون تحرٍ للصحَّة إلَّا في بعض الأحيان.

- لم أترجم للصحابة والتابعين ومن اشتهر من علماء التفسير بين الباحثين.

-خطـــة البـــحـــث:

وللعمل على إعطاء البحث حقه كانت المحاولة في وضع هذه الخطة، المتكونة إجمالاً من: مدخل، وفصلين، وخاتمة.

– مدخل في التعريف بابن عطية وتفسيره المحرر الوجيز.

- **المبحث الأول:** ترجمة موجزة للإمام القاضي ابن عطية الأندلسي.

- **المبحث الثاني:** التعريف بتفسير (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**).

الفصـــل الأول: معـــالـــم ومفاهيـــــم تأصيليَّـــة في الترجيـــح والدلالة والسياق.

المبحث الأول: الترجيح ومفهومه وأهميته.

المبحث الثاني: مفهوم الدلالة.

المبحث الثالث: مفهوم السياق القرآني.

المبحث الرابع: أهمية السياق ودلالته على الترجيح.

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي في الترجيح بالسياق عند ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في المحرر الوجيز.

المبحث الأول: ما رجَّح به ابن عطية بالسياق في سورة البقرة.

المبحث الثاني: ما رجَّح به ابن عطية بالسياق في سورة آل عمران.

المبحث الثالث: ما رجَّح به ابن عطية بالسياق في سورة النساء.

المبحث الرابع: ما رجَّح به ابن عطية بالسياق في سورة المائدة.

المبحث الخامس: ما رجَّح به ابن عطية بالسياق في سورة الأنعام.

خاتـــــمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

-المصـــــادر والمراجع المعتمدة في البحث:

لقد رجع الطالب إلى أهم المصادر والمراجع التي يظن أنها يعوَّل عليها في هذا البحث:

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: كتب التفسير عامة والتي اعتنت بدلالة السياق في جانب الترجيح ومن أهمها:

-تفسير ابن جرير الطبري.

-تفسير ابن كثير.

-فتح القدير للإمام الشوكاني.

-التحرير والتنوير لابن عاشور.

-أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي.

ثالثا: كتب علوم القرآن، كالبرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي.

رابعا: المعاجم وكتب اللغة.

خامسا: كتب الحديث وشروحها.

سادسا: كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

سابعا: كتب التراجم.

أسأل الله عز وجل الإعانة والتوفيق والسداد لإنجاز هذا البحث، وإكماله على أحسن وجه، كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مدخـــــــل:

في التعريف بابن عطية وتفسيره (المحرر الوجيز)

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام القاضي ابن عطية الأندلسي.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام القاضي ابن عطية الأندلسي–رحمه الله–:

تمهـــــيد:

يعتبر الإمام ابن عطية من علماء الأندلس الذين كانت لهم قدم راسخة في العلم بشتى فنونه، فقد بنى صرحه العلمي في الأسرة أولا، بين أحضان والده العالم الفقيه القاضي غالب بن عبد الرحمان، ثم من علماء بلده في الأندلس وكانت زاخرة بالفقهاء والقرَّاء والمحدثين والشعراء الذين نهل من علومهم، وفيما يلي ترجمة موجزة لحياته، وبيئته، وأهم مراحل نشأته العلمية.

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

الفرع الأوَّل: اسمه:

عبد الحق بنُ غالب بنُ عبد الرحمان بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي، يُكْنَى أبا محمد، من ولد زيد ابن محارب بن خَصْفَة من قيس غيلان من مضر، نزل جَدُّه عطيَّة بن خفاف بقرية قُنَيْنِلَة من زاوية غرناطة، فأنْسَل كثيرا، لهم قدر، وفيهم فضل. [1]

[1] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان الطبعة الأولى،1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص275، 276.

الفرع الثاني: نسبه:

وقد ذكر رحمه الله أصل نسبه بنفسه، فقال عليه رحمة الله: " وعطيَّة هذا هو الدَّاخل الأندلسَ وقت الفتحِ، وهو عطية بن خالد ابن خفاف بن أسلم بن مكرم من ولد زيد بن محارب بن خَصْفَة بن قيس غيلان بن مضر، كذا ذكر القاضي مطرِّف بن عيسى في كتابه في تاريخ أهل إلْبيرة ".[1]

المطلب الثاني: مولده:

يكاد يتَّفِق من ترجم لابن عطية على أنَّ مولده سنة ثمانين وأربع مئة.

قال الذهبي [2]: "مولده سنة ثمانين وأربع مئة ".[3]

والذي يجعل الأمر لا يرقى إلى درجة الاتفاقِ والاجماعِ على ذلك، هو أنَّ **الضَّبيَّ** [4] في بغية الملتمس ذكر غير ذلك فقال: " مولده في عام إحدى و ثمانين و أربعمائة ".[5]

المطلب الثالث: نشأته العلمية:

---

[1] فهرس ابن عطية، تأليف: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية: 1983، ص60.

[2] محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، تصانيفه كثيرة كبيرة تقارب المئة، توفي رحمه الله سنة 748هـ.ينظر: الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر،2002م، ج5، ص326.

[3] سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م، ج19، ص588.

[4]أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، مؤرخ من علماء الأندلس، من (تصانيفه بغية الملتمس)، (مطلع الأنوار لصحيح الآثار)، توفي سنة599هـ، ينظر: الأعلام، (268/1).

[5] بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف: أحمد بن يحي أبو جعفر الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى: 1410هـ-1689م، ج2، ص506.

الفرع الأول: البيئة الزمانية والمكانية:

لقد كان ابن عطية من العلماء الأفذاذ الذين كانت حياتهم العلمية زاخرة بتلقي العلوم عن الأشياخ والعلماء رحَّالةً مستفيدًا، حريصا أشد الحرص على النَّهَل من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك انتظمت له سلسلة عظيمة ممن تلقى عنهم العلم؛ ثم إنَّ البيئة الزمانية والمكانية للأندلس وغرناطة وقرطبة؛ ساعدت كثيرا ابن عطية في التحصيل العلمي؛ إذ كانت الأندلس حاضرة العلم والعلماء، ومساجدُها عامرة بحلق العلم في شتى الفنون، في الحديث والفقه، والقراءات، والتفسير، والفرائض، وغيرها، وفي هذا المعنى يقول **أحمد بن الربيب التميمي القيرواني**[1] في رسالته لابن حزم "... ذلك أني فكَّرت في بلادكم؛ إذ كانت قرارة كل فضل، ومنهلُ كل خير ونُبل، ومصدر كل طُرفة، ومورد كل تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونهاية أماني الطالبين، إن بارت تجارة فإليها تُجلَب، وإن كسدت بضاعة ففيها تنفث؛ مع كثرة علمائها ووفور أدبائها، وجلالة ملوكها، ومحبَّتهم في العلم وأهله؛ يعظِّمون من عظَّمه علمه، ويرفعون من رفعه أدبه". [2]

[1] الحسن بن محمد التميمي القاضي التاهرتي، المعروف بابن الربيب طلب العلم بالقيروان، بلغ النهاية في الأدب، وعلم الخبر والنسب، وكان يقول الشعر الجيد، توفي سنة 420هـ، ينظر: (الوافي بالوفيات)، تأليف: صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:1420هـ-2000م، ج12، ص 148.

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (دط)، 1388هـ، ج3، ص156-157.

وقال **إسماعيل بن محمد الشقندي** [1] : "الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالأندلس أن يتكلم مِلءَ فيه، ويُطنب ما شاء؛ فلا يجد من يعترض عليه ولا من يُثْنيه؛ إذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح".[2]

وقال: " وأما قرطبة فكرسيُّ المملكة في القديم، ومركز العلم، ومنار التقى، ومحل التقديم والتعظيم، بها استقرَّت ملوك الفتح وعظماؤه، ثم ملوك المروانية، وبها كان يحي بن يحي رَاوِية مالك، وعبد الملك بن حبيب، وقد سمعتُ من تعظيم أهلها للشريعة، ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وأنَّ ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم، ويَصْدرون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقدِّمون وزيرا، ولا مشاورا ما لم يكن عالما...".[3]

الفرع الثاني: القدرات الشخصية:

إنَّ الصفات التي كان يتمتع بها ابن عطية واعتناء والده به جعله من أوعية العلم.

قال الذهبي(ت748هـ) في وصفه: "كان إماما في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قويَّ المشاركة، ذكيًّا فطنا مدركا، من أوعية العلم ...**اعتنى به والده،** ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقَّد ذكاءً ".[4]

---

[1] أبو الوليد إسماعيل بن محمد، وشقندة المنسوب إليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب، كان جامعا لفنون من العلوم الحديثة والقديمة، ولي قضاء بيَّاسة وقضاء لَوْرَقة، مات بإشبيلية سنة 229هـ ينظر: (نفح الطيب): (3 /222).

[2] نفح الطيب، (3 / 187).

[3] نفح الطيب، (3 /214).

[4] سير أعلام النبلاء، (19 / 588).

وجاء في **نفح الطيب**: " وكان **غاية في الذكاء والدهاء والتهمُّمِ بالعلم سَرِيَّ الهمَّة** في اقتناء الكتب".[1]

الفرع الثالث: شيـــوخه:

وابن عطية رحمه الله، كَثُرَ شيوخه الذين أخذ عنهم العلم؛ لكثرة مجالسته لهم، وملاقاتهم، والرواية عنهم واستجازتهم، ونذكر هنا أشهر شيوخه، وكان في مقدِّمتهم والده الذي يعتبر المنهل الأول في بناء صرحه العلمي، وهو ما بدأ به، عندما راح يعدِّدُ من تلقى عنهم العلم: فقال: " هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم، وذِكْرُ ما رويته عنهم ومن أجازني: منهم:

1-أبي رضي الله عنه، الفقيه أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية. ولد أبي رحمه الله سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فطلب العلم في شبيبته على الفقيه أبي عثمان سعيد بن خلف بن جعد الكلابي، وعلى الفقيه أبي الربيع سليمان بن الربيع القيسي، وناظر في الموطأ والمدونة، وقرأ القرآن بالقراءات السبع على الشيخ المقرئ أبي علي الحسن بن عبيد الله الحضرمي، وأجازه، واكتسب حظًّا وافرا من النحو والأدب، ثم رحل إلى المشرق سنة تسع وستين وأربعمائة؛ فلقي بالمرِّيَّة أبا محمد بن قحافة رحمه الله، وناظر عليه في الموطأ، وحمل عنه البخاري وسائر روايته، ولقي بها أيضا القاضي أبا بكر بن صاحب الأحباس وروى عنه".[2]

2-**الفقيه الإمام الحافظ أبو علي الحسين بن محمد ابن أحمد الغساني رضي الله عنه،** أصله

---

[1] نفح الطيب، (2/ 526).

[2] فهرس ابن عطيَّة، ص60.

من جَيَّان وانتقل أبوه إلى قرطبة قديما وسكنها، وكان رحمه الله أحد من انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في علم الحديث وإتقانه، والمعرفة بعلله ورجاله، مع تصرف في علم النحو، والغريب والأدب والشعر، مولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة وتوفي رحمه الله ورضي عنه في شهر شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.[1]

3-**الفقيه المشاور الفاضل أبو عبد الله محمد بن فرج القرطبي ويعرف بابن الطلَّاع**، قرطبي الأصل، كان رحمه الله من أهل الفضل والصلاح مع التقدم في حفظ الرأي والمعرفة بالفتيا والوثائق... مولده سنة أربع وأربعمائة، وتوفي رحمه الله في شهر رجب سنة سبع وتسعين وأربعمائة.[2]

4-**الفقيه الأستاذ الإمام أبو الحسن علي بن أحمد ابن خلف الأنصاري المقرئ**

أصله من جيَّان وانتقل أبوه إلى غرناطة قديما ويسكنها، وولد هو بغرناطة في شهر شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ بها، وقرأ القرآن على جماعة، ورجل في طلب العلم إلى حواضر من الأندلس، وكان رحمه الله من الحفَّاظ لكتاب سيبويه المبرِّزين في النظر في معانيه؛ من أهل الخير والرواية، توفي رحمه الله وغفر له ليلة الاثنين ثلث الليل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (528هـ)، ودفن يوم الاثنين لصلاة العصر وكانت جنازته مشهودة.[3]

5- **الفقيه المقرئ الأجل أبو القاسم خلف بن إبراهيم ابن خلف بن سعيد بن الحصار المعروف بابن النَحَّاس**، كان رحمه الله شيخ معرفة وجلالة؛ كتب بالأندلس عن أبي عبد الله بن عابد وأبي عمر بن عبد البر، وقرأ القراءات السبع بقرطبة على المقرئ أبي القاسم بن عبد الوهاب وصحبه، وروى عنه جميع رواياته ثم رحل إلى المشرق سنة أربع وخمسين وأربعمائة رحلةً حجَّ فيها، وكتب عن جماعة من أهل

[1] فهرس ابن عطيَّة، ص (77-78).

[2] فهرس ابن عطيِّة، ص91.

[3] فهرس ابن عطيَّة، ص 101.

العلم بمكة وغيرها، وانصرف إلى الأندلس وأقرأ في جامع قرطبة، وخطب في منبرها مدة طويلة إلى أن توفي بها سنة إحدى عشرة وخمسمائة، لقيته رحمه الله بقرطبة وأجاز لي جميع روايته.[1]

هؤلاء هم أشهر الأعلام الذين أخذ عنهم ابن عطية، وروى عنهم وغيرهم كثير.[2]

المطلب الرابع: أشهر تلاميذه:

لقد أخذ عن ابن عطية خلق كثير سمعوا منه، ورَوَوا عنه، فنذكر أشهر تلاميذه:

قال الذهبي: " حدَّث عنه أولاده، وأبو القاسم بن حبيش الحافظ، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو جعفر بن مَضَاء، وعبد المنعم بن فرس، وأبو جعفر بن حكم، وآخرون".[3]

وفيما يلي ذكر أشهر هؤلاء التلاميذ:

1-الإمام الحافظ أبو القاسم بن حبيش الأنصاري.[4]

2-الفقيه، الحافظ الثَّبت، أبو محمد بن عُبَيد الله.[5]

3-ابن مضَاء.[6]

---

[1] فهرس ابن عطية، ص 119.

[2] وانظر لمزيد تفصيل (فهرس ابن عطية).

[3] سير أعلام النبلاء، (19 / 588).

[4] ينظر في ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م، ج2، ص85.

[5] ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1417هـ-1997 م، ج42، ص 64 -65.

[6] ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي، (1 / 146).

المطلب الخامس: مكانته العلمية:

لقد كان ابن عطية ذا شأن عظيم، ومكانة عالية بين العلماء، فقد أثنوا عليه وعرفوا له قدره العلمي، كما شهدوا له بالإمامة والمشيخة وسعة المعرفة والاطلاع والتضلُّع في العلوم ، وقد ذكر صاحب **قلائد العقيان** عبارات في ترجمته تبين مكانته العلمية فقال: " **نَبْعَةُ دَوْحِ العلاء، ومُحْوِزُ ملابس الثَّناء، فَذُّ الجلالة، وواحد الرأي والأصالة، وقارٌ كما رسى الهَضْبُ، وأدب كما اطَّرَدَ السَلَسَلُ العذب، وَشِيَمٌ تتضاءل لها قطع الرياض، ويبادر الظَّنُّ به إلى شريف الأغراض، سَابَقَ الأمجاد فاستوى على الأَمَدِ بعلائه، ولَمَّا يَنِضَّ ثَوْبُ شَبَابِه، أَدْمَن التعب في السؤدد جاهدا، حتى تناول الكواكب قاعدا، ولا سكن إلى راحات بُكَرِهِ وآصَائِلِه، أَثَرُهُ في كل معرفةٍ ، عَلَمٌ في رأسه نار، وطَوالِعُه في آفاقها صبح أو نهار**".[1]

وقال عنه **الذهبي**: " **الإمام العلامة شيخ المفسِّرين ...كان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية**". [2]

وجاء في **الديباج المذهب**: " كان القاضي أبو محمد عبد الحق فقيها عالما بالتفسير، والأحكام والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، مقيِّدًا حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المرية، وكان غاية في الدهاء، والذكاء، والتَهَمُّمِ بالعلم، سَرِيَّ الهمَّة في اقتناء الكتب، ولما ولي توخَّى الحق، وعدل في الحكم وأعزَّ الخطَّة".[3]

---

[1] قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تأليف: أبو نصر الفتح الإشبيلي الشهير بابن خاقان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى:1409هـ-1989م، ج1، ص(655-656).

[2] ينظر: سير أعلام النبلاء، (19/ 587-588).

[3] الديباج المذهب، ص276.

وجاء في **بغية الوعاة:** " قال ابن الزبير: كان فقيها جليلا، عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، نحويا لغويا أديبا، بارعا شاعرا مفيدا، ضابطا سُنِّيًّا، فاضلا من بيت علم وجلالة، غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف ".[1]

وهكذا كان ابن عطية في عصره بحرا في علمه، متفنِّنًا في معرفته متعمِّقا في ثقافته، وأكبر دليل على ذلك ما أنتجه هذا الإمام في المجالات المختلفة، وما تركه لنا من آثار علمية.[2]

المطلب السادس: مؤلفاته

إنَّ الناظر في سيرة ابن عطية العلمية الثَّرِيَّة، ومكانته العلمية، وكذلك تبحره في العلوم والفنون؛

يتبادر إلى ذهنه أن هذا العالِم الجليل صاحب مؤلَّفات كثيرة، وتصانيف عديدة، ولكن على العكس من ذلك لا نجد لابن عطية ذلك الكمَّ الكثير من المؤلفات، والآثار العلمية، ولعل السبب في ذلك ومن خلال قراءة ما كُتِبَ في ترجمته يَكْمُنُ في كونه كان كثير التهمُّمِ بالتلقي والسماع والمجالسة للعلماء أكثر منه في التصنيف والتأليف، ولكن رغم ذلك فالذي بين أيدينا من مؤلَّفاته؛ مُؤَلَّفَيْنِ يذكرهما من ترجم له:

الأول: تفسيره المسمى " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ":

ذلك السِّفْرُ العظيم، والكنز الثمين، والبحر الذي حوى من العلوم والفنون الشيء الكثير، وهو تفسيره العظيم المسمى **بالمحرر الوجيز**، الذي كان وليد التفرُّغِ للعلم وتقييده، يقول عن نفسه

---

[1] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية، 1399هـ/1979م، ج2، ص73.

[2] منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، تأليف: عبد الوهاب فايد، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة: 1393هـ/ 1973م، ص 80.

في هذا المعنى: " وأنا وإن كنت من المقصِّرين، فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني؛ إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا **بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي**".[1]

يقول **الصَّفَدي**[2]: " ولو لم يكن له إلا تفسيره لكفى ".[3]

وجاء في **بغية الوعاة**: "وألَّف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها ".[4]

[ولم يكن هذا الاسم من وضع ابن عطيَّة-رحمه الله-، ولا كان معروفا في عصر ابن عطيَّة والعصور اللاحقة له بهذا الاسم؛ فلم يذكر ابن عطيَّة في مقدِّمة تفسيره هذا الاسم، بل قال: " وقصدت أن يكون جامعا وجيزا [محررا] ".[5]

ويرى الدكتور عبد الوهاب فايد: أن (ملا كاتب جلبي ت 1067هـ) هو أوَّل من أطلق اسم (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) على تفسير ابن عطيَّة في كتابه (كشف الظنون)، قال:

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية-دولة قطر-، مطابع دار الخير: سوريا ولبنان، الطبعة الثانية، 1428هـ/2007م، ج1، ص 09-10.

[2] خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب مؤرخ كثير التصانيف الممتعة، ولد بصفد (فلسطين)، سنة:696هـ، وإليها نسبته، له زهاء مئتي مصنف منها: (الوافي بالوفيات)، (نكت الهميان)، (ألحان السواجع)، توفي سنة:764 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (315/2).

[3] الوافي بالوفيات، (18/ 41).

[4] بغية الوعاة، (2 / 73).

[5] المحرر الوجيز، لابن عطيَّة، ج1، ص9.

ولعله أخذه من معنى كلام ابن عطيَّة في مقدمة تفسيره: وقصدت فيه (أي في التفسير) أن يكون جامعا وجيزا محررا [1]].[2]

الثاني: فهرسته التي أودعها أسماء شيوخه والعلوم التي أخذها عنهم والمعروفة **بفهرس ابن عطية:**

وجاءت هذه الفهرسة باسم **البرنامج** في بعض الكتب منها:

– نفح الطيب: "**وبرنامجا** ضمَّنَه مروياته وأسماء شيوخه فحرر وأجاد".[3]

– بغية الوعاة: " وخرَّج له **برنامجا** ".[4]

وهذه الفهرسة على صغرها تعتبر من الناحية العلمية ذات قيمة كبيرة؛ فهي سجل وافٍ في موضوعه وكامل، وتاريخ علمي حافل، لهذه الفترة التي عاش فيها ابن عطية، وقد كان ابن عطية في تأليفه لهذه الفهرسة، يسير على سنة العلماء والمحدِّثين؛ ففي هذه العصور الإسلامية الأولى كثرت الفهارس العلمية أو المشيخات للعلماء والمحدِّثين، وفيها يذكرون شيوخهم ومروياتهم عنهم.[5]

---

[1] منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص82.

[2] ما بين معكوفين، كلام محمد محمود إبراهيم عطيَّة، مقال بعنوان: دراسة موجزة لتفسير القاضي ابن عطية، موقع ملتقى أهل التفسير، القسم العام، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن.

[3] نفح الطيب، (2/ 527).

[4] بغية الوعاة، (2 / 73).

[5] منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 86.

المطلب السابع: وفـــــاتــــه:

اختلف من ترجم لابن عطية في تاريخ وفاته، فقيل:

– توفي بمدينة لَوْرَقة[1] عام اثنتين وأربعين وخمسمائة(542هـ). وقيل: سنة إحدى وأربعين(541هـ).[2]

وقال الذهبي: " توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة".[3]

– وجاء في **الديباج المذهب:** " وتوفي رحمه الله في سنة ست وأربعين وخمسمائة–بمدينة لورقة. قَصَدَ مُرْسِيَةَ[4] يتولى قضاءها؛ فصُدَّ عن دخولها، وصُرِف منها إلى لورقة، اعتداءً عليه رحمه الله تعالى".[5]

ولكن **الصحيح** كما يقول ابن الآبار–أنه توفي سنة 541هـ – ولَوْرقة التي توفي فيها (ابن عطية) مدينة حصينة في شرق الأندلس، تقع غربي مُرسيَة، وكان ابن عطية – عند وفاته – يبلغ من العمر ستين عاما، رحمه الله وغفر له.[6]

---

[1] لورقة بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف، ويقال لرْقة بسكون الراء بغير الواو، وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم، ينظر: معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي، دار صادر –بيروت–، طبعة:1397هـ، 1977م، ج5، ص26.

[2] بغية الوعاة، (2 / 506).

[3] سير أعلام النبلاء، (19/ 588).

[4] مرسية بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء، مدينة بالأندلس. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، 107.

[5] الديباج المذهب، ص 276.

[6] منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 80.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي:

تمهيـــد:

لقد كان تفسير ابن عطية الأندلسي من المصادر المهمة في التفسير؛ ومن أنفس الذخائر ومن مفاخر أهل الأندلس، والذي حوى علما غزيرا في شتى الفنون، من اللغة بشتى أبوابها، من بلاغة ونحو وصرف، وكذلك الفقه وأصوله، والحديث، والقراءات، وغيرها، فكان بحق محطَّ أنظار العلماء بعده الذين عكفوا عليه واستفادوا منه أيَّما استفادة وفيما يلي تعريف موجز بتفسيره:

المطلب الأول: التصنيف العام لتفسير ابن عطية:

يعتبر تفسير ابن عطية ضمن التفاسير التي صنَّفَها الدارسون للتفسير ومناهجه ضمن قائمة التفاسير بالمأثور[1]، وهذا اللون من التفسير يُعرف كذلك بالتفسير النقلي، أو التفسير بالمنقول.

ونعني بالتفسير بالمأثور؛ ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.[2]

---

[1] انظر: التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة – القاهرة–الطبعة السابعة، ج1، ص170، وينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، تأليف: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة 1419هـ، ص148.

[2] التفسير والمفسرون، ج1، ص112.

وتفسير ابن عطية قد تضمَّن أركان التفسير بالأثر، ففسَّر القرآن بالقرآن، وبكلام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكذلك بكلام التابعين؛ لكن نجد أن له نزعةً لغوية، فهو يستشهد كثيرا فيما يذهب إليه من المباحث اللغوية بالشواهد الشعرية، ويتطرق كثيرا إلى المباحث النحوية والبلاغية.

وهذا ما عبر **عنه محمد حسين الذهبي**[1] **باللون الشخصي في التفسير بالمأثور** فقال: " من المعلوم أن الشخص الذي يفسِّرُ نصًّا من النصوص، يلوِّن هذا النص بتفسيره إيَّاه لأن المتفهِّم لعبارة من العبارات، هو الذي يحدِّد معناه ومرماها وفق مستواه الفكري، وعلى سعة أفقه العقلي،... وبمقدار هذا يتحكم في النص ويحدد بيانه، وهذا أصل ملحوظ، نجد آثاره واضحة في كتب التفسير على اختلافها، فما من كتاب منها إلا وقد وجدنا آثار شخصية صاحبه وقد طَبعَت تفسيره بطابع خاص لا يعسر علينا إدراكه".[2]

لكن ابن عطية –رحمه الله–رغم النزعة الأثريَّة في تفسيره؛ إلا أنَّه كثيرا ما يجتهد وينتقد من سبَقه من المفسرين، ويذكر الاحتمالات في الآية، وفي كثير من الأحيان يُرَجِّح ما يراه صحيحا، فكما اهتم ابن عطية في تفسيره بذكر المأثور من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين، عنى كذلك باللون الآخر من التفسير–وهو التفسير بالرأي–إلا أنَّ الغالب على تفسيره هو التفسير بالمنقول والمأثور مع الاعتناء باللغة، من نحو، وبلاغة، وصرف؛ في استجلاء المعاني وتوضيحها.

---

[1] عالم أزهري كبير، عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب سنة(1397هـ)، من مؤلفاته (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها)، (التفسير والمفسرون). ينظر: تتمة الأعلام، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الثانية: 1422هـ/2002م، ج2، ص148.

[2] التفسير والمفسرون، (1 / 113،114).

المطلب الثاني: مصادر ابن عطية في تفسيره:

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها ابن عطية في تأليف تفسيره، والذي يدلُّ على ذلك؛ تنوع الفنون والعلوم التي حوى عليها تفسيره، من اللغة والنحو والقراءات والفقه، وأصول الفقه، والحديث وغيرها من العلوم.

والمصادر التي اعتمد عليها ابن عطية في تفسيره والتي جاء ذكرها في ثنايا تفسيره هي كالتالي[1]:

1-كتب العقيدة: بما أنَّ ابن عطية كان أشعري العقيدة؛ لذلك فقد اعتمد في تفسيره كتب الأشاعرة في تقرير مسائل التوحيد والاعتقاد وهي كالآتي:

أ- (الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد) لأبي المعالي الجويني (ت:478هـ).

ب-كتب القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الأشعري الباقلاني (ت403هـ) ومن كتبه التمهيد.

2-كتب التفسير:

أ-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ابن جرير الطبري (ت310).

ب-(شفاء الصدور) أبو بكر النقاش (351).

ج-(التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) أحمد بن عمار المهدوي (ت430).

[1] ينظر للتفصيل في المصادر: منهج ابن عطيَّة في تفسير القرآن الكريم، ص95-127.

د-(الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن و تفسيره و أنواع علومه) مكي ابن أبي طالب القيسي (ت437هـ).

3-كتب القراءات:

أ- (الحجة في علل القراءات السبع) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت 377هـ).

ب- (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ).

ج- (التيسير في القراءات السبع) ، (جامع البيان في القراءات السبع) ، (المحتوى على الشاذ من القراءات) لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ).

3-كتب الحديث:

أ-صحيح الإمام محمد ابن اسماعيل البخاري (ت 256هـ).

ب-المسند الصحيح للإمام مسلم ابن الحجاج النيسابوري (ت261هـ).

ج-كتاب السنن للإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني (ت275هـ).

د-كتاب السنن لمحمد ابن عيسى الترمذي (ت279هـ).

و-كتاب السنن للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ).

4-كتب الفقه: نظرا لكون ابن عطية الأندلسي مالكي المذهب الفقهي؛ فإنه ينقل من كتب المالكية في مسائل الفروع وهي كما يلي:

أ-الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك ابن أنس (ت179هـ).

ب-كتاب (المختصر) لعبد الله بن عبد الحكم (ت214هـ).

ج-كتاب (المدونة) لسحنون ابن سعيد (ت240هـ).

د-كتاب (الواضحة) لعبد الملك ابن حبيب الأندلسي (ت238هـ).

و-كتاب التفريع في مسائل الفقه لأبي القاسم بن الجلاب (ت378هـ).

ي-كتاب العتبية لمحمدبن عبد العزيز العتبي الأندلسي (455هـ).

بالإضافة إلى كتب فقهية أخرى اعتنت بذكر مسائل الخلاف مثل:

كتاب: (الإشراف على مذاهب أهل العلم في الاجتماع والاختلاف) لأبي بكر ابن المنذر النيسابوري (ت309هـ) وهو كتاب في الفقه المقارن اعتمد ابن عطية عليه اعتمادا كبيرا في بيان المذاهب الفقهية المختلفة

5-كتب اللغة والنحو:

أ-كتاب (الأغفال) فيما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي (ت377هـ).

ب-كتاب (إصلاح المنطق، والألفاظ) ليعقوب بن السكيت (244هـ).

ج-كتاب (المجمل) لأحمد بن فارس (395هـ).

د-(الكتاب) لسيبويه: أبي بشر عمر بن عثمان (ت188هـ).

و-كتاب (المقتضب) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ).

وهكذا رجع ابن عطية في كل علم إلى أهم مصادره الأصيلة، على أن اعتماده على هذه الكتب لم يكن اعتماد الناقل فقط، وإنما كان يذكر آراء المؤلِّفين والعلماء، وينسب الرأي لصاحبه في أكثر الأحيان، وقد يذكر الرأي ولا ينسبه في بعض الأحيان، **ثم يناقش الآراء إذا لم يكن موافقا عليها، ويثبت ما يراه فيها من قوة وصحة، أو من ضعف وشذوذ، فشخصيته واضحة في كل ما نقله أو علَّق عليه.**[1]

المطلب الثالث: منهج ابن عطية في تفسيره من خلال مقدمته:

الفرع الأول: سبب تأليف الكتاب:

أ-الدافع المعرفي:

لقد أبان ابن عطية رحمه الله عن سبب تأليفه لهذا التفسير العظيم، والباعث على تأليفه، فقد ذكر أنه لما أخذ حظًّا وافرا من العلوم والفنون ونضج فيها، أراد أن يتخيَّر علما من علوم الشرع يغوص أعماقه ويُكمِل به سيرته العلمية؛ فكان ذلك دافعا معرفيا وسببا مباشرا لتأليف تفسيره، فقال رحمه الله: " ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويفي بدفع الاعتراضات عليه ...فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أُعِدُّ

[1] (المحرر الوجيز)، ج1، ص21، من مقدمة محققي الكتاب.

أنواره لظلم رمسي؛ سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أَمْتَنَها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا علم كتاب الله جلَّتْ قدرته ".[1]

ب–الدافع التعبدي:

لقد كان ابن عطية رحمه الله تعالى إلى جانب رغبته في إكمال مسيرته العلمية بأنْ يتفرَّغ لعلم من العلوم واختار لذلك علمَ التفسير؛ فإنه كذلك لم يُغفل جانب الإخلاص واستحضار النية والعبودية لله عز وجل؛ فقد جعل ذلك من الأسباب الدافعة له لاختيار علم التفسير وتأليف هذا الكتاب.

فقال رحمه الله: " وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنيَّات، ونهيا عن الباطل، وحضًّا على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيَخْتِلُ[2] حامِله من منازلها صيدا، ويمشي في التلطُّف لها رويدا، ورجوت أن الله تعالى يحرِّم على النار فكرا–أكثر عمره–معانيه، ولسانًا مرِنا على آياته ومثانيه، ونفسا ميَّزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت صوامها في ميادينه ومغانيه؛ فثنيت إليه عنان النَّظر وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر".[3]

الفرع الثاني: الأسس المنهجية التي سار عليها ابن عطية في تفسيره وبيَّنها في مقدمته[4]:

لقد وضع ابن عطية أسسا منهجية يسير عليها في تفسيره وقد أبان عليها من خلال مقدمته عليه وسوف نُجمِلُها على شكل نقاط هي كالآتي:

---

[1] المحرر الوجيز (1/ 7).

[2] خَتَلَهُ يَخْتِلُهُ ويَخْتُلُهُ خَتْلٍ وخَتَلانًا: خَدَعَهُ والذِّئب الصَّيدَ: تخفَّى له، فهو خَاتِلٌ وخَتُولٌ. ينظر: القاموس المحيط: تأليف: الفيروز آبادي، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، طبعة: 1431هـ/2010م، ص892.

[3] المحرر الوجيز (1/7–8).

[4] انظر: المحرر الوجيز (1/9).

أ-القصد إلى اختيار أفضل ما قيل في علم التفسير مع ترتيب المعاني.

ب-القصد أن يكون التفسير جامعا وجيزا.

ت-عدم الخوض في القصص والإكثار من ذلك إلا ما له صلة بالآية المفسَّرة.

ث-نسبة الأقوال في معاني الآيات إلى قائليها من العلماء.

ج-اعتماد الأقوال التي هي من جنس ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله؛ وفق **مقاصده العربية**، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن.

د-سرد التفسير على حسب رتبة ألفاظ الآية من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، مع الحرص على تتبع ألفاظ الآية لفظًا بلفظٍ.

و-إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذِّها.

ي-تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ. ويقصد ابن عطية الاحتمالات الواردة عن السلف أو قد تكون احتمالات من عنده في الآية المراد تفسيرها.

المطلب الرابع: مكانة تفسير ابن عطية عند العلماء وإفادتهم منه:

لقد حظي تفسير ابن عطية مكانة عالية عند العلماء وأشادوا به، ونوَّهوا بفضله؛ بل وحتى كان تأثيره في مناهج بعض المفسرين بعده، وهذه بعض نقول العلماء عنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة فروع:

-الفرع الأول: مكانة تفسير ابن عطية بين العلماء وثناؤهم عليه:

1-كلام العلماء المترجمين لابن عطية عن تفسيره:

أ-يقول **لسان الدين ابن الخطيب**[1] : " ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فأحسن فيه و أبدع، وطار بحسن نيته كل مطار".[2]

ب-ويقول **الضَّبي (ت599هـ)**: " ألَّف في التفسير كتابا ضخما أربى فيه على كل متقدِّمٍ ".[3]

2-كلام من ألَّف في التفسير ونصَّ على مكانة (تفسير ابن عطية):

أ-ابن جزي المالكي[4]: " وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها؛ فإنه اطَّلع

[1] أبو عبد الله، محمد ابن عبد الله بن سعيد السلماني، اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، وزير مؤرخ، أديب نبيل، مؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا منها (الإحاطة في أخبار غرناطة)، (الإعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام)، كان يلقب بذي الوزارتين، السيف والقلم، توفي مقتولا في سجنه سنة 776هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (6 / 235).

[2] الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: 1395هـ/1975م، (ج3، ص540).

[3] بغية الملتمس، ص506.

[4] محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة. من كتبه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، (التسهيل لعلوم التنزيل)، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. توفي سنة(741هـ)، قال المقريزي: فُقِد وهو يحرِّض الناس يوم معركة طريف. ينظر: الأعلام (325/5).

على تآليف من كان قبله فهذَّبها، ولخَّصها؛ وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدَّد النظر، محافظٌ على السُّنَّة".[1]

ب–أبو حيان الأندلسي[2] في معرض مقارنته بين تفسير الزمخشري وابن عطية قال: " وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص".[3]

3– ثناء علماء آخرين على تفسيره:

أ–قال شيخ الإسلام ابن تيمية[4](ت728هـ)، عندما سُئِل عن أيِّ التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنَّة فقال –رحمه الله–: " وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصحُّ نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع،

[1] التسهيل لعلوم التنزيل: تأليف: ابن جزي الكلبي المالكي، ضبطه وصحَّحه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م، ج1، ص14.

[2] محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين أبو حيان الغرناطي، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز، من مصنفاته (البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم)، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب)، (التذييل والتكميل في شرح التسهيل)، وغيرها، توفي رحمه الله في ثامن عشر سفر سنة (745هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (175/5).

[3] تفسير البحر المحيط، تأليف: أبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان –، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م، ج1، ص113.

[4] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام، ولد سنة 661هـ، في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، مات معتقلا في قلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، توفي سنة728هـ، وله من المؤلفات، (الإستقامة)، (الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان)، (منهاج السنة النبوية)، اقتضاء الصراط المستقيم)، وغيرها، ينظر: الأعلام للزركلي: (1 / 144)، سير أعلام النبلاء: (22 / 288).

وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير". [1]

ب-ابن خلدون [2] في مقدِّمته، وفي سياق نقده لكتب التفسير وما حوته من إفراط في نقل الإسرائيليات قال: " فلمَّا رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد ابن عطية من المتأخِّرين بالمغرب فلخَّص تلك التفاسير كلها، وتحرَّى ما هو أقرب إلى الصِّحَّة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسنُ المنحى ". [3]

ج-محمد حسين الذهبي (ت1397هـ): قال: "تفسير ابن عطية المسمى (بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تفسير له قيمته العالية بين كتب التفسير، وذلك راجع إلى أن مؤلِّفه أضفى عليه من روحه العلميَّة الفيَّاضة ما أكسبه دقَّة، ورواجا، وقبولا ". [4]

هذه الأقوال من هؤلاء العلماء الأجِلَّاء، ماهي إلا دلالة واضحة على ما لتفسير ابن عطية من مكانة علمية مرموقة، وعَدِّهِ لَبِنَةً من لبنات البناء الشامخ لعلم التفسير، ذلك البناء الذي أضفى عليه ابن عطية لمسته الخاصَّة، من تدقيق وتحرير، وقوة طرح في التفسير، مع الوجازة وسلامة الأسلوب.

---

[1] مجموعة الفتاوى، تأليف: تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء-مصر-الطبعة الثالثة: 1426هـ-2005م، ج13، ص209.

[2] عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي الأصل، التونسي ثم القاهري المالكي، ويعرف بابن خلدون، ولد في أول رمضان سنة (732هـ) بتونس، حفظ القرآن والشاطبيتين وتلقى العلوم بها، إمام رحالة، له من المصنفات (ديوان المبتدأ والخبر في التاريخ) وقد حوت مقدمته علوما كثيرة، توفي في رمضان سنة 808 بالقاهرة. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد ابن عبد الرحمان السخاوي، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى:1412هـ/1992م، ج4، ص145.

[3] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبد الرحمان ابن خلدون، دار الفكر، بيروت –لبنان-طبعة: 1431هـ -2001م، ج1، ص555.

[4] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، (171/1،172).

الفرع الثاني: تأثير تفسير ابن عطية في مناهج المفسِّرين بعده:

لقد كان لتفسير ابن عطية وبسبب منهجه القويّ ومتانة طرحه التفسيري، تأثيرا واضحا فيمن أَلَّفَ في التفسير بعده، وسنذكر هنا أهم من تأثر ممن ألَّفوا في التفسير من العلماء البارزين في هذا المجال، وما هذا التأثير إلا دلالة كذلك على ما لتفسير ابن عطية من مكانة علمية ومن أشهر هؤلاء العلماء:

أ-**أبو عبد الله القرطبي** [1] وهو وإن لم يكن له تصريح في مقدِّمة تفسيره على اعتماده تفسيرَ المحرر الوجيز؛ إلا أنه يُكثر النقل عنه، ويسير على خطاه في منهج واحد؛ فقد ذكر في مقدِّمة تفسيره نقولا ذكرها ابن عطية في مقدمة تفسيره [2] مما يدل على أنه متأثر بابن عطية من بداية

الخط إلى نهايته، وقد أبان هذا التأثُّرَ **ابن خلدون** في مقدمة تاريخه فقال: " وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق".[3] [4]

---

[1] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة(671هـ). من كتبه (الجامع لأحكام القرآن)، يعرف بتفسير القرطبي، و(قمع الحرص بالزهد والقناعة) و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ينظر: الأعلام (5 / 322)، والديباج المذهب، ص406.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد ابن احمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1427هـ/2006م)، (43/1،56،57،60،62،63،76،80،89،111،120).

[3] ديوان المبتدأ والخبر، (555/1).

[4] وانظر لمزيد تفصيل في تأثر القرطبي بابن عطية: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص، (271 -279).

ب–أبوحيان الأندلسي(ت745هـ) ففي مقدمة تفسيره وفي سياق ذكره للزمخشري وابن عطية، وثَنَائه على كتابيهما في التفسير؛ أشار كذلك أنه قد أفاد منهما أيَّما إفادة، وخلَّصهما مما فيهما من دسيس وغث بكل جِدٍّ ونشاط، فقال: " وعرضتهما على **مِحكِّ النظر**، وأوريت فيهما **نار الفكر**، حتى خَلُصَ دسيسهما، وبرز نفيسهما، وسيرى ذلك من هو للنَّظَرِ أهل، واجتمع فيه إنصافٌ وعدل ".[1]

ج–عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري[2] فقد ذكر رحمه الله في مقدمة تفسيره اعتماده على تفسير ابن عطية في تأليف كتابه في التفسير فقال: " فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين؛ فقد ضمَّنته بحمد الله المهمَّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأُمَّة ".[3]

وقال في **موضع آخر**: " وها أنا إن شاء الله أشرع في المقصود، وألتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النُّبَذِ الحسنة المختارة ما تقرُّ به العين".[4]

---

[1] تفسير البحر المحيط، (113/1).

[2] عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي، ولد سنة: (786هـ) كان إماما علَّامة مصنِّفًا، اختصر تفسير ابن عطية، وشرح ابن الحاجب، عمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك. مات سنة: (875هـ). ينظر: الضوء اللامع (152/4)، والأعلام: (3 / 331).

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف (بتفسير الثعالبي)، تأليف: عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي–بيروت–الطبعة: الأولى، سنة: 1418هـ/1997م، ج1، ص117.

[4] الجواهر الحسان، ج1، ص120.

الفصل الأول: معالم ومفاهيم تأصيليَّة في الترجيح والسياق والدلالة.

وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الترجيح وأهميَّته.

المبحث الثاني: مفهوم الدلالة.

المبحث الثالث: مفهوم السياق القرآني.

المبحث الرابع: دلالة السياق القرآني وأهميتها في الترجيح.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

تمهيـــــد:

يعتبر ضبط المصطلحات العلمية من الأمور المهمة التي تعين الدَّارس لأي علم من العلوم أن يتصور حدود المعلوم؛ بحيث لا يُدخل فيه ما ليس منه، ولا يخرج من دائرته ما هو من صميمه وأساس إدراكه وفهمه، وبالتالي يسهل فهم ذلك العلم، وينضبط بضوابط تجعله محرَّرا ودقيقا، ومن هذا القبيل كان هذا الفصل لتسليط الضوء على مصطلحات مهمة، والتي بدورها تعين على توضيح المقصود من الترجيح، والدلالة، والسياق، حيث أن لها ارتباط بالفصل التطبيقي على تفسير ابن عطية الأندلسي، وذلك من خلال أربعة مباحث هي كالآتي:

المبحـــث الأول: مفهـــوم التـــرجيح وأهميته:

تمهيـــــد:

لقد تباينت واختلفت كثير من أقوال العلماء في مسائل شتى من علوم الشريعة، ولعلم التفسير النصيب الواسع من خلاف العلماء في تفسير الآيات واستنباط المعاني منها، مما جعل كتب التفسير يجتمع فيها الخلاف بنوعيه، اختلاف التنوع واختلاف التضاد أحيانا أخرى، وبناء على ذلك برزت عدة جهود من علماء التفسير للنظر في أقوال المفسرين وسلوك مسلك الترجيح بينها، وهذا حيث لا يمكن الجمع بين الأقوال، وفيما يلي تعريف للترجيح ومدى أهميته في التفسير:

المطلب الأول: الترجيح لغة:

جاء في **معجم مقاييس اللغة:** الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رَزَانَةٍ وزِيادة.

يقال رَجَحَ الشيء، وهو رَاجِح، إذا رَزَنَ، وهو من الرُّجْحان.[1]

[1] معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبو الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة 139هـ/1979م، ج2، ص4898.

وفي **لسان العرب**: "رَجَحَ الشَّيءَ بِيَدِه: رَزَنَهُ وَنَظَرَ مَا ثِقْلُهُ. وأَرْجَحَ الميزانَ أي أَثْقَلَهُ حتى مال. وأَرْجَحْتُ لفلانٍ ورَجَّحْتُ تَرْجِيحًا إذا أَعْطَيْتَهُ راجِحًا... ورَجَحَ الميزانُ يَرْجَحُ ويَرْجِحُ ويَرْجُحُ رُجْحَانًا: مَالَ. ... ورَجَحَ في مجلسه يَرْجُحُ: ثَقُلَ فلم يَخِفَّ، وهو مثلٌ. والرَّجَاحَةُ الحلمُ، على المثل أيضا، وهم ممن يصفون الحلمَ بالثِّقل كما يصفون ضدَّه بالخِفَّةِ والعَجَلِ".[1]

وفي **تاج العروس**: "وتَرجَّحَ في القولِ: تَمَيَّل به".[2]

وفي **القاموس المحيط**:" رَجَحَ الميزانُ يَرْجَحُ مُثَلَّثَةً رُجُوحاً ورُجْحاناً: مالَ، وأَرْجَحَ له ورَجَّحَ: أعطاهُ راجِحاً، وامرأةٌ راجِحٌ ورَجاحٌ: عَجْزاءُ جمع: رُجُحٌ، وتَرجَّحَتْ به الأُرْجوحَةُ: مالَتْ فارْتَجَحَ، وراجَحْتُهُ فَرَجَحْتُهُ: كُنتُ أوزَنَ منهُ، وَتَرَجَّحَ: تَذَبْذَبَ، والمِرْجُوحَةُ: الأُرْجوحَةُ، وكرُمَّانَةٍ: حَبْلٌ يُعَلَّقُ ويَرْكَبُهُ الصِّبْيانُ (كالرُّجاحَة)، والأَراجيحُ: الفَلَواتُ واهْتِزازُ الابِلِ في رَتَكانِها والفِعْلُ: الارْتِجاحُ والتَّرَجُّحُ... وجفان رُجُحٌ، ككُتب: مملوءة ثَريدا ولحما، وكَتَائِبُ رُجُحٌ: جرَّارةٌ ثَقيلةٌ".[3]

وفي **النهاية في غريب الأثر**: " (رجح): في حديث عائشة وزواجها " إنَّها كانت على أُرجوحَة" وفي رواية "مرجوحة" الأرجوحة: حبل يُشَدُّ طرفاه في موضع عال ثمَّ يركبه الانسان ويحرَّكُ وهو فيه، سمِّيَ به لتحرُّكِه ومجيئه وذهابه ... وارْجَحَنَّ: أي ثَقُلَ ومال بعد علُوِّهِ، أورد الجوهريُّ هذا الحرف في خرف النون، على أنَّ النون أصليَّة، وغيره يجعلها زائدة من رَجَحَ الشيء يرجَحُ إذا ثَقُلَ".[4]

---

[1] انظر: لسان العرب، تأليف: ابن منظور، دارالمعارف – القاهرة – دط، دت، ج3، ص1586.

[2] تاج العروس من جوهر القاموس، تأليف: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة التراث العربي، وزارة الإرشاد والنباء بالكويت،138هـ/1965م، ج6، ص386.

[3] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص119.

[4] النهاية في غريب الأثر، تأليف: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، طبعة: 1399هـ/1979م، ج2، ص198.

يتبين من هذه النصوص اللغوية لمادة رجح، والتي من اشتقاقاتها لفظة الترجيح، أنها لفظة تحمل معاني الرزانة والثقل، والأناة والميل.

المطلب الثاني: الترجيح اصطلاحا:

جاء في **الكليات**: الترجيح: هو بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر.[1]

ولقد كان لعلماء الأصول النصيب الأوفر في الكلام على مسألة الترجيح، وذلك في أبواب تعارض الأدلة وما ينبغي للمجتهد والناظر في النصوص أن يثبته من الأحكام والاستنباطات، ويردُّ الضعيف والشاذِّ من الأقوال والأحكام معتمدا في ذلك على آليات ومسالك تقرِّبه لتحقيق هذا العمل وهو ما يعرف بالترجيح، وتعدَّدت تعاريف الأصوليين للترجيح ومنها نستقي الغرض والمراد، ومن هذه التعاريف ما يلي:

قال في **المحصول**: " تقوية أحد الطريقين على الآخر، لعلم الأقوى فيُعمل به ويُطرح الآخر".[2]

وجاء في **الإحكام**: "عبارة عن اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب مع تعارضهما بما يوجب العمل به وإهمال الآخر".[3]

---

[1] الكليات، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1419هـ/1998م، ص315.

[2] المحصول في علم أصول الفقه، تأليف: فخر الدين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، دط، دت، ج5، ص397.

[3] الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، ج4، ص291.

وفي **البحر المحيط**:"... بيان اختصاص الدليل بمزيد قوَّة عن مقابله ليُعمل بالأقوى".[1]

وفي **الحدود الأنيقة**: " الترجيح: إثبات مزيةٍ لأحد الدليلين على الآخر".[2]

وفي **البرهان**:" إنما مَظِنَّة الترجيحات تعارضُ صور الأدلة، وهي في غرضنا ألفاظ منقولة، ومعان مستنبطة".[3]

فتبين من هذه التعريفات أن الترجيح يكون من المجتهد بين دليلين متعارضين، ويكون في الألفاظ والأخبار كما يكون في المعاني، والغرض من ذلك إعمال أحد الدليلين أو المعنى المستنبط من أحدهما وإهمال الآخر.

إلا أنه ينبغي أن نفرِّق بين مفهوم الترجيح عند الأصوليين والفقهاء والمتعاملين مع الأدلة، وبين الترجيح عند المفسِّرين؛ فإنَّ هذا الأخير، يتَّصل بأقوال المفسرين في تفسيرهم للآية الواحدة.

فالتعارض يُتصوَّرُ **بين تلك الأقوال**، والدعوة إلى ترجيح بعضها على بعض إنما ينحصر في تلك **الأقوال**، وفي كلمة واحدة، فإذا كان الأصوليون يتحدَّثون عن التعارض والترجيح بين نصوص القرآن

---

[1] البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية،1413 هـ-1992م، ج6، ص130.

[2] الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تأليف: زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، دارا لفكر المعاصر، بيروت – لبنان-الطبعة الأولى:1411هـ-1991م، ص83.

[3] البرهان في أصول الفقه، تأليف: أبي المعالي الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، دار الأنصار -القاهرة-، دط، دت، ج2، ص1167.

والسُّنَّة، فالتعارض والترجيح عند المفسرين هو في **فهم المفسِّرين لتلك النصوص**، ويكون له سبب جوهري هو **سياق الآية والقرائن الحافة بنظمها**.[1]

وبهذا نخلُص إلى أن المقصود من الترجيح عند أهل التفسير هو:

تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليلٍ أو قاعدةٍ تُقَوِّيه، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه.[2]

فالترجيح: تقوية أحد الأقوال لدليل يقوِّي هذا القول، أو لتضعيف ورد ما سواه من الأقوال؛ لأنه إذا ضُعِّفَ غيره من الأقوال صار ذلك حصرًا للصواب فيه، وهذا من أوجه الترجيح.[3]

المطلب الثالث: أهميـــة الترجيـــح:

يعتبر الترجيح عملية مهمَّة في مجال تصحيح المدلولات والمعاني المستنبطة من الأدلة؛ للخروج بما يصلح للعمل به، واطِّراح الضعيف والشاذ منها وما لا يصلح العمل به، وكذلك الأقوال المحكيَّة في الآية المفسَّرة يُرجَّحُ القول الصحيح من الضعيف بمجموع قرائن ودلالات تعضِّدُ القول الصحيح؛ وبالتالي العملُ به وتقديمه، وتضعِّف القول الآخر؛ وبالتالي إهماله؛ لشذوذه وضعفه؛ وهذا فيما إذا لم يكن هناك فرصة للعمل بهما جميعا؛ إذ الإعمال أولى من الاهمال، والجمع أولى من الترجيح.

---

[1] ينظر: دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، تأليف: محمد إقبال عروي، روافد–وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت–الطبعة الأولى 1428هـ–2007م، ص36،37.

[2] قواعد الترجيح عند المفسرين، تأليف: حسين بن علي الحربي، راجعه: مناع بن خليل القطان، دار القاسم – الرياض–الطبعة الأولى: 1417هـ/1996م، ج1، ص35.

[3] قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ج1، ص35.

فالجمع والتوفيق بين أقوال السلف متعيِّن متى أمكن ذلك، فيجب الحمل عليها جميعا إذا احتملها اللفظ، ولم يمتنع إرادة الجميع، ولم تفض إلى مخالفة دلالات ظاهر القرآن، لما في ذلك من اعتبار كافة الأقوال في الآية وعدم ترك شيء منها.[1]

يقول **الشاطبي**[2] -رحمه الله-:" من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف، وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالف لمقطوع في الشريعة، .....**والثاني:** ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة؛ فتجد المفسِّرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالا مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، **والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل؛ فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه**".[3]

ويقول **الزركشي**[4] في معرض تنبيهه على ما يجب ملاحظته عند نقل أقوال المفسِّرين: " يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنِّفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم

---

[1] أقوال المفسرين-توجيهها ومسالك التوفيق بينها-، تأليف: حسين بن علي الحربي، دار كنوز إشبيليا –الرياض-الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م، ص12.

[2] أبو إسحاق ابراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، المؤلف المحقق، أحد العلماء الأثبات، وأكابر الأئمة الثقات، الفقيه الأصولي المفسر المحدث، عرف بالصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع. له تآليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد، وتحقيقات لمهمات الفوائد، منها (الموافقات)، (الإعتصام)، توفي في شعبان سنة:(790هـ). ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، (دط)، (دت)، ص231. وينظر: الأعلام (1 / 75).

[3] الموافقات، تأليف: أبو إسحاق الشاطبي، ضبط وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، -السعودية- الطبعة الأولى:1417هـ-1997م، ج5، ص210.

[4] محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد، ولد سنة:(745هـ). له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (البحر المحيط) في أصول الفقه، و(إعلام الساجد بأحكام المساجد) و(الديباج في توضيح المنهاج)، وغيرها، توفي بمصر سنة :(794هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي، (6 / 61).

عنده أن في ذلك اختلافا فيحكيه أقوالا، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنًى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهرُ عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يعود إلى معنى واحد غالبا، والمراد الجميع، فليتفطن لذلك؛ ولا يفهم من اختلاف العبارات، اختلاف المرادات، كما قيل:

عباراتنا شتَّى وحُسْنُكَ وَاحِدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمالِ يُشِيرُ

هذا كله حيث أمكن الجمع، فأمَّا إذا لم يمكن الجمع، فالمتأخِّر من القولين عن الشخص الواحد مقدَّم عنه إن استويا في الصحَّة، وإلا فالصحيح المقدَّم".[1]

ويقول **محمد الطاهر ابن عاشور**[2]: " وإنَّك لتمرُّ بالآية الواحدة فتتأمَّلها وتتدبرها؛ فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف العبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حَصَر ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر، إن كان التركيب سمحا بذلك. فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن، وتراكيبه، وإعرابه ودلالته، من اشتراك، وحقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وبديع ووصل، ووقف، إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق، **يجب حمل الكلام على جميعها**".[3]

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2، ص159،160.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده بتونس سنة: (1296هـ) ودرس بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعيْنِ العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنَّفات مطبوعة، أشهرها (مقاصد الشريعة الاسلامية) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي بتونس سنة: (1393هـ). ينظر: الأعلام :(6 / 174).

[3] التحرير والتنوير، تأليف: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، طبعة سنة: 1984م، ج1، ص97.

أَما إذا لم يمكن الجمع بين الأقوال والاحتمالات في معاني الآيات؛ فتفسير الآية بما هو راجح أمر لازم حتما، ولا يسع أحدا أن يعدل عن تفسير الآية بالراجح إلى المرجوح، كما قرر أصل المسألة أكثر علماء الأصول؛ بتقريرهم وجوب العمل بالرَّاجح وحكوا إجماع الصحابة على ذلك.[1]

قال **الآمدي**[2]: " وأما أنَّ العمل بالدليل الراجح واجب فيدل عليه ما نُقل وعُلم من إجماع الصحابة والسلف في الوقائع المختلفة على وجوب تقديم الراجح من الظَنَّيْن ...وكانوا لايعدلون إلى الآراء والأقيسة إلا بعد البحث عن النصوص واليأس منها، ومن فتش عن أحوالهم ونظر في وقائع اجتهاداتهم علم علما لا يشوبه ريب، أنهم كانوا يوجبون العمل بالراجح من الظنَّيْنِ دون أضعفهما... ولأنه إذا كان أحد الدليلين راجحًا؛ فالعقلاء يوجبون بعقولهم العمل بالراجح".[3]

وقال **في المحصول**:" لو لم يُعمل بالراجح: لزم العمل بالمرجوح، وترجيح المرجوح على الراجح ممتنع في بدائِهِ العقول".[4]

---

[1] قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، ج1، ص54،55.

[2] علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث، أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها سنة: (551هـ)، وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر. توفي بدمشق سنة: (631هـ)، له من المصنفات: (الإحكام في أصول الأحكام)، ومختصره (منتهى السول)، المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين). الأعلام، (4 / 332).

[3] ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، (ج4، ص292)، وينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة – الرياض –، الطبعة الأولى: (1421هـ/2000م)، ج2، ص1116-1120.

[4] المحصول في علم أصول الفقه، الرازي، ج5، ص398.

وتنزيه القرآن عن الشاذِّ والضَّعيف من الأقوال، أمر تقرَّر عند العلماء عامَّة وعلماء التفسير وعلوم القرآن خاصَّة وهذه بعض النقول عنهم:

أ– الإمام الطبري[1] وفي معرض ترجيحه لقول من الأقوال المحكية في الآية في سورة [آل عمران: 109]، قال: " وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب؛ لأن **كتاب الله عز وجل لا توجَّه معانيه وما فيها من البيان إلى الشواذ من الكلام والمعاني**، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود".[2]

ب– العز بن عبد السلام[3] عندما عدَّدَ ضروب التفسير وأنواعه وما ينبغي أن يكون عليه المفسِّر في التعامل مع النص القرآني قال: " وعلى الجملة فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على **أصحِّ المعاني، وأفصح الأقوال** فلا يُحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك ".[4]

ج– أبو العباس ابن تيمية قال: "... كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ

---

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الحافظ، أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، ولد في آمل طبرستان سنة :(224هـ)، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، توفي ببغداد سنة: (310هـ)، له من التصانيف، (جامع البيان في تفسير القرآن)، (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري. ينظر: تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، (دط)، (دت)، ج2، ص710. والأعلام: (6 / 69).

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الطبعة الأولى: 1422هـ، 2001م، ج5، ص670.

[3] عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد بدمشق سنة: (577هـ)، توفي بالقاهرة سنة: (660هـ). من كتبه: (التفسير الكبير)، (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام). ينظر: الأعلام :(4 / 21).

[4] الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تأليف: عز الدين بن عبد السلام، المطبعة العامرة، 1313هـ، ص 220.

أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:22]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام –مقام حكاية الخلاف في التفسير– وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَّفَ القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحَّته؛ إذ لو كان باطلا لردَّه كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطِّلاعَ على عِدَّتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا، ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ ، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ ، أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف؛ أن تُستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنَبَّه على الصحيح منها، ويُبطَل الباطل، وتُذكر فائدة الخلاف وثمرته، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيُشتغل به عن الأهم . **فأمَّا من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبِّه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا. فإنْ صحَّحَ غير الصحيح عامدا فقد تعمَّد الكذب، أو جاهلا فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالا متعددة لفظا، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيَّع الزمان، وتكثَّر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور. والله الموفق للصواب".**[1]

[1] مجموع الفتاوى (13/ 197).

المطلب الرابع: الترجيـــح وتقـديـــم الأَوْلَـــى:

الفرع الأول: تقديم الأولى:

يعتبر تقديم الأولى من الأقوال في التفسير؛ مختصًّا بالنظر في الأقوال التي يحتملها اللفظ، ولا تعارض بينها، ولا تعارِضُ نصًّا من القرآن أو السنة، غير أنَّ بعضها أولى من بعض؛ لكون القرآن ودلالة ألفاظه يشهد لقول، أو السنة تشهد لأحدها، أو لغة العرب، أو قرائن السياق، أو أسباب أخر تقضي بتقديم أحد الأقوال، ولا يلزم من تقديم قول أنْ يُطَّرَح ما سواه؛ بل هذا من باب تقديم الأولى، وإن كانت بقية الأقوال لها وجه في الآية، وهذه المرتبة تكون في بعض صور اختلاف التنوع المأثور عن السلف.[1]

الفرع الثانـــي: الترجـــيـــح:

ويصار إليه عند عدم إمكان الجمع بين الأقوال لتعارضها تعارضا لا يمكن معه إرادة الجميع، ويكون ذلك في حال كون الخلاف من قبيل خلاف التضادِّ، ويكون الترجيح باعتماد وجوه الترجيح المعتبرة في النصِّ نفسه، أو بقرينة ودليل خارج عنه؛ وذلك لاعتماد الصحيح من الأقوال دون الخاطئ أو الشاذ منها.[2]

والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها فى لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعانى من كل ذلك.[3]

---

[1] أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها، حسين بن علي الحربي، ص14.

[2] أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها، ص14.

[3] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج1، ص18.

المبحـــث الثـــانـــي: مفـهـوم الدلالة:

تمهيـــــد:

إنَّ مصطلح الدلالة مصطلح تشترك في استعماله عدَّة علوم والجامع بينها هو لغة العرب حيث انها تعتبر المنهل الروي لكل تلك العلوم في التأصيل لدلالاتها، فاللغة العربية من مباحثها علم الدلالة، وأصول الفقه، وعلم المنطق، ولعلم التفسير دلالات الألفاظ والمعاني، والتي من ثمراتها الهداية والبيان والدلالات مبحث مهم ودراسته أمر ضروري؛ فمن خلاله يُتوصل إلى معرفة حقيقة المدلولات ومعانيها الصحيحة، وفيما يلي بيان لتعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح:

المطلب الأول: الدلالة لغة:

جاء في **معجم مقاييس اللغة:** " الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارة تتعلَّمها، والآخر: اضطرابٌ في الشيء.

فالأول: قولهم دَلَلْتُ فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة.

والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشيء، إذا اضطرب. قال أوس:

أم من لحُيِّ أضاعوا بعض أمرهم بين القَسُوط وبين الدين دَلْدَالِ

والقَسوط: الجور، والدين: الطاعة.[1]

وفي **لسان العرب:** " ودلَّه على الشيء يدلُّه دَلَالَةً ودِلَالَةً فاندلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدليل ما يُسْتَدَلُّ

[1] معجم مقاييس اللغة، ج2، ص260.

به والدَّليل الدَّال. ودَلَلْتُ بهذا الطريق: عَرَفْتُهُ، ودَلَلْتُ به أدلُّ دَلَالَةً".[1]

وفي **تهذيب اللغة:** " ابن السكِّيت عن الفرَّاء: دليل من الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح.

وقال شمر: دَلَلْتُ بهذا الطريق دَلالة، أي: عرَفته، ودللت به أدلُّ دَلالة".[2]

فمن مجموع النصوص اللغوية السابقة، يتبين لنا معنى الدلالة وما تحمله من معاني البيان والهداية والإرشاد والتوضيح.

المطلب الثاني: الدلالة اصطلاحا:

جاء في **التعريفات:**" الدَّلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلمُ بشيء آخر، والشيء الأوَّل هو الدَّالُّ، والثاني هو المدلول، كيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص".[3]

وفي **الكليات:** " الدلالة: كون الشيء بحيث يفيد الغيرَ علمًا إذا لم يكن في الغير مانع، كمزاحمة الوهم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية".[4]

---

[1] لسان العرب، ج2، ص 1414.

[2] تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1387هـ/ 1967م، ج14، ص66.

[3] معجم التعريفات: تأليف: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة–(دط)، (دت)، ص.91

[4] الكليات، ص439.

وفي **الحدود الأنيقة:** " الدلالة كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. ودلالة اللفظ على معناه مطابقةٌ، وعلى جزئه تضمُّنٌ، وعلى لازمه الذهني التزامٌ".[1]

وفي **مفردات القرآن:** " الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصدِ ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصدٍ كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:14]، أصل الدلالة مصدر كالكناية والأمارة، والدالُّ من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر و قدير، ثم يسمَّى الدَّالُّ والدليل دِلالة كتسمية الشيء بمصدره".[2]

فمن مجموع هذه التعريفات نستنتج أن الدلالة هي ما يُتوصل بها ويُهتدى إلى فهم مراد المتكلم من ألفاظه وعباراته، وفهمُ مقصود الكلام وألفاظِه وإدراكُ معانيه، مبنيٌ على عدم وجود موانع في المتلقي والسامع تمنعه من تفهُّمها وإدراكها. ومن الدلالات دلالات ألفاظ القرآن الكريم الذي هو كلام الله عزَّ وجل، فلا وقع لكلام الله عزَّ وجل ولا هداية ولا بيان؛ إذا لم يكن هناك تدبُّرٌ و تفهُّمٌ و تعقُّل ولن تكون هناك علاقة تأثير بين الدالِّ الذي هو القرآن والمتلقي؛ إذا وجدت موانع تمنع من ذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق:37].

---

[1] الحدود الأنيقة، ص79.

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن، تأليف: الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني، الملقب بالراغب الأصفهاني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، (دط)، 1432هـ/2010م، ص130.

المبـحث الثالـث : مفهـوم السيـاق :

تمهيـــــــد:

إن الكلام عن السياق هو الكلام عن أصلٍ مطرد في كتاب الله عز وجل، حيث أنه يمثل الوحدة الموضوعية الكاملة التي تبين الترابط والتناسق بين ألفاظ القرآن، وتراكيبه، وآياته وسوره، وكذلك بين معانيه، وما هذا التناسق والترابط السياقي إلا دليل على ذلك الإعجاز الرباني، لكلامه سبحانه وتعالى، حيث أنه لا يمكن الاستغناء عن حرف واحد من القرآن، فضلا عن كلمة، أو جملة، وإخراجها عن سياقها، وفيما يلي لمحة عن السياق وأهميته في التفسير وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: السيـــاق لـغــة:

جاء في **لسان العرب:** " السَوْقُ معروف، ساقَ الإبل وغيرها، يسوقها سوْقا وسِيَاقاً، وهو سائق سوَاق...، وقد انْسَاقَتْ وَتَسَاوَقَتْ الإبل تَسَاوُقاً إذا تَتَابعت، وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تسَاوَقُ أي: ما تَتَابَعُ. وساق إليها الصداق والمهر سياقاً وأساقه، والسِّيَاق المهر، لأنَّ العرب كانواْ إذا تزوَّجواْ ساقواْ الإبل والغنم مهراً لأنها الغالب على الأموال، والسياق نزع الروح وفي الحديث حضرنا عمرو ابن العاص وهو في سياق الموت".[1]

وفي **معجم مقاييس اللغة:** " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدوُ الشيء (أي تتابعه بالسير)، يقال ساقه يسوقه، سوقاً، والسَّيِّقة، ما استيق من الدواب، والسُّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء".[2]

---

[1] لسان العرب، (3/ 2153-2154).

[2] معجم مقاييس اللغة، (3/ 117).

فمن مجموع النصوص اللغوية المتقدمة نستطيع أن نقول أنَّ السياق يدل على انتظامٍ متوال في الحركة لبلوغ غاية محدودة دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال.[1]

المطلب الثـــانـــي: السيـــاق اصطـــلاحا:

لم يتعرض العلماء قديما لوضع تعريف للسياق رغم أنهم كانوا يستعملونه وينبهون على أهميته –كما سيأتي – ولعل السبب في ذلك:

أ–أنَّ العلماء كان اعتناؤهم بالسياق كقرينة شرعية، توظَّف في الترجيح أو كخطوة من خطوات التفسير، فلم يقدِّموا تعريفا لهذا المصطلح، بل إنهم يتجهون رأسا إلى الحديث عنه من حيث دلالته وأقسامه وتطبيقاته، كأنَّ حدَّه معلوم ابتداءً، ويُدرك بداهة.[2]

ب–أنه من أعضل المشكلات توضيح الواضحات، فتوضيح الواضح يزيده غموضا فكلمة السياق أصلها كما ذكر ابن فارس (حدوُ الشيء)، فهي تدور على معنى التتابع والانتظام والاتصال، فعندما تضاف هذه الكلمة إلى" الكلام "يكون المعنى تتابع الكلام وانتظامه واتصاله لأداء المعنى المراد .وهذا واضح عندهم لا يحتاج إلى توضيح.[3]

---

[1] نظرية السياق القرآني، تأليف: المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل، طبعة1، 2008، ص14.

[2] السياق القرآني ودلالته في التفسير، الباحث: العربي نقوب، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، 2009–2010، ص28.

[3] السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمان عبد الله المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – السعودية– 1429هـ/2008م، ص72.

ونظرا لكوننا نتكلم عن السياق في مجال الدراسات القرآنية فسيكون التعريف في مجال السياق القرآني، ولقد تعدَّدت التعاريف **لمصطلح السياق القرآني**: نقتصر على بعضها لبيان المقصود:

الأول: السياق القرآني هو: تتابع المعاني وانتظامها، في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال.[1]

الثاني: بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها.

(فبيان الكلمة أو الجملة القرآنية): هو فعل الدليل وهو الدلالة

(منتظمة): الكلمة أو الجملة

(مع ماقبلها وما بعدها) هذا هو السياق القائم على ركنين هما: السابق واللاحق. [2]

الثالث: " السياق هو: تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى.

ويكون السياق القرآني: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.

وتكون دلالة السياق: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة.

ودلالة السياق القرآني: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة ".[3]

---

[1] نظرية السياق القرآني، مرجع سابق، ص15.

[2] دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، الباحث: أحمد فلاح المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007، ص20.

[3] السياق القرآني وأثره في التفسير، مرجع سابق، ص72.

المطلب الثالث: مفهوم السباق واللحاق والعلاقة بينهما:

الفرع الأول: مفهوم السباق

جاء في **معجم مقاييس اللغة:** " السين والباء والقاف: أصل واحد صحيح يدل على التقديم، يقال: سبقَ، يسبق، سبقاً ".[1]

وفي الكليات:" السباق بالموحَّدة، ما قبل الشيء".[2]

الفرع الثاني: مفهوم اللحاق:

في **معجم مقاييس اللغة:** (لحق): اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال لحق فلانُ فلاناً فهو لاحقه".[3]

وفي **معجم المفردات:** " لَحِقته ولَحِقْتُ به، أدركته **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران:170] ".[4]

الفرع الثـــالث: العلاقة بين(السياق)، و(السباق)، و(اللحاق):

السياق أعم، قال **الكفوي**[5] بعد أن ذكر السباق بالموحدة: (السياق أعم)، يعني أعم من السباق (فيكون السباق واللحاق باجتماعهما يسمى سياقا).[6]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (3/ 129).

[2] الكليات للكفوي، ص508.

[3] معجم مقاييس اللغة، (5/ 238).

[4] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص341.

[5] أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب (الكليات) كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة (1094م). ينظر الأعلام، (38/2).

[6] قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين ابن علي الحربي، ج1، ص126.

وهذا الذي ذهب إليه الكفوي ليس على إطلاقه؛ فقد يكون السباق وحده سياقًا، واللحاق وحده سياقا؛ وهذا ما نستشِفُّه ونلحظه لتوظيف علماء التفسير للسياق، فيطلقون الترجيح بالسياق ويريدون به السباق، أو اللحاق، أو كلاهما، كما سيتبيَّن في توظيف ابن عطية للسياق في جانبه الترجيحي عند التعرض للفصل التطبيقي من هذه الدراسة.

وعلى هذا التوضيح بين الألفاظ الثلاثة يتبين أن شرح الكلام وتوضيحه مبنيٌّ على النظر إلى سباقه ولحاقه، فمتى لم ينظر إلى سباق الكلام وهو ما تقدمه، ولا إلى لحاقه، وهو ما أدركه ولحقه من المعاني، لا يمكن إدراك معنى السياق وخذ مثالا لكلام البشر وطبِّق عليه ذلك، فستجد الركاكة وعدم وضوح المعاني بلْهَ في كلام الله عز وجل الذي من إعجازه الاتساق والترابط بين ألفاظه ومعانيه.

المبحث الرابع: أهمية السياق ودلالته على الترجيح:

المطلب الأول: بيان أهمية السياق:

يعتبر السياق من الركائز الأساسية لفهم معاني القرآن الكريم، ومراعاة السياق في التفسير معناه تفسير القرآن بالقرآن، والذي يعتبر من أشرف أنواع التفاسير؛ لأنه لا أحد أعرف بمدلول كلامه ومعناه من الذي تكلَّم به، والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح من نَطَقَ بالعربية، وعرف معاني ألفاظها؛ فكان صلى الله عليه وسلم يُعمِل دلالة السياق في بيان معاني كلام الله عز وجل وهذا دليل على أهمية هذه الدلالة في مجاري كلام الله عز وجل خصوصا وكلام العرب عموما، ولنأخذ مثالا واحدا على ذلك وغيرُها كثير:

– قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها – عندما سألته عن –قوله عز وجل –﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 60]، فقالت هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " لا يابنت الصديق، ولكنَّهم الذين يصلُّون ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون".[1]

فالنبي صلى الله عليه وسلم أعمل دلالة السياق للخروج بهذا المعنى، وبالتحديد بلحاق الآية الذي يعتبر أحد رُكْنَيْ السياق.

وعلى هذا المنهج التفسيري سار الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كانوا كذلك يُعملون دلالة السياق في فهم معاني كلام الله عز وجل: ولنكتفي بمثال واحد فقط وغيره كثير لمن تَتَبَّعه:

–عن يُسَيْع الحضرمي قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال رجل يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 141]، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون ؟ قال له علي : أُدْنُهْ، أُدْنُهْ، ثم قال: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 141] ، يوم القيامة".[2]

---

[1] رواه: والترمذي في السنن في (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب 23، من سورة المؤمنون، حديث رقم: 3175)، وابن ماجه في سننه (كتاب الزهد، باب التوقي: باب التوقي على العمل، حديث رقم :(4198)، وأحمد في المسند (ج42، حديث رقم 25705)، وهو في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) للشيخ الألباني ج1، ص304، حديث رقم:(162).

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ج7، ص609.

فعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه حَكَّمَ سياق الآية في بيان معناها، وأن المقصود يوم القيامة وليس كما فهم السائل من أنَّ المعنى هو عدم انهزام المسلمين على يد الكفار مطلقا، مستدلا على فهمه السقيم بالواقع المعاش آنذاك، فردَّه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى سياق الآية، وصحَّح له الفهم، وما هذا إلا دليل على أهمية السياق في التوجيه إلى أرجح المفاهيم.

وعلى هذا المنهج سار العلماء بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام؛ في اعتبار دلالة السياق وإعمالها والاستناد إليها في بيان معاني كلام الله عز وجل وهذه بعض النقول عنهم على سبيل التمثيل لا الحصر تُبَيِّنُ أهمية دلالة السياق:

– **عن عبد الله بن مسلم بن يسار**، عن أبيه قال: إذا حدَّثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.[1]

– عقد **الإمام الشافعي**[2] رحمه الله تعالى في كتابه الرسالة باباً سمَّاه (الصنف الذي يبيِّن سياقُه معناه) ثم مثَّل رحمه الله بمثال: قال: " قال الله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ

[1] تفسير القرآن العظيم، تأليف: الحافظ عماد الدين ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى:(142هـ/2000م، ج1، ص17.

[2] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة (بفلسطين)سنة(150هـ) برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيا مفرطا. توفي بمصر سنة :(204هـ). له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، (المسند) في الحديث، (الرسالة) في أصول الفقه. انظر الأعلام: (6 / 26)، تذكرة الحفاظ: (1 / 361-363).

ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَۙ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163]، **فابتدأ جل ثناؤه ذكرَ الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال:** ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَۙ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163] ، **دلَّ** على أنه إنما أراد أهل القرية، لأنَّ القرية لا تكون عاديَةً ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون".[1]

وقال الشاطبي(790هـ): "كلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مَهْوَى القُرْط، وما لا ينحصر من الأمثلة، لو أُعتُبر اللفظ بمجرَّده لم يكن له معنًى معقول؛ فما ظنُّك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلَّم؟ ".[2]

وقال في موضع آخر:" المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأقوال والنوازل، وهذا معلوم

---

[1] الرسالة، تأليف: محمد ابن إدريس الشافعي، تحيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية-بيروت-(دط)، (دت)، ص 63،62.

[2] الموافقات، الشاطبي، ج3، ص419.

في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أوَّل الكلام وآخره، بحسب القضيَّة وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أوَّلها دون آخرها، ولا في آخرها دون أوَّلها، فإنَّ القضيَّة وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنَّها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن ردِّ آخر الكلام على أوَّله، وأوَّله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلَّف".[1]

– **الإمام الزركشي** قال رحمه الله: "دلالة السياق" أنكرها بعضهم ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى، ثم نقل عن الشيخ عز الدين في "كتاب الإمام": السياق يرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات".[2]

وقال أيضاً: بعد ذكر الأمور التي تعين على فهم المعنى عند الإشكال: " دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته".[3]

وقد ذكر في ثنايا كتابه أمثلة تبيِّن أهمية السياق في بيان المعاني فقال –رحمه الله–: " فإن قيل: فهل يظهر فرق بين قوله تعالى﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس: 31]، وبين قوله تعالى في سورة سبأ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[سبأ: 24]، قيل : السياق في كلٍّ منهما يرشد إلى الفرق؛ السياق في كل منهما مرشد

---

[1] الموافقات، (4 / 266).

[2] البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثاية،1413 هـ-1992م، ج 6، ص 52.

[3] البرهان في علوم القرآن، تأليف: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة-(دط)، (دت)، ج2، ص200.

إلى الفرق فإن الآيات التي في يونس سيقت للاحتجاج عليهم بما أقروا به من كونه تعالى هو رازقهم ومالك أسماعهم وأبصارهم ومدبر أمورهم بأن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فلما كانوا مقرين بهذا كله؛ حَسُن الاحتجاج به عليهم؛ إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره؛ فكيف تعبدون معه غيره ولهذا قال بعده ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[يونس: 31]، أي: هم يقرُّون به ولا يجحدونه، والمخاطَبون المحتَجُّ عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرِّين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها ولم يكونوا مُقِرِّين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى ينتهي إليهم؛ فأُفردت لفظة السماء هنا لذلك، وأمَّا الآية التي في سبأ، فإنه لم ينتظم لها ذكرُ إقرارهم بما ينزل من السماء؛ ولهذا أمر رسوله بأن يجيب وأن يَذْكُر عنهم أنَّهم هم المجيبون فقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[سبأ: 24]، ولم يقل ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ ، أي: الله وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات".[1]

– أبو العباس ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: بعد أن ذكر أسباب الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال قال: " الجهة الثانية: قوم فسَّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلِّم بالقرآن، والمُنزَل عليه، والمخاطب به...إلى أن قال: فهذا الصِّنف راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربيُّ؛ من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام". [2]

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج4، ص9.
[2] مجموعة الفتاوى، ج13، ص190،191.

وقال **ابن القيم**[1]: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته ". [2]

وقال **عبد الرحمان ابن سعدي**[3]: " وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله؛ فمن مطوِّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حلِّ بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد؛ وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فينظر في **سياق الكلام وما سيق لأجله**، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم، حضريِّهم وبدويِّهم؛ **فالنظر لسياق الآيات**، مع العلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه ".[4]

---

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين: الحنبلي العلامة، ولد سنة (691هـ)، صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية، توفي سنة (751هـ). له من التصانيف الشيء الكثير منها: (إعلام الموقعين)، (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل). انظر: بغية الوعاة (1 / 62-63)، الأعلام: (6 / 56).

[2] بدائع الفوائد، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (دط)، (دت)، ج4، ص1314.

[3] العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد سنة (1307هـ) في (عنيزة) بالقصيم وتوفي بها سنة: (1376هـ)، له نحو ثلاثين كتابا منها (تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان)، (طريق الوصول إلى العلم المأمول من الاصول)، وغيرها. انظر الأعلام (340/3) وانظر: مشاهير علماء نجد، تأليف: عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة الثانية سنة: (1394هـ)، (ص392-397).

[4] تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، (دط)، (دت)، ج1، ص04.

المطلب الثـــاني: السيـــاق ودلالتـــه على التـرجيـح:

الفرع الأول: ضوابط الترجيح بدلالة السياق:

لقد سبق الإشارة إلى أهمية السياق في فهم معاني كلام الله عز وجل وتفسيره، وكيف أنَّ العلماء أكَّدوا على أهميته في بيان المعنى، إلا أنه بقي أن نعلم أن السياق دلالة قوية في الترجيح بين الأقوال وقد نصَّ على ذلك جمع من العلماء، ونصُّوا على أنه رغم ما لدلالة السياق من قوة في الترجيح؛ إلا أنَّ لذلك ضوابط.

وقد أشار إلى ذلك **الزركشي في البرهان** حيث قال: " واعلم أنَّ القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل عمَّن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأوَّل ثلاثة أنواع:

إمَّا أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة ، وأن عن رؤوس التابعين؛ فالأوَّل يُبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسَّره من حيث اللغة فَهُمْ أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسَّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه؛ وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قُدِّم ابن عباس؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم بشَّره بذلك حيث قال " اللهمَّ علِّمه التأويل" ... فإن تعذَّر الجمع جاز للمقلِّد أن يأخذ بأيِّها شاء وأمَّا الثالث وهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم ولا إلى أحد من الصحابة، رضي الله عنهم فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا، وإلا وجب الاجتهاد.

الثاني: ما يرد فيه نقل عن المفسِّرين، وهو قليل، وطريق التوصُّل إلى فهمه النَّظَرُ إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب" المفردات" فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنَّه اقتنصه من السياق".[1]

[1] البرهان، الزركشي، (2 / 172).

فنَخلُصُ من كلام الزركشي أنّه لا يُصار إلى السياق حتى يَمُرَّ المفسِّر بالصحيح من كلام النبي، صلى الله عليه وسلم، وما أُثر عن الصحابة في تفسير الآية، خاصّة ابن عباس وكذلك رؤوس التابعين؛ ثم بعد ذلك لغة العرب والنظر إلى سياق الكلام.

وجاء في كتاب قواعد الترجيح لحسين الحربي ذكر هذه الضوابط وذكر أنَّ ابن جرير ذكرها في تفسيره فقال: " **[قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له]**، فإذا تنازع المفسِّرون في تفسير آية أو جملة من كتاب الله فمنهم من يحملها على معنىً لا يخرجها عن سياق الآيات، ومنهم من يحملها على معنى يخرجها عن معاني الآيات قبلها وبعدها، ويجعلها معترضة في السياق فحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن؛ لأنَّه أوفق للنظم وأليق بالسياق ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير أو يصحِّحُ غيره.

وقولهم " **إلا بدليل يجب التسليم له**". نبَّه إليه الطبري رحمه الله-في مواضع كثيرة في معرض تقريره لهذه القاعدة وترجيحه بها، ثمَّ بين هذا الدليل الذي يُصرف له الكلام عن سابقه ولاحقه بأنّه:

1-خبر صحيح متَّصل السند، يفسِّر الآية ويخرجها بذلك عن سابقها ولاحقها. أو يكون مصحِّحا لأحد الأقوال التي قيلت في الآية والتي تُخرجها عن سياقها.

2-أو إجماع من أهل التأويل على تفسير الآية، ويكون ذلك التفسير مخرجا لها عن سباقها ولحاقها ".[1]

[1] قواعد الترجيح عند المفسِّرين، ص126.

وهذا نصُّ كلام **الطبري من جامع البيان حول الترجيح بهذه القاعدة مع النَّصِّ على هذه الضوابط:**

فقد رجَّح في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31]، رجَّح فيها قول محمد بن جعفر ابن الزبير حيث قال: " وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير؛ لأنَّه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذِكر قومٍ ادَّعوا أنَّهم يحِبُّون الله ولا أنَّهم يعظِّمونه ... وأمَّا ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه، فلا خبر به عندنا يصحُّ فيجوز أن يقال: إن ذلك كذلك.

فإذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا، ولا في الآية دليل على ما وصفنا، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدَّلالة من آي السورة، وذلك هو ما وصفنا؛ لأنَّ ما قبل هذه الآية من مُبتدَإِ هذه السورة وما بعدها خبرٌ عنهم، واحتجاج من الله لنبيِّه محمَّد صلى الله عليه وسلم، ودليل على بُطول قولهم في المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضا مصروفة المعنى إلى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها".[1]

وقال في موضع آخر: " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: عُنِيَ بذلك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ [الأنعام: 91]، مشركوا قريش، وذلك أنَّ ذلك في سياق الخبر عنهم أوَّلا، فأنْ يكون ذلك خبرًا عنهم، أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولـمَّا يجرِ لهم ذكرٌ يكون هذا به متصلا ... وإذا لم يكن بما روي من الخبر، بأنَّ قائل ذلك كان رجلا من اليهود، **خبر صحيح متَّصل السند،** ولا كان على أنَّ ذلك كان كذلك **من أهل التأويل إجماع،** وكان الخبر من أوَّل السورة ومُبْتَدَئِها إلى هذا الموضع خبرا

[1] جامع البيان، (5 / 326،327).

عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ موصولا بذلك غير مفصول منه، لم يَجُز لنا أن ندَّعيَ أنَّ ذلك مصروفٌ عمَّا هو به موصول، إلَّا بحجَّة يجب التسليم لها ". [1]

الفـــرع الثـــــاني: اعتماد المفسرين على دلالة السيـــاق في الترجيح:

لقد اعتنى علماء التفسير قاعدةَ السياق في ثنايا تفسيرهم للترجيح بين الأقوال ويعتبر هذا البحث محاولة لإبراز أهمية هذه الدلالة في الترجيح، وهذه بعض النقول وقد سبق بعضها في بيان ذلك:

أ– العز ابن عبد السلام–رحمه الله–قال: "وقد يتردَّدُ بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض ويترجَّحُ بعضها على بعض وأولى الأقوال ما دلَّ عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة أو إجماع الأمة أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما **أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى** ... وإذا كان للاسم الواحد معانٍ كالعزيز بمعنى القاهر وبمعنى الممتنع وبمعنى الذي لا نظير له، حُمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق كَيْلَا يتبتَّر الكلام وينخرم النظام".[2]

ب– ابن جزيّ (ت741هـ) –رحمه الله–ذكر من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين اثنا عشر وجها ذكر منها: " السادس: أن يشهد بصحة القول **سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده**".[3]

---

[1] جامع البيان، (9 / 397).

[2] الإيجاز في الإشارة إلى المجاز، العز بن عبد السلام، ص 220.

[3] التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 13).

وقال في كتاب **الإمام** " السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات".[1]

الفـــرع الثـالث: تطبيقـات المفسِّرين لدلالة السيـــاق في الترجيـح:

أمَّا **تطبيقات المفسرين لدلالة السياق في الترجيح بين الأقوال** فكثيرة فيما يلي جملة من ذلك:

1- ابن جرير الطبري-رحمه الله-: قال: " اختلف أهل التأويل في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام:26]

فقال بعضهم: معناه: هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله، ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ يتباعدون عنه .

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾، عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه .

وقال آخرون: معنى ذلك: وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ يتباعدون عن دينه و اتباعه".[2]

ثم قال بعد أن أسند كل هذه الأقوال إلى قائليها:" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويله:﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ : عن اتباع محمد صلى الله عليه و سلم مَن سواهم من الناس، وينأون عن اتباعه. وذلك أن **الآيات قبلها** جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به، والخبر عن تكذيبهم

[1] الإمام في بيان أدلة الأحكام، تأليف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دراسة وتحقيق: رسالة ماجستير للطالب رضوان مختار بن غربية، جامعة أم القرى، (1404هـ/1984م، ص75.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج9، ص201-204.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ خبرا عنهم، إذ لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما **قبل هذه الآية وما بعدها** يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون أن يكون خبرا عن خاص منهم".[1]

وقال في موضع آخر في تفسير قوله تعالى﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ ﴾، [الأنعام: 65]، قال : " اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية؛ فقال بعضهم: عني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه و سلم، وفيهم نزلت.

وقال آخرون: عني ببعضها أهل الشرك، وببعضها أهل الإسلام؛ ثم قال بعد أن أسند الأقوال إلى قائليها: والصواب عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطب بها؛ **لأنَّها بين إخبار عنهم و خطاب لهم و ذلك أنها تتلو قوله:** ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ ﴾ [الأنعام: 63-64] . **ويتلوها** قوله: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ ﴾ [الأنعام: 66] . وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذِّبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت **هذه الآية بين هاتين الآيتين**، كان بيِّنًا أن ذلك وعيدا لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه

[1] جامع البيان، (9 / 205).

بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر، غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإنه قد عمَّ وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها ".[1]

2-الإمام القرطبي (ت671هـ) -رحمه الله-: قال في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الحجر:47]، قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنَّة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم و تصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم ونحوه عن علي رضي الله عنه.

وقال علي بن الحسين: نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. **والقول الأول أظهر؛ يدل عليه سياق الآية**".[2]

فرجَّح القرطبي القول الأول لأن سياق الآية في ذكر أهل الجنة وما لهم من النعيم، بعد ذكر جهنَّم وأنها موعد الغاوين من أتباع الشيطان، فالسياق في ذكر الجنة والنار وبيان حال المتقين الأبرار وليس السياق في بيان حال الجاهلية وما كان بين الصحابة.

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ [البقرة: 27]، فقال رحمه الله بعدما ذكر الخلاف في من المقصود بهذه الآية أهمُ الكفار أم أهل الكتاب؟ فقال:

" قلت: **وظاهر ما قبل وما بعد** يدل على أنها في الكفار".[3]

---

[1] جامع البيان عن تفسير آي القرآن، (9 / 308).

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (12 / 219).

[3] الجامع لأحكام القرآن (1 / 370) ولمزيد أمثلة انظر: (16/ 171)، (04/ 489).

3-الحافظ ابن كثير[1] –رحمه الله–فقد كان له اعتناء كبير بالسياق من حيث الترجيح والتضعيف والاستنباط؛ ومما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء:37]، قال: " وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود، بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه و سلم وكتمانهم ذلك ... ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر **أن السياق في البخل بالمال،** وإن كان البخل بالعلم داخلا في ذلك بطريق الأولى، فإن **سياق الكلام** في الإنفاق على الأقارب الضعفاء، وكذلك **الآية التي بعدها** وهي قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[النساء:38]؛ فإنه ذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين، الذين يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يُمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله". [2]

وقال في معرض ردِّه لأحد الأقوال في التفسير في قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[النساء:6]، قال: " وقال ابن وهب: حدثنا نافع بن أبي نعيم القارئ، قال سألت يحي بن سعيد الأنصاري، وربيعة، عن قول الله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [النساء:6] ؟ الآية.

فقالا: ذلك في اليتيم، إن كان فقيرا أَنفق عليه بقدر فقره، ولم يكن للولي منه شيء.

---

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد سنة: (701هـ)، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق سنة:(774هـ). تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه (البداية والنهاية)، (تفسير القرآن الكريم). ينظر: الأعلام، (320/1).

[2] تفسير القرآن العظيم، (4 / 48،49).

وهذا **بعيد من السياق** لأنه قال: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾[النساء:6]، يعني: من الأولياء ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ أي: منهم .﴿ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾أي: بالتي هي أحسن".[1]

4-الإمام الشوكاني[2]-رحمه الله-فقد جاء عنه في تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة: 146]، قال: " قيل : الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم: أي يعرفون نبوته، روي ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم.

وقيل: يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة بالطريق التي قدمنا ذكرها وبه قال جماعة من المفسرين ورجَّح صاحب الكشاف الأول وعندي أن **الراجح الآخر كما يدل عليه السياق** الذي سيقت له هذه الآيات".[3]

وعند قوله تعالى ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الإسراء: 26]، قال : "وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: والقربى قربى بني عبد المطلب . وأقول: ليس في السياق ما يفيد هذا التخصيص

---

[1] تفسير القرآن العظيم (3 / 358) وانظر لمزيد أمثلة (8 / 73)، (8 / 297)، (9 / 439)، (10 / 331) وغيرها كثير.

[2] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) سنة: (1173هـ)، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة (1229هـ) ومات حاكما بها سنة:(1250هـ) له 114 مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، (فتح القدير) في التفسير، (إرشاد الفحول) في أصول الفقه. انظر الأعلام: (298/6).

[3] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة –بيروت–الطبعة الرابعة: 1428هـ/2007م، ص101.

ولا دل على ذلك دليل، والظاهر أن هذا الخطاب ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه و سلم بدليل **ما قبل** هذه الآية وهي قوله ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: 23]، وما بعدها وهي قوله ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الإسراء: 26-27] ".[1]

وقال في معرض ردِّه لأحد الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: 32]، قال: " وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضا، وقيل هو السخرية التي بمعنى الاستهزاء وهذا وإن كان مطابقا للمعنى اللغوي ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو مقصود **السياق**".[2]

5-الإمام البقاعي[3] **-رحمه الله-** فقد كان للسياق دورا مهمًّا في بيان وجه المناسبات بين السور والآيات في كتابه " **نظم الدرر**" ومن أمثلة ذلك ما ذكره تحت قوله تعالى﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[البقرة: 269]، قال: " ولما كان السياق سابقا ولاحقا للانفاق علم أنَّ التقدير: فما جمعتم من شيء فإنَّ الله مطالبكم في وضعه وجمعه بوجه

---

[1] فتح القدير، ص818.

[2] فتح القدير، ص1339.

[3] إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط -بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، ولد سنة (809هـ)، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة: (885هـ)، وله من المؤلَّفات: (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران)، (جواهر البحار في نظم سيرة المختار)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). ينظر الأعلام: (1 / 56).

الحكمة، ومحاسبكم على ذلك، فعطف عليه حثًّا على الإسرار بالنفقة في الخير، والوفاء بالنذر، وتحذيراً من الإنفاق في المعصية ولو على أدق الوجوه؛ بأنه يعلم ذلك كله ويجازي عليه ".[1]

6-الإمام الطاهر ابن عاشور-رحمه الله-فقد كان للسياق في تفسيره النصيب الأوفر والاستعمال الأمثل في الترجيح والاستنباط ومن ذلك:

في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: 115]، قال: " وقيل كلمات الله أمره و نهيه، ووعده ووعيده، وفسَّر به في الكشاف، وهو قريب من كلام ابن عطية، **لكن السياق يشهد بأن تفسير القرآن بالكلمات أظهر**".[2]

7- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3]**-رحمه الله-**يُعتبر تفسيره من أنفس التفاسير المعتنية بالسياق لا لشيء إلَّا لأنَّه يفسِّر القرآن بالقرآن، ولا يخفى أن السياق من ذلك، وهذه بعض الأمثلة على ذلك: في تفسير قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الكهف: 52]، قال: " وبما ذكرنا تعلم أن الضمير في قوله ﴿ بَيْنَهُم ﴾، قيل : راجع إلى أهل النار. وقيل: راجع إلى أهل الجنة وأهل النار

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف : إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ / 1995 م، ج1، ص524، 525.

[2] التحرير والتنوير (8 / 19) وانظر (2 / 08)، (7 / 408)، (4/ 73)، (5 / 114)، (264).

[3] الشيخ العالم المفسر الفاضل، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ولد سنة: (1325هـ)، نشأ ببيت علم نساء ورجالا، واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وتوفي بمكة سنة:(1393هـ)، له كتب منها: (أضواء البيان في تفسير القرآن)، (منع جواز المجاز). انظر مشاهير علماء نجد، ص، 540-543، والأعلام، (6 / 45).

معا وقيل: راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله. وهذا هو أظهرها **لدلالة ظاهر السياق** عليه. لأن الله يقول ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ [الكهف:52]، **ثم قال مخبرا** عن العابدين والمعبودين : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾، أي مهلكا يفصل بينهم و يحيط بهم ".[1]

وقال في معرض تضعيفه لأحد الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء: 44]،: " قال بعض العلماء : نقصها من أطرافها : موت العلماء، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن أبي هريرة . وبعد هذا القول عن ظاهر القرآن بحسب دلالة السياق ظاهر كما ترى".[2]

8-عبد الرحمان ابن سعدي-رحمه الله-: فقد رجَّح بالسياق كثيرا من المواضع في تفسيره ومنها ما ذكره في تفسير قوله تعالى﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: 11]، قال: " اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وبصره وقلبه، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقَّاه منه تلقيًّا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد المين الشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د،ت)، ج4، ص166.

[2] أضواء البيان (4 / 726)، وانظر من الأمثلة (5 / 51)، (5 /69)، (819/5)، (6 / 147)، (7 / 283).

فؤاده ما رأى بصره، ولم يشكَّ في ذلك... وقيل: إنَّ المراد بذلك رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربِّه ليلة الاسراء وتكليمه إيَّاه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربِّه في الدنيا.

ولـكنَّ الصحيح القول الأول وأنَّ المراد به جبريل عليه السلام؛ كما يدل عليه السياق، وأنَّ محمَّدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين: مرة في الأفق الأعلى تحت السماء الدُّنيا كما تقدَّم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أُسري برسول الله صلى الله عليه، ولهذا قال﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: 13]، أي: رأى محمدٌ جبريل مرةً أخرى نازلا إليه." [1]

فهذا الذي ذكرناه عن المفسِّرين في تطبيق دلالة السياق في الترجيح والتصحيح والتضعيف غيض من فيض، وغيرهم كثير ممن اعتنى بالسياق في التفسير وما ذكرناه من باب التمثيل لا الحصر للتنويه فقط بأهمية دلالة السياق في الترجيح، وأنها لا محيد عنها في مجاري تفسير كلام الله عز وجل، وبيان معانيه، وسيأتي مزيد بيان لذلك وما سيقت هذه الدراسة إلا لهذا الغرض، وفي تفسير ابن عطية ما يروي الغليل ويشفي العليل ويوضح المقصود والله الموفق للصواب.

[1] تيسير الكريم المنان، ج7، ص1731.

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي على تفسير ابن عطيَّة

ويتضمَّن هذا الفصل خمسة مباحث:

المبحث الأول: ما رجَّح فيه ابن عطيَّة بالسياق في سورة البقرة.

المبحث الثاني: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة آل عمران.

المبحث الثالث: ما رجَّح فيه ابن عطيَّة بالسياق في سورة النساء.

المبحث الرابع: ما رجَّح فيه ابن عطيَّة بالسياق في سورة المائدة.

المبحث الخامس: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة الأنعام.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

تمـهيـــــد:

بعد تسليط الضوء على بعض المعالم التأصيلية والتي لها صلة بدراسة السياق، جاء دور الفصل المهم والأساس في هذه الدراسة؛ وهو الجانب التطبيقي على تفسير ابن عطية من خلال العمل على بيان ما رجح به ابن عطية بدلالة السياق من بداية سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام، وكان الاستهلال قبل بداية دراسة كل سورة بتمهيد يتَّضح من خلاله غرضُ السورة ومقصِدها العام للوقوف على معالمها الهادية التي تنير درب التدبر في رحاب دراسة اقوال المفسرين لكيلا ينفصل جانب معالجة الأقوال عن الغرض الأسمى لعلم التفسير؛ والذي هو التدبر والتفهم والتعقُّل لمعاني ودلالات آيات القرآن الكريم.

المبحث الأول: ما رجَّح فيه ابن عطيَّة بالسياق في سورة البقرة:

تمـهيـــــد:

سورة البقرة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فُسطاط القرآن، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان، ...وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لُحمة محكمة في نظم الكلام، وسدًى متين من فصاحة الكلمات ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يُثبت سموَّ هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصولَ تطهيره النفوسَ، وقسمٌ يبين شرائع هذا الدِّين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم. وكان أسلوبها أحسنَ ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة، يتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الأفانين[1] وفيما يلي المواضع التي رجح فيها ابن عطية بالسياق في هذه السورة العظيمة:

[1] التحرير والتنوير، (203/1).

-الآية رقم: 10-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: 10].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية رحمه الله: "وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر، (يُكذِّبون)بضم الياء وتشديد الذال، وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال، **فالقراءة بالتثقيل يؤيِّدها قوله تعالى قبل** (وما هم بمؤمنين) فهذا إخبار بأنهم يُكَذِّبُون، والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار بكذبهم، والتوعد بالعذاب الأليم متوجه على التكذيب، وعلى الكذب في مثل هذه النازلة إذ هو منطو على الكفر، **وقراءة التثقيل أرجح** ".[1]

-الـــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

أ-المقصود بقول ابن عطية (**وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال**):

[1] المحرر الوجيز، (1 / 120).

قال **ابن الجزري**[1] :" واختلفوا في يكذبون فقرأ **الكوفيون** بفتح الياء و تخفيف الذال".[2]

وقال **القسطلَّاني**[3] :" وأُختلف في (يَكْذِبُون)، **فعاصم وحمزة والكسائيُّ، وكذا خلفٌ، بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال من الكذب**؛ لإخبار الله تعالى عن كذبهم بقوله ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾** ﴾ [البقرة:8]، **ووافقهم الحسن والأعمش**".[4]

ب–توجيهات الأئمة للقراءتين:

قال **القسطلَّاني** مرَجِّحًا قراءة التشديد: "وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الكاف و تشديد الذال من التكذيب؛ لتكذيبهم الرسل، وهو **مناسب** لقوله تعالى ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ [البقرة:10]، أي شكٌّ في النبي صلى الله عليه وسلم، والشاكُّ في صدق الصادق مكذِّبٌ به".[5]

---

[1] محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، ولد سنة:(751هـ) ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن)، رحل إلى شيراز فولي قضاءها، ومات فيها سنة:(833هـ)، نسبته إلى (جزيرة ابن عمر). من كتبه (النشر في القراءات العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء). انظر الأعلام: (7 / 45)، والضوء اللامع: (9 / 287).

[2] النشر في القراءات العشر، تأليف: ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (دط)، (دت)، ج2، ص207.

[3] أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلَّاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث، مولده بمصر سنة (851هـ)، نشأ بها فحفظ القرآن والشاطبيتين، تلا بالسبع، ثم بالسبع وبالعشر في ختمتين، جيِّد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، توفي بمصر سنة (923هـ)، له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، (المواهب اللدنية في المنح المحمدية)، (لطائف الإشارات في علم القراءات). انظر: الأعلام، (232/1)، والضوء اللامع، (2 /103-104).

[4] لطائف الإشارات لفنون القراءات، تأليف: أحمد بن محمد القسطلَّاني، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، طبعة: (1434هـ)، ج4، ص1406.

[5] لطائف الإشارات لفنون القراءات، مصدر سابق، ج4، ص(1406-1407).

وقال ابن خالويه[1]:" **فالحُجَّة** لمن شدَّد: أن ذلك تردُّدٌ منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى فيما جاء به. **والحُجَّة** لمن خفَّفَ: أنه أراد بما كانوا يكذبون عليك بأنك ساحر، وأنك مجنون، فأضمر حرف الجر لأن كذَّب بالتشديد يتعدى بلفظه، وكَذَبَ بالتخفيف لا يتعدى إلا بحرف جر. **ومعنى القراءتين قريب لأنَّ من كذَّبَ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقد كَذَبْ**".[2]

قال ابن الجزري: " **والقراءتان ظاهرتان** فإنَّ المنافقين وُصفوا في مواضع من القرآن بأنهم كاذبون نحو (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يَكْذِبون)، ومع كونهم كاذبين هم يُكَذِّبُون أيضا لقوله تعالى (وما هم بمؤمنين) لأنَّ من لم يكن مصدِّقا مُكَذِّبٌ".[3]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال ابن عطية: " **فالقراءة بالتثقيل يؤيِّدها قوله تعالى قبل** (وما هم بمؤمنين) ... **وقراءة التثقيل أرجح**".[4]

3-**دراسة الترجيح:** لقد رجح ابن عطية في هذه الآية وجها من أوجه القراءة في قوله تعالى (يَكْذِبُونْ) بناءً على الخلاف في تخفيف الذال وتثقيلها (تشديدها)، فذهب إلى أن قراءة التثقيل

---

[1] الحسين بن أحمد بن خالويه، بن حمدان أبو عبد الله الهمذاني النحوي، إمام اللغة والعربية وغيرهما من العلوم الأدبية، سمع الحديث وأملاه بجامع المدينة، كانت الرحلة إليه من الآفاق، توفي بحلب سنة (370هـ)، من كتبه (شرح مقصورة ابن دريد)، (إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز)، انظر: بغية الوعاة، (2 / 545)، وانظر الأعلام: (2 / 231).

[2] الحجة في القراءات السبع، تأليف: ابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثالثة:1399هـ/1979م، ص، 67،68.

[3] شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تأليف: ابن الجزري، ضبط وتعليق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية –بيروت–، الطبعة الثانية: 1420هـ/200م، ص168.

[4] المحرر الوجيز، (1 / 120).

أرجح واعتمد في هذا الترجيح على:

أ-السياق، وتحديدا **بسباق الآية** الذي هو أحد ركني السياق، وعبر عنه بقوله " فالقراءة بالتثقيل **يؤيّدها قوله تعالى قبل (وما هم بمؤمنين)**"؛ إذ إن عدم الإيمان معناه التكذيب والكفر.

ب-وكذلك ما في قراءة التثقيل من استيعاب المعنى في التوعد بالعذاب الأليم؛ ذلك أن العذاب متوجه على التكذيب وعلى الكذب المنطوي على الكفر والعياذ بالله.

وفي هذا الترجيح بيان لأهمية السياق في توجيه القراءات.

وهذا الذي رجَّحه ابنُ عطية خالف فيه ابنَ جرير قبله؛ حيث **رجَّحَ قراءة التخفيف مستدلا بالسياق كذلك ومحتكما إليه**؛ إلا أنَّ السياق الذي اعتمده ابن جرير في الترجيح قوي الدلالة على ما ذهب إليه وهذا بيانه:

قال رحمه الله: " وكأنَّ الذين قرأوا ذلك، بتشديد الذال وضم الياء، رأوا أنَّ الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيَّه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وأن الكَذِبَ لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب، فكيف بالأليم منه؟ **وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا**. وذلك أنَّ الله عز وجل أنبأ عن المنافقين **في أول النبأ عنهم في هذه السورة**، بأنهم يَكْذِبُون بدعواهم الإيمان، وإظهارهم ذلك بألسنتهم، خداعا لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين...وهم في قيلهم ذلك كَذَبَة، لاستسرارهم الشكَّ والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فأولى في حكمة الله جل جلاله أن يكون الوعيد منه لهم على **ما افتتح به الخبر عنهم** من قبيح أفعالهم و ذميم أخلاقهم، دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم؛ **إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل، وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعالِ قوم، ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح**

به ذكره من أفعالهم، ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم.

فكذلك الصحيح من القول في–الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوئ أفعال المنافقين–أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكرَه من قبائح أفعالهم فهذا هذا، مع **دلاله الآية الأخرى** على صحة ما قلنا، وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا، وأن الصواب من التأويل ما تأوَّلنا، من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذابَ الأليمَ على الكذب الجامع معنى الشك و التكذيب، وذلك قول الله تبارك وتعالى﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المنافقون: 1-2].

فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين بقيلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون–كاذبون، ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهين لهم، على ذلك من كَذِبِهم، ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة (**ولهم عذاب أليم بما يُكذِّبون**) لكانت القراءة في السورة الأخرى (**والله يشهد إن المنافقين**) لَمُكَذِّبُون، ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب. **وفي إجماع المسلمين** على أن الصواب من القراءة في قوله (**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**) بمعنى الكذب–وأن إيعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك مِن كَذِبهم – أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة (بما

كانوا يَكْذِبون) بمعنى الكذب، وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب -حقٌّ – لا على التكذيب الذي لم يجر له ذكر – نظير الذي في سورة المنافقين سواءً ".[1]

فقد رجح ابن جرير رحمه الله قراءة التخفيف بأدلة قوية وبعدَّة مرجحات متنوعة وهي كما يلي:

1-**السياق**: وحكَّم ثلاثة أنواع من السياق:

النوع الأول: سياق النص القريب: وذلك في قوله" وذلك أنَّ الله عز وجل أنبأ عن المنافقين **في أول النبأ عنهم في هذه السورة** ... فأولى في حكمة الله جل جلاله أن يكون الوعيد منه لهم على **ما افتتح به الخبر عنهم** من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم، دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم ".

النوع الثاني: السياق القرآني العام في افتتاح ذكر محاسن قوم ومساوئ أفعالهم واختتام الحديث عنهم بما يناسب كِلا الفريقين من الثواب والعقاب وذلك في قوله: " إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل، وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعالِ قوم، ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم، ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم".

النوع الثالث: السياق النصي لآية سورة المنافقون وأن الوعيد ترتَّب على كذبهم: وذلك في قوله: " مع **دلاله الآية الأخرى** على صحَّة ما قلنا وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا، وأن الصواب من التأويل ما تأوَّلنا، من أنَّ وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذابَ الأليمَ على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب، وذلك قول الله تبارك وتعالى﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ

[1] جامع البيان، (1 /293-295).

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ﴾ [المنافقون: 1-2].

ثم دعَّم هذا النوع من السياق **بالإجماع** والذي يعتبر مرجحا آخر لابن جرير في هذه المسألة: وذلك في قوله: " **وفي إجماع المسلمين** على أن الصواب من القراءة في قوله (**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**) بمعنى الكذب-وأن إيعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك مِن كَذِبهم – أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة (بما كانوا يَكْذِبون) بمعنى الكذب، وأنَّ الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب -حقٌّ -لا على التكذيب الذي لم يجر له ذكر – نظير الذي في سورة المنافقين سواءً ".[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

وما ذهب إليه ابن جرير هو الراجح إن شاء الله نظرا لقوَّة الأدلَّة التي استند إليها زيادة على دلالة السياق.

[1] جامع البيان، (1 / 284-286).

الآية رقم 18

قال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة:18]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " قال بعض المفسرين: قوله تعالى:﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ ، إخبار منه تعالى أنهم **لا يؤمنون بوجه.**

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وإنَّما كان يصح هذا أن لو كانت الآية في معيَّنين. وقال غيره: معناه **فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم بها، وهذا هو الصحيح، لأن الآية لم تعين،** وكلهم معرَّض للرجوع ومدعوٌ إليه".[1]

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في تفسير قوله تعالى﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ بعدما ذكروا أنه مثل ضربه الله للمنافقين؛ فاختلفوا في معنى عدم رجوعهم إلى قولين:

القول الأوَّل: لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم، ولا يتوبون، ولا يذَّكَّرون، ولا يرجعون إلى الإسلام. وهذا مروي عن ابن عباس، وقتادة، والسدي، والربيع، عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلَّم.[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (1/ 136).

[2] جامع البيان، (1 / 349)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص300، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى(1424هـ-2003م)، ج1، ص171، وتفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة

القول الثاني: لا يرجعون إلى الهدى، ما داموا على ما هم عليه من اشتراء الضلالة، والصم والبكم والعمي عن سماع الحق واتباعه، وهذا مروي عن ابن عباس.[1]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال: " فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم بها، وهذا هو الصحيح، لأن الآية لم تعين، وكلهم معرَّض للرجوع ومدعوٌ إليه".[2]

3-دراسة الترجيح:

ذكر ابن عطية رحمه الله تعالى، هذين القولين دون ذكر قائليهم، ضعَّف أحدهما ورجَّح الآخر اعتمادا منه على السياق، والآية جاء سياقها في معرض الكلام عن المنافقين وبعض أوصافهم، ولهذا ربط ابن عطية ترجيحه بما سبق هذه الآية،وهو ما يعرف **بالسباق** وهو قوله تعالى﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ** ﴾ فضعَّف القول الأول القائل بأن معنى لا يرجعون أي: (لا يؤمنون بوجه) بسياق الآية قبلها وأنها جاءت في سياق العموم ولم تعيِّن أشخاصًا ينطبق عليهم وصف عدم الإيمان على الإطلاق، والتنصيص على ذلك على سبيل القطع والجزم، ورجَّح القول الثاني، وقال (**وهذا هو الصحيح**) وهو أنهم (لا يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم الله عز وجل بها)، بنفس القرينة وهي: سياق العموم وعدم التعيين، وأضاف إلى ذلك ثلاثة قرائن مستفادة من نصِّ ترجيحه وهي :

والتابعين، المعروف بـــ(تفسير ابن أبي حاتم)، تأليف: ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، :مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة = الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م، ج1، ص53، رقم: 177، و179، وزاد المسير في علم التفسير، تأليف: ابن الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي لزهير الشاويش، الطبعة الثالثة: 1404هـ-1984م، ج1، ص41.

[1] جامع البيان، (1 / 350)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1 / 300).

[2] المحرر الوجيز، (1/ 136).

أ-نفي الرجوع إلى الحق والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الهدى، ما داموا على الإصرار والدوام على نفس الحال التي وُصفوا بها من اشتراء الضلالة بالهدى، ومن الصمم والبكم والعمى، قال (ووصفهم بهذه الصفات؛ إذ أعمالهم من الخطأ وقلَّة الإجابة كأعمال من هذه صفته).[1]

ب-إمكانية رجوع هؤلاء المكذبين من المنافقين وغيرهم، والتوبة إلى الله عز وجل فقال (وكلُّهم معرَّض للرجوع ومدعو إليه).

وهذا الذي رجَّحه ابن عطية؛ هو قول مستفاد من أثر أورده ابن جرير في تفسيره تحت هذه الآية بسنده " إلى ابن عباس: ﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ أي : فلا يرجعون إلى الهدى، ولا إلى خير، ولا يصيبون نجاة، **ما كانوا على ما هم عليه** ".[2]

وعلَّق ابن جرير على هذا الأثر بقوله " وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس ينبئ عن أن ذلك من صفتهم محصور على وقت، وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين، وأن لهم السبيل إلى الرجوع عنه، وذلك من التأويل دعوى باطلة لا دلالة عليها من ظاهر، ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها ".[3]

وقد ذهب **ابن جرير إلى القول الثاني** حيث قال:"﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾، إخبار من الله جلَّ ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى، وصممهم عن سماع الخير

---

[1] المحرر الوجيز، (1/ 136).

[2] جامع البيان، (1/ 349،350).

[3] جامع البيان، (1/ 350).

والحقِّ، وبكمهم عن القيل بهما، وعماهم عن إبصارهما-أنَّهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم، ولا يثوبون إلى الإنابة من نفاقهم فآيس المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رُشدا، ويقولوا حقًّا، أو يسمعوا داعيا إلى الهدى، أو أن يذَّكَّروا فيتوبوا من ضلالتهم، كما آيس من توبة قادة كفَّار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم، الذين وصفهم بأنَّه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وغشَّى على أبصارهم".[1]

وقد ردَّ القول الثاني والذي ذهب إليه ابن عطيَّة بقوله: " وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه، وذلك أنَّ الله جلَّ ثناؤه أخبر عن القوم أنَّهم لا يرجعون عن اشترائهم الضلالة بالهدى، إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق، من غير حصر منه جلَّ ذكره ذلك من حالهم على وقت دون وقت، وحال دون حال".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة لتحكميه للسياق واعتماده على أثر ابن عباس؛ والآية في سياق العموم ولم تعيِّن أشخاصًا ينطبق عليهم وصف عدم الإيمان على الإطلاق، ولا تنصيص على ذلك على سبيل القطع والجزم.

[1] جامع البيان، (1/ 348،349).

[2] جامع البيان، (1 / 350).

-الآية رقم 21-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21].

-نص موضع الترجيح:

ذكر ابن عطيَّة نصَّ الترجيح بعد شروعه في تفسير الآيات اللاحقة وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:23-24].

قال: "وهذه الآية **تقضي أن** الخطاب المتقدم إنما هو لجماعة المشركين الذين تُحُدُّوا". [1]

-الـدراســـة:

1-دراسة الأقوال:

ذكر ابن عطية خلاف المفسرين في من المقصود بالخطاب والنداء بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:21].

[1] جامع البيان، (1/146،147).

وذكر على ذلك ثلاثة أقوال:

-القول الأول: عبَّر عنه بقوله: (**فقالت جماعة من المفسرين: المخاطب جميع المشركين**).

أي: جميع عبدة الأوثان من الكفار وأهل الكتابين[1] وهذا القول منسوب لابن عباس رضي الله عنه وقد ذكر ابن جرير هذا القول بسنده عن ابن عباس، قال: (نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين، وإنما عنى بقوله:﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيرُه، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه.)[2]

-القول الثاني: عبر عنه بقوله: (وقيل المراد كفار بني إسرائيل). وهذا القول مروي عن مجاهد.

وقد ذكره ابن جرير بسنده عن مجاهد﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.[3]

-القول الثالث: قول ابن فورك[4]: يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين.

---

[1] جامع البيان، (1/ 393).

[2] جامع البيان، (393/1).

[3] جامع البيان، (393/1).

[4]الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي، الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني؛ من فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة وبغداد.بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريبا من المئة.
منها (مشكل الحديث وغريبه) و(النظامي) في أصول الدين، و(الحدود) في الاصول، و(أسماء الرجال)، و(التفسير) الجزء الثالث منه، في خزانة فيض الله، باستنبول، توفي سنة: 406 هـ، بنيسابور ودفن في الحيرة. ينظر:(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال: "وهذه الآية (البقرة:23-24) **تقضي أن** الخطاب المتقدم إنما هو لجماعة المشركين الذين تُحُدُّوا". [1]

3-دراســـة الترجيـــح:

رجَّح ابن عطية أن الخطاب والنداء موجه **لجماعة المشركين الذين تُحُدُّوا**. واعتمد في ترجيحه على **لحاق الآية**، وهو قوله تعالى﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

وذلك أن الآيات فيها معنى التحدي في الإتيان بمثل هذا القرآن، أو بسورة من مثله إنَّما وقع على المشركين، خاصة مشركي العرب الذين عُرِفوا بالفصاحة والبيان، وبالتالي دخول المؤمنين في النداء والخطاب المتقدم في الآية محل الدراسة أمر مستبعد ولا يقتضيه السياق.

وقد ذهب ثلَّة من العلماء إلى خلاف ما رجَّحه ابن عطية؛ حيث ذكروا أن الآية عامَّة لا تخصُّ المشركين فقط، فهي في عموم المكلَّفين، ومن الذين ذهبوا إلى هذا:

أ-ابن جرير الطبري: قال: " فأمر جل ثناؤه الفريقين اللَّذين أخبر عن أحدهما أنه سواء عليهم أُنذروا أم لم ينذروا، أنهم لا يؤمنون؛ لطبعه على قلوبهم وسمعهم، وعن الآخَر أنه يخادع الله والذين آمنوا بما يُبدي بلسانه من قيله: آمنا بالله وباليوم الآخر. مع استبطانه خلافَ ذلك ومرض قلبه وشكِّه في

تأليف: أحمد بن أبي بكر بن خلِّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1971م، ج4، ص 272، والأعلام للزركلي، (83/6).

[1] المحرر الوجيز، (147،146/1).

حقيقة ما يبدي من ذلك، **وغيرَهم من سائر خلقه المكلفين**-بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة؛ لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالق أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم".[1]

وقال: " بل مخرج الخطاب بذلك عامٌّ للناس كافة؛ لأنه تحدَّى الناس كلَّهم بقوله:﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ** ﴾ ، أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة، من أنه معني بذلك كلُّ مكلَّف عالم بوحدانية الله وأنه لا شريك له في خلقه، يشرك معه في عبادته، كائنا من كان من الناس، عربيا كان أو أعجميا، كاتبا أو أميًّا ".[2]

ب-الإمام الألوسي[3] في تفسيره قال ما نصُّه: " ﴿ **ٱلنَّاسُ** ﴾ اسم جمع على ما حقَّقَه جمع، والجموع وأسماؤها المحلاة-بأل-للعموم...ثم هذا الخطاب في نحو ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ** ﴾ يسمى بالخطاب الشفاهي عند الأصوليين، قالوا : وليس عاما لمن بعد الموجودين في زمن الوحي، أو لمن بعد الحاضرين مهابط الوحي، والأول هو الوجه، وإنما يثبت حكمه لهم بدليل آخر من نص أو قياس أو إجماع، وأمَّا مجرد الصيغة فلا ".[4]

---

[1] جامع البيان، (384/1).

[2] جامع البيان، (394/1،395).

[3] محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده بها سنة(1217هـ) ووفاته فيها سنة(1270هـ)، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي(176/7).

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، (دط)، (دت)، ج1، ص183.

ج-الإمام الطاهر ابن عاشور قال ما نصُّه: " فإذا نظرت إلى صورة الخطاب، فهو إنما واجه به ناسا سامعين فعمومه لمن لم يحضر وقت سماع هذه الآية، ولمن سيوجد من بعد يكون بقرينة عموم التكليف، وعدم قصد تخصيص الحاضرين، وذلك أمر قد تواتر نقلا ومعنى، فلا جرم أن يَعُمَّ الجميع".[1]

د-ابن سعدي: قال: " هذا أمر عام لجميع الناس، بأمر عام وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وتصديق خبره".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

فنخلُص بهذه النقول عن علماء التفسير في الآية؛ إلى أن العموم بهذا الخطاب كان أقوى من تخصيصه بمعيَّنِين ذلك التخصيص الذي مال إليه ابن عطية، وأنَّ لَـحَاق الآية الذي استدل به ابن عطية لا يقوى على إخراج لفظ الخطاب والنداء في الآية عن عمومه، ولأنه يلزم منه عدة لوازم هي منتفية بداهة عن شريعة الإسلام، وكذلك منتفية عن رسولها عليه أفضل الصلاة والسلام، وعمَّن بلَّغ هذه الرسالة من الصحب الكرام رضي الله عنهم.

قال **الآلوسي:** " واستدل الآخرون (أي القائلين بالعموم) بأنه لو لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبا به لمن بعدهم؛ لم يكن مُرسَلا إليهم واللازم منتف، وبأنَّه لم يزل العلماء يحتجُّون على أهل الأعصار ممن بعد الصحابة بمثل ذلك، وهو إجماع على العموم لهم".[3]

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور، (235/1).

[2] تيسير الكريم المنان، ج1، ص45.

[3] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج1، ص183.

-الآية رقم: 27-

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة:27].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "واختلف في تفسير هذا العهد، فقال بعض المتأولين: هو الذي اخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهر أبيهم آدم كالذر.

وقال آخرون: بل: نَصْبُ الأدلة على وحدانية الله بالسماوات والأرض وسائر الصنعة-هو بمنزلة العهد.

وقال آخرون: بل هذا العهد هو الذي أخذه الله تعالى على أتباع الرسل والكتب المنزلة: أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وألا يكتموا أمره. فالآية على هذا القول في أهل الكتاب.

وقال قتادة: هذه الآية هي فيمن كان آمن بالنبي عليه السلام ثم كفر به فنقض العهد. **وظاهر ما قبل وما بعد** أنها في جميع الكفار".[1]

-الدراسة:

1-دراسة الأقوال:

لقد دار الخلاف بين المفسرين وخاضوا في تفسير هذا العهد الذي نُقض في هذه الآية، ومن هم المقصودون بنقضه، فابن عطية ذكر أربعة أقوال لم ينسب منها إلا واحدا لقتادة، ثم رجَّح كون هذه

[1] المحرر الوجيز، (158،159/1)

الآية في جميع الكفار من المنافقين وكفار أهل الكتاب ومشركي العرب، والملاحظ أنَّ ابن عطية طرح المسألة على أساس الخلاف في بيان ماهية هذا العهد ثم رجَّح خلاف ما طرح وذهب إلى ترجيح مَنِ المقصودُ بنقض هذا العهد؟ فجعله في جميع الكفار كما سبق؛ ولكي تتضح المسألة ينبغي أن نعرف ما هو العهد أولا؟ ثم نعرف من المقصود بالخطاب في نقضه؟.

أ-**المقصود بالعهد في الآية:** اختلف المفسرون في معنى العهد إلى عدَّة أقوال:

-القول الأول: وصية الله إلى خلقه وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في كتبه المنزلة وعلى ألسنة أنبيائه المرسلة، ونقضهم له تركهم العمل به.

-الثاني: أنه العهد الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم في قوله ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ** ﴾ [الأعراف: 172]، ونقضهم له:كفر بعضِهم بربوبيته وبعضهم بحقوق نعمته.

-الثالث: ما أخذه الله عليهم في الكتب المنزلة من الإقرار بتوحيده والاعتراف بنعمه والتصديق لأنبيائه ورسله، وبما جاؤوا به في قوله:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران: 187]، ونقضهم له نبذه وراء ظهورهم، وتبديل ما في كتبهم من وصفه صلى الله عليه وسلم .

-الرابع: ما أخذه الله تعالى على الأنبياء ومتبعيهم أن لا يكفروا بالله ولا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن ينصروه ويعظِّمُوه، ونقضهم له إنكارهم لنبوته وتغييرهم لصفته.

-الخامس: إيمانهم به صلى الله عليه وسلم ورسالته قبل بعثه، ونقضهم له جحدهم لنبوته ولصفته.

-السادس: ما جعله في عقولهم من الحُجَّة على توحيده وتصديق رسوله، بالنظر في المعجزات الدالة على إعجاز القرآن وصدقه ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ونقضهم هو تركهم النظر في ذلك وتقليدهم لآبائهم.

-السابع: الأمانة المعروضة على السماوات والأرض التي حملها الإنسان، ونقضهم تركهم القيام بحقوقها.

-الثامن: ما أخذه عليهم من أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ونقضهم عودهم إلى ما نهوا عنه، وهذا القول يدل على أن المخاطب بذلك بنو إسرائيل.

-التاسع: هو الإيمان والتزام الشرائع، ونقضه كفره بعد الإيمان".[1]

قال ابن عاشور" والصحيح عندي أن المراد بالعهد هو: العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل غير مرَّة من إقامة الدين وتأييد الرسل، وأن لا يسفك بعضهم دماء بعض، وأن يؤمنوا بالدين كله، وقد ذكرهم القرآن بعهود الله تعالى ونقضهم إياها في غير ما آية".[2]

قال ابن سعدي رحمه الله " وهذا يعم العهد الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين الخلق، الذي أكَّده عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزاميات، فلا يبالون بتلك المواثيق، بل ينقضونها، ويتركون أوامره، ويرتكبون نواهيه، وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق".[3]

ب-المقصود بالناقضين للعهد:

تحرير محل الخلاف:

---

[1] تفسير البحر المحيط، تأليف: أبو حيان الأندلسي، ج1، ص272.

[2] التحرير والتنوير، (370/1).

[3] تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ج1، ص51.

قال أبو حيان بعدما ذكر الأقوال التسعة السابقة: " هذه الأقوال التسعة منها ما يدل على العموم في كل ناقض للعهد، ومنها ما يدل على أن المخاطب قوم مخصوصون، **وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف الذي وقع في سبب النزول** ".[1]

والمقصود بالخلاف في سبب النزول، هو اختلاف المفسِّرين في المقصودين بنقض العهد في هذه الآية؟ وإلا فليس للآية سبب نزول صريح وأُختُلِف فيه، وغاية ما في الأمر أن المفسِّرين الذين حكوا الخلاف في المسألة يذكرون معاني الآيات المستنبطة من مجموعها وسياقها، ويحكمون على تفسير أفرادها على أنها أسباب نزول، وهذا ما يُعرف بسبب النزول غير الصريح. كما فعل ابن جرير الطبري عندما أخذ يذكر أحد الأقوال في المسألة قال " وقال آخرون: **إنما نزلت** هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم".[2]

أقوال المفسرين في المقصود بالناقضين للعهد:

نلخِّص ما قيل في ذلك من تفسير ابن جرير:

-القول الأول: هم جميع الخلق وما أمروا به من الطاعة وما نهوا عنه من المعصية، ونقضهم ذلك تركهم العمل به.

-القول الثاني: المقصود كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم.

---

[1] تفسير البحر المحيط، (272/1).

[2] جامع البيان، (435/1).

-القول الثالث: جميع أهل الشرك والكفر والنفاق".[1]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال ابن عطية: ". **وظاهر ما قبل وما بعد** أنها في جميع الكفار".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

اعتمد ابن عطية في ترجيحه هذا على السياق بركنيه سباقا ولحاقا والذي ذكره بقوله:

" **وظاهر ما قبل** " أي ما قبل هذه الآية وسباقها الذي جاء في ذكر الكفار والمنافقين وقصصهم وضرب الأمثال بأحوالهم. **"وما بعد"** ما بعد هذه الآية من لحاقها مِمَّا ذُكِرَ من الكفار من أهل الكتاب ونقضهم للعهود، فابن عطية جعل الناقضين للعهد همُ الكفَّار جميعا، وهذا الترجيح ذهب إليه الطبري قبله واستدل في ذلك بالسياق سباقا ولحاقا، تماما كما فعل ابن عطية؛ قال الطبري " وإنما قلت: إنه عنى بهذه الآية من قلت إنه عنى بها؛ لأن الآيات من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة "البقرة" فيهم نزلت إلى تمام قصصهم، وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم، وبيانه في قوله

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة:40]، وخطابه جل ذكره إيَّاهم بالوفاء بذلك خاصة دون سائر البشر، ما يدل على أن قوله

[1] جامع البيان، (1/ 435-436).

[2] المحرر الوجيز، (1/159،158).

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾، مقصود به كفارهم، ومنافقوهم، ومن كان من أشياعهم من عبدة الأوثان على ضلالتهم".[1]

غير أن الإمام الطبري جعل الآية عامة في جميع الكفار من المنافقين وأهل الكتاب ومن لفَّ لفَّهم، وحذا حذوهم وشاكلهم في أخلاقهم، و كذلك أدخل فيها عموم المكلَّفين المخاطبين، فقال: " وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: إن هذه الآيات نزلت في كفَّار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قَرُب منها من بقايا بني إسرائيل، ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بيَّنا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا...غير أنَّ الخطاب وإن كان لمن وصفتُ من الفريقين؛ فداخل في أحكامهم وفي ما أوجب الله لهم من الوعيد والذَّمِّ والتوبيخ، **كلُّ من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي**".[2]

قال **أبو حيان الأندلسي**:" **والعموم هو الظاهر**، فكلُّ من نقض عهد الله من **مسلم** وكافر ومنافق أو مشرك، أو كتابي تناوله هذا الذم".[3]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن جرير وأبو حيان لاعتمادهما على السياق الذي في تطبيقهما له شيء زائد على ترجيح ابن عطيَّة، وهو أنهما كسوا السياق ثوب العموم ليتناول عموم المكلَّفين والقرآن جاء لخطاب عموم المكلَّفين لا ليخُصَّ قوما دون قوم.

---

[1] جامع البيان، (438/1).

[2] جامع البيان، (438/1).

[3] البحر المحيط، (272/1).

-الآية رقم :28-

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: 28].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " واختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين، فقال ابن عباس، ومجاهد: فالمعنى كنتم أمواتا معدومين قبال أن تخلقوا دارسين، كما يقال للشيء الدارس: ميِّت. ثم خلقتم وأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم، ثم أماتكم الموت المعهود، ثم يحييكم للبعث يوم القيامة.

وقال آخرون: كنتم أمواتا بكون آدم من طين ميتا قبل أن يحيا، ثمَّ نفخ فيه الروح، فأحياكم بحياة آدم، ثمَّ يميتكم، ثمَّ يحييكم على ما تقدم.

وقال قتادة: كنتم أمواتا في أصلاب آبائكم، فأخرجتم إلى الدنيا، فأحياكم، ثمَّ كما تقدم.

وقال غيره: كنتم أمواتا في الأرحام قبل نفخ الأرواح، ثمَّ أحياكم بالخروج إلى الدنيا، ثمَّ كما تقدَّم.

وقال ابن زيد: إن الله تعالى أخرج نسم بني آدم أمثال الذَّرِّ، ثمَّ أماتهم بعد ذلك فهو قوله: (وكنتم أمواتا). ثمَّ أحياهم بالإخراج إلى الدنيا، ثمَّ كما تقدم.

وقال ابن عباس، وأبو صالح: كنتم أمواتا بالموت المعهود، ثمَّ أحياكم للسؤال في القبور، ثمَّ أماتكم فيها، ثمَّ أحياكم للبعث، وروي عن ابن عباس أيضا أنه قال: وكنتم أمواتا بالخمول، فأحياكم بأن ذُكرتم وشُرِّفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والقول الأول هو **أولى هذه الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه. ثمَّ إن قوله أوَّلا ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾، وإسناده آخِرًا الإماتة إليه تبارك وتعالى يقوِّي ذلك القول".**[1]

الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال:

اختلف أهل التفسير في المراد بالموتتين والحياتين في الآية، وكيف يكون ترتيبهما إلى عدَّة أقوال نُجْملها فيما يلي:[2]

القول الأول: لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة. وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: لم تكونوا شيئا حتى خلقكم، ثمَّ يميتكم الموتة الحق، ثمَّ يحييكم. وهذا مروي عن مجاهد.

الثالث: لم يكونوا شيئا، ثم أحياهم حين خلقهم، ثمَّ أماتهم، ثمَّ أحياهم يوم القيامة، ثمَّ رجعوا إليه بعد الحياة. قاله أبو العالية.

الرابع: كنتم ترابا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثمَّ أحياكم فخلقكم، فهذه حياة، ثمَّ يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثمَّ يبعثكم يوم القيامة، فهذه حياة، فهما ميتتان وحياتان. قاله ابن عباس.

---

[1] المحرر الوجيز، (1/160-161)

[2] ذكر هذه الأقوال مسندة إلى أصحابها ابن جرير في جامع البيان (1/443-449).

الخامس: يحييكم في القبر، ثمَّ يميتكم. عن السدي عن أبي صالح.

السادس: كانوا أمواتا في أصلبة آبائهم، فأحياهم الله وخلقهم، ثمَّ أماتهم الموتة التي لابد منها، ثمَّ أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان. مروي عن قتادة.

السابع: خلقهم في ظهر آدم ثمَّ أخذ عليهم الميثاق، ثمَّ أماتهم ثمَّ خلقهم في الأرحام، ثمَّ اماتهم ثمَّ أحياهم يوم القيامة. قاله عبد الرحمان بن زيد بن أسلم.

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال ابن عطيَّة:" والقول الأول هو **أولى هذه الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه. ثُمَّ إن قوله أوَّلا ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾، وإسناده آخِرًا الإماتة إليه تبارك وتعالى يقوِّي ذلك القول**".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطيّة القول الأول، فقال: "والقول الأول هو أولى هذه الأقوال "، واعتمد في ترجيحه على أمرين:

أولا: لا محيد للكفار عن الإقرار أنهم كانوا أمواتا معدومين قبل أن يخلقوا.

ثانيا: ترجيحه بالسياق، وهذا نصُّ ترجيحه به: " **ثُمَّ إن قوله أوَّلا ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾، وإسناده آخِرًا الإماتة إليه تبارك وتعالى يقوِّي ذلك القول**".[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (1/160-161).

[2] المحرر الوجيز، (1/160-161).

فجعل إسناد الإماتة لله تبارك بعد ذكر الموتة الأولى، في قوله تعالى﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾، مما يقوّي القول بأن المقصود بالموتة الأولى هي العدم وعدم الإيجاد أصلا وأنها غير الموت المعهود.

قال **أبو حيان** بعد ذكر ترجيح ابن عطية: " وهو كلام حسن ".[1]

وإلى هذا القول ذهب **السمين الحلبي**[2] حيث قال: " والفاء في قوله فأحياكم على بابها من التعقيب، و"ثمَّ" على بابها من التراخي، لأن المراد بالموت الأول العدم السابق، وبالحياة الأولى الخلق، وبالموت الثاني الموت المعهود، وبالحياة الثانية الحياة للبعث، فجاءت الفاء وثمَّ على بابهما من التعقيب والتراخي على هذا التفسير وهو أحسن الأقوال، ويُعْزَى لابن عباس وابن مسعود ومجاهد".[3]

وذهب إلى ذلك **ابن كثير** حيث قال: " والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس، وأولئك الجماعة من التابعين... وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت، لجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس".[4]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة لقوَّة السياق فيه، ولمجيء الفاء وثمَّ على بابهما من التعقيب والتراخي كما ذكر السمين الحلبي، فاجتمع في الترجيح جانب السياق وجانب المعنى اللغوي.

---

[1] البحر المحيط، (276/1).

[2] أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، من أهل حلب، قال ابن حجر: كان ماهرا في النحو لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه من كتبه (تفسير القرآن) عشرون جزءا، و(الدر المصون) في إعراب القرآن، توفي سنة(756هـ). ينظر: الأعلام للزركلي، (274/1)، وطبقات المفسرين، تأليف: أحمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1417هـ1997م، ج1، ص287.

[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، دط، دت، ج1، 239،240ص.

[4] تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، (332/1).

-الآية رقم: 79-

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: 78-79].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "و(الذين يكتبون) هم الأحبار الذين بدَّلوا التوراة، والذي بدَّلوا هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم، وقال ابن إسحاق: كانت صفته في التوراة أسمر ربعة فردُّوه آدم طويلا، وذكر السدِّي: أنهم كانوا يكتبون كتبا يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الأعراب، ويثبتُونها في أتباعهم، ويقولون هي من عند الله. **وتناسق هذه الآية على التي قبلها يعطي أن هذا الكتب والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم**".[1]

الـــدراســـة:

1-دراســـة الأقوال:

[1] المحرر الوجيز، (265/1).

أثبت ابن عطية أن المقصود ب﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ﴾ هم أحبار اليهود الذين بدَّلوا التوراة، وهذا القول مروي عن ابن عباس كما في تفسير ابن أبي حاتم بسنده إليه في قوله تعالى ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ﴾، قال ابن عباس : هم أحبار اليهود.[1]

وذكر ابن عطيَّة عن السدّي أن هذا الكتب والتبديل والتحريف للتوراة؛ كان لغرض نشره وبثه وبيعه للأعراب الذين يبثُّونها في أتباعهم ويقولون هي من عند الله، وهذا الذي ذكره ابن عطية عن السدي لم أجده مسندا إليه بلفظ الأعراب، وإنما المذكور عن السدِّي أن هذا البيع كان للعرب وهذا ما ذكره ابن جرير بسنده إلى السدي قال: "كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا." [2]

وكذلك ذكر ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدّي قال: "كان ناس من اليهود يكتبون كتابا ويبيعونه على العرب".[3]

2-ترجيح ابن عطية:

قال ابن عطية:" **وتناسق هذه الآية على التي قبلها يعطي أن هذا الكتب والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم**".[4]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم، ج1، ص153.

[2] جامع البيان، (165/2-266).

[3] تفسير ابن أبي حاتم، (1/ 153).

[4] المحرر الوجيز، (265/1).

رجَّح ابن عطية خلاف ما ذهب إليه السدي، وذهب إلى أن هذا الكتْبَ والتبديل كان موجها من الأحبار لأتباعهم الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم، واستدل ابن عطية لترجيحه هذا بالسياق حيث قال " **وتناسق هذه الآية على التي قبلها** يعطي أن هذا الكتب والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرئ لهم" أي أنَّ هذه الآية بالنظر إلى ما جاء قبلها وسباقها وهو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ البقرة: ٧٨ فلما سبق ذكر الأميين على ذكر الذين يكتبون دلَّ على أن هذا الكتب والتحريف والتأويل والتبديل موجَّه لهم، استغلالا لأميَّتهم وجهلهم. والذي يوضح أكثر ما ذهب إليه ابن عطية، هو معرفة المقصود بقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ وهذه بعض أقوال أئمة التفسير في ذلك:

قال ابن جرير: " يعني بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾: ومن هؤلاء اليهود الذين قصَّ الله قصصهم في هذه الآيات، وأيأس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إيمانهم".[1]

قال أبو حيان: "ظاهر الكلام أنها نزلت في اليهود المذكورين في الآية التي قبل هذه".[2]

وهذا الذي ذكره أبو حيان هو الذي رجَّحه، واعتمد في ترجيحه على السياق فقال: " والقول الأول هو الأظهر، لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم، ومناسبة ارتباط هذه الآية أنَّه لمَّا

[1] جامع البيان، (152/2).
[2] تفسير البحر المحيط، (1 / 441).

بني أمر الفرقة الضَّالَّة التي حرفت كتاب الله وهم عقلوه وعلموا بسوء مرتكبهم ثم بين أمر الفرقة الثانية المنافقين، وأمر الثالثة المجادلة، أخذ يبين أمر الفرقة الرابعة وهي العامة التي طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم".[1]

قال البغوي[2]: " ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أي من اليهود أمِّيُّون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع أمّيّ منسوب إلى الأمِّ كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلَّم كتابة ولا قراءة".[3]

4-الراجح ووجه الترجيح:

فالراجح ما ذهب إليه ابن عطية فمن هذه النقول للمفسِّرين تبيَّن أن الأميِّين المقصودين في الآية هم من اليهود؛ وعليه فالكَتْب الذي كان من أحبارهم والذي فيه التحريف والتبديل والتغيير؛ كان موجَّها إليهم وهم الأتباع، وهذا كلُّه يصب في صحَّة ترجيح ابن عطية.

---

[1] تفسير البحر المحيط، (1 / 442).

[2] الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي، نسبة إلى (بغا) من قرى خراسان، فقيه، محدث، مفسر، ولد سنة 436هـ، له (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و(مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك. توفي بمرو الروذ سنة: 510هـ. ينظر الأعلام:(2 / 259).

[3] معالم التنزيل، ج1، ص114.

-الآية رقم: 81-

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:81].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية:" وقالت طائفة: السيِّئة الشرك كقوله تعالى:﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [النمل:90] ، والخطيئات كبائر الذنوب، وقال قوم: السيِّئة الكبائر وأفرادها وهي بمعنى الجمع لمّا كانت تدل على الجنس كقوله تعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: 34] ، والخطيئة الكفر ولفظة الإحاطة تقوّي هذا القول .

وقال الربيع بن خيثم والأعمش والسدّي وغيرهم، معنى الآية مات بذنوب لم يتب منها، وقال الربيع أيضا: مات على كفره.

وقال الحسن بن أبي الحسن، والسدّي: كلُّ ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة ".[1]

الـــدراســـة:

1-دراسة الأقوال:

[1] المحرر الوجيز، (267/1).

يمكن أن يقال أنَّ هذه المسألة يدور فلكها بين السلف حول تعريف السيئة والخطيئة في الآية، وما يترتَّب على ذلك من الوعيد المذكور فيها؛ من دخول جهنم والعياذ بالله، وهل هذا الدخول على الإطلاق والتأبيد، أم أنَّه إلى أمد؟

وقد ذكر أبو حيان ما يتمخض عن هذا الخلاف فقال: " والسيئة: الكفر والشرك، قاله ابن عباس ومجاهد، وقيل: الموجبة للنار، قاله السدي وعليه تفسير من فسَّر السيِّئة بالكبائر لأنها هي التي توجب النار أي يستحق فاعلها النار إن لم تغفر له﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ والمعنى أنه أخذته من جميع نواحيه، ومعنى الإحاطة به أن يوافي على الكفر والإشراك، هذا إذا فُسِّرت الخطيئة بالشرك، ومن فسَّرها بالكبيرة فمعنى الإحاطة به أن يموت وهو مُصِرٌّ عليها، فيكون الخلود على القول الأوَّل المراد به الإقامة إلى انتهاء، وعلى القول الثاني المراد به دهرا طويلا إذ مآله إلى الخروج من النار".[1]

2- ترجيح ابن عطية:

ذهب ابن عطيَّة إلى أن هذه الآية المقصود بها الكفار لا العصاة، والسيئة هي الكبائر وأفرادها، والخطيئة الكفر، وعليه فالخلود في هذه الآية على الإطلاق والتأبيد في المشركين، وذهب إلى هذا الترجيح استنادا إلى السياق، وقد أبان عن هذا الترجيح بعدما شرع في تفسير لحاق الآية محل الدراسة، فقال: " وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 82]، يدل هذا التقسيم على أن قوله ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة: 81] ،

[1] تفسير البحر المحيط، (1/445،446).

في الكفار لا في العصاة، ويدل على ذلك أيضا قوله﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: 81] ، لأن العاصي مؤمن فلم تحط به خطيئته .

ويدل على ذلك أيضا أن الرد كان على كفار ادَّعَوا أن النَّار لا تمسُّهم إلا أياما معدودة، فهم المراد بالخلود".[1]

3- دراسة ترجيح ابن عطية:

استدل ابن عطية بثلاثة أدلة كلُّها من السياق:

أولا: ما جاء بعد الآية محل الدراسة وهو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:82]، فهذه الآية دليل على أنَّ ما سبقها كان مقصودا بها الكفار لا العصاة.

ثانيا: ما سبق لفظ الخطيئة في الآية من قوله تعالى ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: 81] والعاصي مؤمن لم تحط به خطيئته.

قال **ابن جرير** في معنى هذه الآية: " اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة والتوبة منها. وأصل الإحاطة بالشيء الإحداق به، بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحدق به، ومنه قول الله جلّ ثناؤه ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ﴾[الكهف: 29] ".[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (267/1).

[2] جامع البيان، (182/2).

ثالثا: أن الآية جاءت في سياق الرد على الكفار الذين ادعوا أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وهو قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[البقرة: 80] .

قال ابن جرير: " يعني بقوله جل ثناؤه:﴿ وَقَالُواْ ﴾ ، اليهود. يقول: وقالت اليهود:﴿ لَن تَمَسَّنَا ﴾ ، يعني لن تلاقي أجسامنا النار، ولن ندخلها إلا أياما معدودة".[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة لقوة دلالة السياق التي استدل بها وتنوعها في بيان المقصود من سباق ولحاق، ومراعاة حال الخطاب الذي أحاط بالسياق ثمَّ إنَّ الخطاب في حال التوجُّه به كان مقصودا به جماعة الكفار.

[1] جامع البيان، (170/2).

-الآية رقم: 85-

قال تعالى:﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: 85].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "قرأ نافع وابن كثير (يعملون) بياءٍ على ذكر الغائب، فالخطاب بالآية لأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، والآية واعظة لهم بالمعنى؛ إذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص. وقرأ الباقون بتاء على الخطاب **المحتمل أن يكون في سرد الآية وهو الأظهر**، ويحتمل أن يكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روي أن عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه قال: إنَّ بني إسرائيل قد مضوا، وأنتم الذين تُعنوْن بها يا أمَّة محمد".[1]

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال:

ذكر ابن عطية اختلاف القراء في قوله تعالى ﴿ **تَعۡمَلُونَ** ﴾ [البقرة: 85]، بين من قرأ بياء على ذكر الغائب، وبين من قرأها بتاء على الخطاب فهما قراءتان :

الأولى: " قرأ نافع وابن كثير، وأبو بكر وكذا يعقوب وخلف بالغيب مناسبة لقوله تعالى:

[1] المحرر الوجيز (1/276،277).

﴿ يُرَدُّونَ ﴾ [البقرة:85]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ [البقرة: 86]، ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 86]، و وافقهم ابن محيصن".[1]

الثانية: "قرأ الباقون بالخطاب مناسبة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ﴾ [البقرة:84]".[2]

–توجيه القراءتين:

قال **الفارسي**[3] بعدما ذكر ما جاء في مذاهب القراء فيما قرأوه بالتاء والياء في هذه الآية:" القول في جملة ذلك، أنَّ ما كان قبله خطاب جُعل بالتاء، ليكون الخطاب معطوفا على خطاب مثله، ... فالتاء هنا حسن لأن المتقدِّم خطاب. ولو كان (وما الله بغافل عمَّا يعملون) على لفظ الغيبة، أي: وما الله بغافل عمَّا يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون؛ لكان حسنا، وإن كان الذي قبله غيبة، حَسُن أن يُجعل على لفظ الغيبة، ليعطف ما للغيبة على مثله، ويجوز فيما كان قبله لفظ غيبة الخطاب، ووجه ذلك أن تجمع بين الغيبة والخطاب؛ فتغلب الخطاب على الغيبة، لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب فيصير كتغليب المذكَّر على المؤنث... فإذا كان الأمر على هذا، أمكن في الخطاب في هذا النحو أن يعنى به الغيب والمخاطبون، فيغلب الخطاب على الغيبة فيكون المعنى: ما الله بغافل عمَّا تعملون. أي: فيجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته. ويجوز في الخطاب بعد الغيبة وجه آخر، وهو أن يراد به: قل لهم أيها النبي: ما الله بغافل عمَّا تعملون".[4]

---

[1] لطائف الإشارات لفنون القراءات، تأليف: أبو بكر القسطلاني، ج4، ص1485.

[2] لطائف الإشارات، ج4، ص1485.

[3] الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الاصل، أبو علي: أحد الائمة في علم العربية، ولد في فسا (من أعمال فارس) سنة:288هـ، توفي سنة: 377هـ، من كتبه، (الحجة في القراءات السبع)، (الاغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني). ينظر: الأعلام، (2 / 180)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ج2، ص80.

[4] الحجة للقرَّاء السبعة، تأليف: أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويبالي، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى (1404هـ، 1984م)، ج2، ص113، 114.

ويعرف هذا الأسلوب عند الدارسين لبلاغة القرآن الكريم؛ بأسلوب الالتفات؛ إذْ خرجت الآية من الخطاب إلى الغيبة:

وحكمة هذا الالتفات كما **قال أبو حيان:** " وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم وأبرزهم في صورة من لا يُقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين عنه، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات".[1]

2-ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية قراءة من قرأ بتاءٍ على الخطاب، حيث قال: " وقرأ الباقون بتاء على الخطاب المحتمل أن يكون في **سرد الآية وهو الأظهر**".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

بنى ابن عطية ترجيحه لهذه القراءة على السياق؛ حيث جاء سردها في سياق الخطاب لبني إسرائيل، وهو سباق هذه الآية وذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة: 84]، ولسنا بصدد التفضيل بين القراءتين، وإلا فلكليهما وجهه البلاغي.

[1] تفسير البحر المحيط، (1/ 434).

[2] المحرر الوجيز (1/276،277).

إلا أن الطبري ذكر توجيها لقراءة الياء على ذكر الغائب، وهي القراءة التي رجَّحها، وذهب في ترجيحه إلى ضميمة أخرى لا تخرج هي كذلك عن دائرة السياق، ورغم ترجيحه إلا أنه قال بعدم بُعد القراءة الأخرى عن الصواب، فقال: " وأعجب القراءتين في ذلك إليَّ قراءة من قرأ بالياء إتباعا لقوله : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ [البقرة: 85]، ولقوله ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ ﴾ [البقرة: 85]؛ لأن قوله (وما الله بغافل عمَّا يعملون)، إلى ذلك أقرب منه إلى قوله ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[البقرة: 85]، فإتباعه الأقربَ إليه أولى من إلحاقه بالأبعد منه؛ والوجه الآخر غير بعيد من الصواب".[1]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه الطبري لأنّه اعتمد على السياق في الترجيح تماما كابن عطية، إلا ابن جرير اعتمد على السياق القريب للآية، فإتباع الآية الأقربَ إليها في السياق أولى من إلحاقها بالأبعد منها.

[1] جامع البيان، (2 / 217).

-الآية رقم: 121-

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾

[البقرة: 121].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " والضمير في [به] عائد على الكتاب.

وقيل: يعود على محمد صلى الله عليه وسلم، لأن متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون به.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل عندي أن يعود الضمير على الهدى الذي تقدم، وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى في أول الآية وحذر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه أن هدى الله هو الهدى الذي أعطاه وبعثه به، ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره".[1]

الـــــدراســـــة:

1-دراسة الأقوال:

اختلف أهل التفسير في عود الضمير في قوله تعالى ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[البقرة: 121]، على أقوال:

أولا: قال ابن جرير: " الهاء التي في قوله ﴿ بِهِۦ ﴾ عائدة على الهاء التي في ﴿ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، وهما جميعا من ذكر الكتاب الذي قال الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾".[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (338/1).

[2] جامع البيان، (495/2).

ثانيا: قال **أبو الليث السمرقندي**[1]: " ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾، يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويصدقونه".[2]

وإلى ذلك ذهب **الماوردي**[3] في تفسيره حيث قال: " ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ ، يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم".[4]

قال **أبو حيان:** " ظاهره أن الضمير في ﴿ بِهِۦ ﴾ يعود إلى ما يعود عليه الضمير في ﴿ يَتۡلُونَهُۥ ﴾ وهو الكتاب على اختلاف الناس في الكتاب".[5]

وقد لخَّص **أبو حيان** مجمل ما قيل في عود الضمير في الآية بعدما ذكر اختياره:

قال: "وقيل: يعود (أي الضمير في به) على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا وإن لم يتقدم له ذكر، لكن دلَّت قوة الكلام عليه، وليس كذلك، بل قد تقدَّم ذكره في قوله (إنا أرسلناك بالحق) لكن صار ذلك التفاتا وخروجا من خطاب إلى غيبة.

---

[1] نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: الإمام الفقيه المحدث الزاهد، من أئمة الحنفية، توفي سنة (393هـ)، له من التصانيف: (تفسير القرآن العظيم)، (النوازل في الفقه)، (خزانة الفقه)، (تنبيه الغافلين). ينظر سير أعلام النبلاء، (322/16)، طبقات المفسرين للداوودي، (346/2)، الأعلام للزركلي، (27/8).

[2] تفسير السمرقندي، تأليف: أبي الليث السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1413هـ-1993م)، ج1، ص155.

[3] علي بن محمد حبيب، الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف من العلماء الباحثين، كان حافظا للمذهب، ولد في البصرة سنة (364هـ)، نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد سنة: (450هـ)، من كتبه: (أدب الدنيا والدين)، (الأحكام السلطانية)، (النكت والعيون)، (الإقناع) في الفقه. ينظر: سير أعلام النبلاء، (64/18)، وطبقات المفسرين للداوودي، (427/1-429)، وسير أعلام النبلاء، (64/18).

[4] النكت والعيون، تأليف: الماوردي، راجعه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، ج1، ص182.

[5] تفسير البحر المحيط، (540/1).

وقيل: يعود على الله تعالى ويكون التفاتا أيضا خروجا من ضمير المتكلم المعظِّم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد".[1]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال ابن عطية: " **ويحتمل عندي أن يعود الضمير على الهدى الذي تقدم، وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى في أول الآية** وحذر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه أن هدى الله هو الهدى الذي أعطاه وبعثه به، ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية رجوع الضمير في قول تعالى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ** ﴾ على الهدى الذي تقدَّم في قوله تعالى﴿ **قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ** ﴾[البقرة: 120]، واستدل لترجيحه بالسياق وهو **ما سبق** هذه الآية من قوله تعالى ﴿ **وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ** ﴾ [البقرة:120]، فقال معلِّلًا اختياره وترجيحه: " وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى **في أول الآية** وحذَّر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه أن هدى الله هو الهدى الذي أعطاه وبعثه به، ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره".[3]

---

[1] تفسير البحر المحيط، (540/1)

[2] المحرر الوجيز، (338/1).

[3] المحرر الوجيز، (338/1).

قال **أبو حيان تعليقا على اختيار ابن عطية:** " وهو محتمل لما ذَكر".[1]

وقال **السمين الحلبي بعدما ذكر قول ابن عطية:**" قال ابن عطية إنه يعود على "الهدى" وقرره بكلام حسن".[2]

وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية خالف فيه ابنَ جرير قبله، وخالفه فيه أبو حيان من بعده: فقال ابن جرير موجها اختياره:" فأخبر الله جلَّ ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتَّبِع ما فيها من حلالها وحرامها، والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفتَه دون من كان محرِّفًا لها، مبدِّلًا تأويلها، مغيِّرًا سننها، تاركا ما فرض الله فيها عليه، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متَّبِعي التوراة، فأثنى عليهم بما أثنى به عليهم؛ لأنَّ في اتباعها اتباعُ محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه؛ لأن التوراة تأمر أهلها بذلك، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وأن التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم التكذيب بها، فأخبر جلَّ ثناؤه أن متَّبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهم العاملون بما فيها".[3]

وذهب **أبو حيان** إلى أن عود الضمير على الكتاب هو الظاهر معللا ترجيحه بقوله: " الظاهر أن يعود على الكتاب لتتناسب الضمائر ولا تختلف فيحصل التعقيد في اللفظ والإلباس في المعنى، لأنه إذا كان جعل الضمائر المتناسبة عائدة على واحد والمعنى فيها جيد صحيح الإسناد كان أولى من جعلها متنافرة، ولا نعدل إلى ذلك إلا بصارف عن الوجه الأول، إما لفظي، وإما معنوي".[4]

---

[1] نفس المصدر، (540/1)

[2] الدر المصون، (96/2)

[3] جامع البيان (495/2)

[4] تفسير البحر المحيط، (540/1).

وقد ذكر **الزركشي** مبحثين مهمَّين تحت "قاعدة في الضمائر": **الأول**: قال: " الثامن: إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف...حتى لا تفرَّق الضمائر فيتنافر عليك النَّظم الذي هو قوام إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهمُّ ما يجب على المفسر".[1] **الثاني**: قال: " العاشر: الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور".[2]

وقد جعل **السيوطي**[3] هذين المبحثين كقاعدتين من قواعد الضمير المهمَّة التي يحتاج المفسر إلى معرفتها فقال: "**قاعدة**: الأصل عوده على أقرب مذكور".[4]

و"**قاعدة**: الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتت".[5]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن جرير وأبو حيان من عود الضمير على الكتاب لاعتمادهم على السياق كذلك وكذلك ما ذكره أبو حيان من قاعدة الضمير التي ينبغي للمفسر مراعاتها؛ والتي هي كذلك من قواعد السياق لأنَّ مراعاتها معناه مراعاة نظم القرآن وعدم تنافره؛ إذ أن التناسق في نظمه هو قوام إعجازه.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (35/4).

[2] البرهان في علوم القرآن، (39/4).

[3] عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، الخضيري السيوطي، الشافعي المسند المحقق المدقق، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة(849هـ)، ختم القرآن وله من العمر دون ثمان سنين، كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، توفي سنة(911هـ)، وترك من التصانيف الشيء الكثير منها: (الإتقان في علوم القرآن)، (إتمام الدراية لقراء النقاية)، (الإكليل في استنباط التنزيل)، (الألفية في مصطلح الحديث). انظر: (الضوء اللامع)، (65/4) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى: (1414هـ-1993م)، ج10، ص74، والأعلام للزركلي، (301/3).

[4] الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، (1434هـ-2013م)، ج4، ص1271.

[5] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج4، ص1272.

-الآية رقم: 159-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:159].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "واخْتُلِفَ في اللاَّعِنِين:

فقال قتادة والربيع: الملائكة والمؤمنون، **وهذا ظاهر واضح جار على مقتضى الكلام.**

وقال مجاهد، وعكرمة: هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم. وقال البراء بن عازب: اللاعنون كلُّ المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والإنس، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الكافر إذا ضرب في قبره فصاح؛ سمعه الكل إلا الثقلين فلعنه كل سامع".[1]

وقال ابن مسعود: المراد بهم ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن كل متلاعنين إن استحقا اللعنة وإلا انصرفت على اليهود).[2]، وهذه الأقوال الثلاثة لا يقتضيها اللفظ، ولا تثبت إلا بسند يقطع العذر".[3]

---

[1] لم أجده بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف وإنما هو بلفظ آخر دون ذكر اللعنة في آخره وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه وفيه (ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم: 1338.

[2] لم أجده حديثا وإنما هو أثر عن ابن مسعود سيأتي تخريجه قريبا.

[3] المحرر الوجيز، (395/1).

الـــــدراســـــة:

1-دراسة الأقوال:

اختلف أهل التفسير في المراد باللاعنين في هذه الآية على خمسة أقوال:

الأول: هم الملائكة والمؤمنون. قاله قتادة والربيع[1]وأبو العالية.[2]

الثاني: الحشرات والبهائم ودواب الأرض وهوامها. قاله عكرمة ومجاهد.[3]

الثالث: كل المخلوقات ما عدا الجن والإنس. عن السدي عن البراء بن عازب، والضحاك.[4]

الرابع: اللاعنون: الاثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة مستحقها منهما، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت اللعنة على اليهود.[5] وهذا قول ابن مسعود حيث قال: (هو الرجل يلعن صاحبه في أمر يرى أنه قد أتى إليه فيلعنه عليه، قال فترتفع اللعنة في السماء سريحا يعني سريعا، فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهلا فترجع إلى الذي تكلم بها فلا تجده لها أهلا فتنطلق فتقع على اليهود فهو قوله ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة:159]).[6]

---

[1] رواه عنهما ابن جرير في جامع البيان، (736/2).

[2] رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره، (269/1).

[3] رواه عنهما ابن جرير في جامع ابيان، (734/2)، وابن أبي حاتم في تفسيره، (269/1).

[4] رواه عنهما ابن جرير في جامع البيان، (736/2،737).

[5] تفسير النكت والعيون، الماوردي (215/1).

[6] الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م، ج7، ص165، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى 1424هـ-2003م، ج2، ص102.

الخامس: كل دابة والجن والإنس. قاله عطاء.[1]

2- ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية من هذه الأقوال التفسيرية القول الأول وهو المروي عن قتادة والربيع في أن اللاعنين هم **الملائكة والمؤمنون** حيث قال " **وهذا ظاهر واضح جار على مقتضى الكلام**"

دراسة ترجيح ابن عطية:

ارتكز ابن عطية على سياق الآيات في ترجيحه، ومقصوده (**بمقتضى الكلام**) هو سياق الآيات بعدُ؛ حيث ذُكر الملائكة والمؤمنون في الآية بعد، وهو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾ [البقرة:161]، فالجزء الأول من ترجيح ابن عطية في قوله "**هم الملائكة**" منصوص عليه في هذه الآية؛ أما الجزء الثاني وهم "**المؤمنون**" فلم يذكر في الآية وأما المذكور فهو " **الناس أجمعين**" فيستقيم ترجيح ابن عطية ويلتئم على القول بأنَّ الناس أجمعين، هم المؤمنون، وهو قول حُكي في تفسير ﴿ **وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾ [البقرة: 161] عن قتادة والربيع القَائِلِيْن بالقول الذي رجَّحه ابن عطية حيث جاء عنهما أن المقصود ﴿ **وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾: المؤمنون دون سائر البشر.[2]

[1] تفسير ابن أبي حاتم، (270/1).

[2] جامع البيان، (741/2)، والدر المنثور، (105/2).

وذهب إلى هذا ابن **أبي زمنين**[1] في تفسيره حيث قال: ﴿ **وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾ [البقرة: 161] ، يعني المؤمنين خاصة".[2]

وابن جزي في تفسيره حيث قال: " ﴿ **وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾ : هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين".[3]

وهذا الذي رجَّحه ابن عطية ذهب إليه **الطبري** قبله حيث قال: " وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: اللاعنون: الملائكة والمؤمنون". [4]

وهو الذي رجَّحه **أبو حيان** حيث قال: " والأظهر القول الأول". [5]

ثم إن بعض هذه الأقوال كقول مجاهد في أنها الحشرات والبهائم وقول البراء وقول ابن مسعود؛ فهذه الأقوال قال عنها ابن عطية " **أقوال لا يقتضيها اللفظ ولا تثبت إلا بسند يقطع العذر**" وفي

---

[1] محمد بن عبد الله بن عيسى المري، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، من الوعاظ الادباء، من أهل إلبيرة، ولد سنة 324هـ، وهو من المفاخر الغرناطية، من كبار المحدثين والعلماء الراسخين في العلم واقتفاء لآثار السلف، توفي سنة 399هـ، من كتبه:(أصول السنة)، (منتخب الأحكام)، (تفسير القرآن)، ينظر: الأعلام، (6 / 227)، الديباج المذهب، ص365.

[2] تفسير القرآن العظيم، تأليف: ابن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: (1423هـ-2002م)، ج1، ص192.

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، (91/1).

[4] جامع البيان، (737/2).

[5] تفسير البحر المحيط، (634/1).

هذا المعنى يقول الطبري: " غير أنه غير جائز قطع الشهادة بأن الله عنى باللاعنين البهائم والهوام ودبيب الأرض، إلا بخبر للعذر قاطع، ولا خبر بذلك، وكتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه".[1]

الراجح ووجه الترجيح: والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة لدلالة السياق عليه وهو السباق، ويعضِّده ما روي عن قتادة والربيع في ذلك وهو قول لجمعٍ من المفسرين.

-الآية رقم: 254-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: 254]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "قال ابن جريج: هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع، وهذا كلام صحيح، فالزكاة واجبة والتطوع مندوب إليه. وظاهر هذه الآية أنها مراد بها **جميع وجوه البر**: من سبيل خير وصلة رحم، **ولكن ما تقدَّم من الآيات** في ذكر القتال وأن الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين **يترجح** منه أن هذا الندب إنما هو في سبيل الله **ويقوي ذلك قوله في آخر الآية ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾**، أي: فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال".[2]

---

[1] جامع البيان، (738/2).

[2] المحرر الوجيز، (21/2).

-الـــــدراســـــة:

1-دراسة الأقوال:

لم يختلف أهل التفسير في أنَّ هذه الآية الأمرُ بالإنفاق فيها يدخل فيه الزكاة دخولا أوليًّا؛ فقد روي هذا عن الحسن حيث قال: " أراد الزكاة المفروضة ".[1]

وزاد ابن جريج صدقة التطوع فقد روى ابن جرير بسنده إليه: "عن ابن جريج قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ ، قال : من الزكاة والتطوع".[2]

2-ترجيح ابن عطية:

ذكر ابن عطية أنَّ ظاهر الآية يدل على أنَّ هذا الندب عام في وجوه البر؛ من سبيل خير، وصلة رحم، ثم يستدرك بالقول أنَّ سياق الآيات يخصِّصُ هذا العموم؛ ويجعل الندب خاصًّا بالنفقة في الجهاد في سبيل الله فقال: " ولكن **ما تقدَّم من الآيات** في ذكر القتال وأن الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين **يترجح** منه أن هذا الندب إنما هو في سبيل الله **ويقوي ذلك** قوله في **آخر الآية** ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة:254]، أي: فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال".[3]

---

[1] انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى:(1415هـ-1994م)، ج1، ص363، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (1 / 301)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (259/4).

[2] جامع البيان، (523/4).

[3] المحرر الوجيز، (21/2).

3-دراسة ترجيح ابن عطيَّة:

عنى ابن عطيَّة بقوله " **ما تقدم من الآيات**" يعني: سياقها وسباقها الذي يتناول ثلاثة أمور بها كان الترجيح:

الأول: ما سبق من ذكر الله عز وجل لقصة طالوت ملك بني إسرائيل وخروجه لقتال جالوت وما فيها من العبر حيث قال ابن عطية: " وفي هذه القصة بجملتها مثال عظيم للمؤمنين ومعتبر، وقد كان أصحاب محمد معدِّين لحرب الكفار، فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس، والثقة بالله، وغير ذلك من وجوه العبرة".[1]

الثاني: ما سبق من قوله تعالى ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [البقرة: 251]، فقال في تفسيرها: " أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين به في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الأرض، لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها والله تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداع إلى الله، ومقاتل عليه على أن جعل ذلك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة له الحمد كثيرا ".[2]

الثالث: ما سبق من قوله تعالى﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ البقرة: [253]، فقد قال في تفسيرها :" ولو شاء خلاف ذلك لكان ولكنه المستأثر بسر الحكمة في ذلك،

[1] المحرر الوجيز، (18/2).

[2] المحرر الوجيز، (17/2).

الفعال لما يريد، فاقتتلوا بأن قاتل المؤمنون الكافرين على مر الدهر، وذلك هو دفع الله الناس بعضهم ببعض".[1]

وفي هذا المعنى يقول **أبو حيان** عن مناسبة الآيةِ محلِّ الدراسة لما قبلها من قوله تعالى ﴿ **وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [البقرة:253]، قال: " مناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنَّه لما ذكر أن الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر، وأراد الاقتتال، وأمر به المؤمنين، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانه عليه، أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد، وهي وإن لم ينُصَّ عليها، مندرجة في قوله أنفقوا، وداخلة فيها دخولا أوليًّا، إذ جاء الأمر

بها عقب ذكر المؤمن والكافر واقتتالهم".[2]

كما استند ابن عطيّة في ترجيحه كذلك **بلحاق الآية** في تقوية ما ذهب إليه من فقال: " **ويقوي ذلك قوله في آخر الآية** ﴿ **وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [البقرة: 254]، أي : فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال".[3]

وذكر **أبو حيان** أن هذا القول مروي عن الأصم[4] فقال: " وقيل المراد منه الإنفاق في الجهاد، ويدل عليه أنه مذكور بعد الأمر بالجهاد، فكان المراد منه الإنفاق في الجهاد، وهو قول الأصم".[5]

---

[1] المحرر الوجيز، (21،20/2).

[2] البحر المحيط، (285/2).

[3] المحرر الوجيز، (21/2).

[4] عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم، فقيه معتزلي مفسر، صاحب المقالات في الأصول، وله تفسير عجيب، توفي سنة225هـ، ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، 1406هـ – 1986م، ج3، ص427، والأعلام، (3 / 323).

[5] تفسير البحر المحيط، (285/2).

وذهب إليه الزجاج[1] حيث قال في تفسيرها " أي: أنفقوا في الجهاد وليعن بعضكم بعضا عليه".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

فهذا الذي ذكره ابن عطية من الترجيح بسياق الآيات سابقها ولاحقها، يترجَّح منه أن هذا الندب في الإنفاق إنما هو في الجهاد في سبيل الله.

-الآية رقم: 266-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[البقرة: 266]

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "حكى الطبري عن السدي أن هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء، ورجَّح هو هذا القول، وحكى عن ابن زيد أنه قرأ قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ

[1] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ببغداد سنة 241هـ، كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، توفي ببغداد سنة311هـ، وله من الكتب، (الأمالي)، (الاشتقاق)، (معاني القرآن). ينظر،وفيات الأعيان، (1 / 49)، والأعلام، (1 / 40).

[2] معاني القرآن وإعرابه، تأليف: أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى (1408هـ-1988م)، ج1، ص335.

وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ البقرة: ٢٦٤، الآية. قال ثم ضرب في ذلك مثلا فقال:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ ﴾ [البقرة: 266]، وهذا **أبين** من الذي رجح الطبري، وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا هو مقتضى سياق الكلام".[1]

الدراسة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في مرجع المثل المضروب في هذه الآية على أقوال نذكر أهمها:

القول الأول: ذهب السدي أن هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء، فقد حكى قوله ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده إليه حيث قال: " عن السدي: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ ﴾[البقرة: 266]، : هذا مثل آخر لنفقة الرياء، أنه ينفق ماله يرائي الناس، فيذهب ماله منه وهو يرائي، فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته، وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت، كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت، وكثر عياله، واحتاج إلى جنته، جاءت ريح فيها سموم، فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئا، فكذلك المنفق رياءً ".[2]

القول الثاني: مثل ضربه الله للمفرط في طاعة الله حتى يموت. قاله مجاهد

[1] المحرر الوجيز، (69/2).

[2] جامع البيان، (681،682).

القول الثالث: مثل ضرب للإنسان يعمل عملا صالحا، حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه، عَمِلَ عَمَلَ السَّوْء. روي عن عمر ابن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما.

القول الرابع: مثل للمانِّ في صدقته. قاله ابن زيد. رواه عنه ابن جرير بسنده إليه:" قرأ قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: 264]، قال: ثم ضرب في ذلك مثلا، فقال : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ ﴾[البقرة: 266] ،قال: جرت أنهارها وثمارها، وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، أيود أحدكم هذا؟ كما يحمل أحدكم أن يخرج صدقته ونفقته، حتى إذا كانت له عندي جنة، وجرت أنهارها وثمارها، وكانت لولده وولد ولده، أصابها ريح إعصار فحرقها".[1]

2-ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية قول ابن زيد القاضي بأن هذه الآية الكريمة مثل للمانِّ في نفقته ويظهر نص ترجيحه بعد ذكره لقول ابن زيد حيث قال:" **وهذا أبين من الذي رجح الطبري، وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا هو مقتضى سياق الكلام**".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطيَّة:

[1] جامع البيان، (688/4).

[2] المحرر الوجيز، (69/2).

حكَّمَ ابن عطية السياق في ترجيحه هذا؛ وهو **ما سبق** من قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: 264]، وبين الآيتين اتصال كما ذكر ذلك **ابن الجوزي**[1] حيث قال:"﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ ﴾ ، هذه الآية متصلة بقوله تعالى ﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ ".[2]

وكذلك **البغوي** حيث قال: " هذه الآية متصلة بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ ".[3] وبيَّن هذا الاتصال **أبو حيان** بقوله " لـمَّا تقدَّم النهي عن إبطال الصدقة بالمن والأذى، وشبَّه فاعل ذلك بالمنفق رياءً، ومثَّل حاله بالصفوان المذكور، ثم مثَّل حال من أنفق ابتغاء وجه الله، أعقب ذلك كلِّه بهذه الآية".[4]

ولكن هذا الاتصال لا يجعل ترجيح ابن عطية يرقى إلى درجة القطع والجزم لما ذهب إليه، فالأقوال التي فسرت بها الآية لا تضارب بينها؛ فمن المفسِّرين من جمع بين هذه الأقوال كما فعل **ابن جزيّ** حيث قال: " ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ ﴾ [البقرة:266]، الآية: مثل ضرب للإنسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائي المتقدم ذكره آنفا ،أو ذي المن والأذى، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان وقت حاجة إليه لم

---

[1] عبد الرحمن بن علي بن محمد، جمال الدين، أبو الفرج بن الجوزي القرشي التيمي البغدادي، صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة 510هـ، علاَّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، والتفسير، توفي سنة 597هـ، صنف في فنون عديدة، ومن كتبه (المنتظم) في التاريخ، (زاد المسير في التفسير)، (الموضوعات)، (تلبيس إبليس). ينظر: وفيات الأعيان، (3 / 140).

[2] زاد المسير، لابن الجوزي، (320/1).

[3] معالم التنزيل، البغوي، (329/1).

[4] تفسير البحر المحيط، (326/2).

يجد شيئا، فشبههم الله بمن كانت له جنة، ثم أصابتها الجائحة المهلكة، أحوج ما كان إليها لشيخوخته، وضعف ذريته".[1]

وما ذهب إليه **ابن جرير** كذلك لا يخرج عن الترجيح بالسياق، وربَّما ترجيحه أولى من ترجيح ابن عطية؛ حيث جعل ترجيحه متسلسلا مع الآيات في ترتيبها، وجعلها على نسق واحد لا يشتِّت الذهن؛ فقد قال في معرض **ترجيحه لقول السدي**: " وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية، إلا أن معاني قولهم في ذلك–وإن اختلفت تصاريفهم فيها–عائدة إلى المعنى الذي قلنا في ذلك، وأحسنهم إبانة لمعناها وأقربهم إلى الصواب قولا فيها السُّديُّ ".[2]

ثم علَّل ترجيحه ذلك بأنه الأنسب للسياق فقال:" وإنما قلنا: إن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه تقدَّم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المنِّ والأذى في صدقاتهم، ثم ضرب مثلا لمن منَّ وآذى من تصدَّق عليه بصدقة، فمثله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس، **وكانت قصَّة هذه الآية وما فيها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل لما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها**".[3]

إنَّ ما ذهب إليه ابن عطية وابن جرير في ترجيحهما اعتمادا على السياق، لا يعني ذلك إغفال ما ورد عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من تفسير لهذه الآية، فلا شك أنه ممن شهد التنزيل وعاصر التأويل مع غيره من الصحابة رضي الله عنهم، الذين هم أعلم الناس بمدارك كلام رب العالمين

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل، (126/1).

[2] جامع البيان، (681/4).

[3] جامع البيان، (289/4).

وهم أهل الفصاحة والبيان، وهذا ما يُعرف بتفسير الصحابي؛ ثمَّ إنَّ هذه الرواية عن عمر ابن الخطاب جاءت بأسانيد صحيحة وصريحة في بيان المراد، وهذا بيانها:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيم تُرون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة: 266]؟ قالوا: الله أعلم؛ فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله".[1]

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية:** " وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين".[2]

وقال الإمام أبو **إسحاق الشاطبي** في معرض ذكره للأوجه الدالة على اعتماد بيان الصحابة في فهم القرآن فقال: " يترجَّح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب 47، حديث رقم 4538، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، حديث رقم: 3179، طبعة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى (1417هـ-1997م)، ج2، 339، وابن جرير في جامع البيان(683/4)، وابن أبي حاتم، (522/1).

[2] مجموعة الفتاوى، (195/13).

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي؛ فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم؛ فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان؛ صح اعتماده من هذه الجهة.

الثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعراف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب".[1]

فمن هذا يتبين لنا مدى حجيَّة بيان الصحابي لمعنى الآية؛ خاصَّة إذا كان من الخلفاء الراشدين ومن عمر ابن الخطاب المحدَّث المُلهم رضي الله عنه وأرضاه.

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح والله أعلم أنَّها مثلٌ لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله؛ لأنَّه تفسير عمر ابن الخطَّاب، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما وعن جميع الصَّحب الكرام.

[1] الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، (128/4).

-الآية رقم: 281-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: 281].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية، وقال قوم: هو يوم الموت. والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية".[1]

الـــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

ذكر ابن عطية أن أهل التفسير اختلفوا في اليوم المحذر منه في الآية على قولين:

الأول: قول جمهور العلماء، وهو أن هذا اليوم هو يوم القيامة الحساب والتوفية.

ذهب إلى هذا القول **ابن جرير** حيث قال: " يعني بذلك جلَّ ثناؤه: واحذروا أيُّها الناس يوما ترجعون فيه إلى الله، فتَلْقَونه فيه، أي تردوا عليه بسيِّئات تُهلككم، أو بمخزيات تخزيكم... فإنَّه يوم مجازاة بالأعمال لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنَّه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، توفَّى فيه كلُّ نفس أجرها على ما قدَّمت واكتسبت من سيئٍ وصالح".[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (110/2).

[2] جامع البيان، (5 / 68،69).

وابن كثير: قال:" ثم قال تعالى يعظ عباده ويذكِّرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى، ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إيَّاهم بما كسبوا من خير وشر، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ ".[1]

والشوكاني: قال: " هو يوم القيامة، وتنكيره للتهويل، وهو منصوب على أنَّه مفعول به لا ظرف".[2]

الثاني: هو يوم الموت. ذكر هذا القول الألوسي[3]، والبيضاوي[4] في تفسيره وقال محشِّيه القونوي[5]:

" أو المراد يوم الموت لأنَّه القيامة الصغرى، وأوَّل ملاقاة الجزاء بالثواب، أو بالعتاب". [6]

2-ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية قول جمهور العلماء وهو أن هذا اليوم هو يوم القيامة والحساب والتوفية، فقال:" **والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية**".[7]

---

[1] تفسير ابن كثير، (2 / 503).

[2] فتح القدير، ص191.

[3] روح المعاني، (3 / 54).

[4] عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، عارفا بالفقه، والتفسير، والأصلين والعربية والمنطق، توفي سنة 685هـ، له عدة تصانيف منها، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) المعروف بتفسير البيضاوي، (مختصر الكشاف)، (المنهاج في الأصول). ينظر: بغية الوعاة، (2 / 50)، والأعلام، (4 / 110).

[5] إسماعيل بن محمد بن مصطفى، أبو المفدى، عصام الدين، القونوي، مفسر، من فقهاء الحنفية، مولده بقونية ووفاته بدمشق، سنة 1195هـ، من كتبه (حاشية على تفسير البيضاوي).

[6] حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان-الطبعة الأولى:1422هـ، 2001م، ج5، ص437.

[7] المحرر الوجيز، (110/2).

3-دراسة ترجيح ابن عطيَّة:

إستند ابن عطية في ترجيحه إلى السياق ويظهر استدلاله بالسياق في قوله: " **بحكم الألفاظ في الآية**" وهو قوله تعالى بعد ذكر اليوم المحذَّر منه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فاستند إلى **لحاق الآية** في بيان المعنى المراد .

قال أبو حيان: " **والأول أظهر** لقوله ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾".[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية؛ لدلالة السياق عليه ولكونه قول جمهور المفسِّرين.

[1] تفسير البحر المحيط، (2/ 356).

المبحث الثاني: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة آل عمران

تمهـــيد:

اشتملت هذه السورة ، من الأغراض: على الابتداء بالتنويه بالقرآن، ومحمد صلى الله عليه وسلم وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقّيها، والتنويه بفضيلة الإسلام وأنّه لا يعدِلُه دين، وأنّه لا يقبل دين عند الله، بعد ظهور الإسلام، غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنّهما أنزلا قبل القرآن، تمهيداً لهذا الدين فلا يحقّ للناس، أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتّخذوا آلهة من دون الله: مَن جعلوا له شركاء، أو اتّخذوا له أبناء، وتَهديد المشركين بأنّ أمرهم إلى زوال، وألاّ يغرّهم ما هم فيه من البذخ، وأنّ ما أعدّ للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطانهم ، ثم الثناء على عيسى عليه السلام وآل بيته، وذكر معجزة ظهوره، وأنّه مخلوق لله، وذكر الذين آمنوا به حقاً . وإبطال إلاهية عيسى، ومن ثَمّ أفضى إلى قضية وفد نجران ولجاجتهم، ثم محاجّة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية وأنّهم بعداء عنها، وما أخذ الله من العهد على الرسل كلّهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم، وأنّ الله جعل الكعبة أول بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجّه على المؤمنين، وأظهر ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافترائِهم في دينهم وكتمانهم ما أنزل إليهم. وذكَّر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام، وأمرهم بالاتّحاد والوفا، وذكَّرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية، وهوّن عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين ، وذكَّرهم بالحذر من كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر فكانوا مثلاً لتمييز الخبيث من الطيب، وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلقّي الشدائد، والبلاء، وأذى العدوّ، ووعدهم على ذلك بالنَّصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوّهم، ثم ذكّرهم بيوم أحُد، ويوم بدر، وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما، ونوّه، بشأن الشهداء من المسلمين، وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذّمة الربا وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله[1]، وفيما يلي بيان ما رجح فيها ابن عطية بالسياق:

[1] التحرير والتنوير، (3/ 144-145).

-الآية رقم:41-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [آل عمران: 41].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: "وقوله تعالى ﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ معناه: قل: سبحان الله، وقال قوم: معناه صلِّ،**والقول الأول أصوب لأنه يناسب الذِّكْرَ ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس**".[1]

الـــــدراسة:

-دراسة الأقوال في المسألة:

ذكر ابن عطية أن المفسرين اختلفوا في تفسير قوله تعالى ﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ إلى قولين:

الأول: معناه: **قل سبحان الله،** وهذا ما ذهب إليه كلا من:

1-**ابن جرير** حيث قال:" قال الله جل ثناؤه لزكريا: يا زكريا، آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا بغير خرس، ولا عاهة، ولا مرض، واذكر ربك كثيرا، فإنك لا تمنع ذكرَه، ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره".[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (216/2).

[2] جامع البيان، (390/5).

2-**ابن كثير** حيث قال: " ثم أمر بكثرة الذكر والشكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال".[1]

3-**الواحدي**: قال: " وإنما حبس لسانه عن التكلم بأمور الدنيا وما يدور بين الناس، ولم يحبس لسانه عن التسبيح وذكر الله، وهو قوله ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ ".[2]

4-**أبو حيان**: قال:" ﴿ وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ ، أي: نزِّه الله عن سمات النقص بالنطق باللسان بقولك سبحان الله" .[3]

5-**ابن سعدي**: قال: "وفي هذه المدة (أي: مدة آية الامتناع عن كلام الناس)﴿ وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ أول النهار وآخره، فمُنع من الكلام في هذه المدَّة، فكان في هذا مناسبة لحصول الولد من بين الشيخ الكبير والمرأة العاقر، وكونه لا يقدر على مخاطبة الآدميين ولسانه منطلق بذكر الله وتسبيحه آية أخرى، فحينئذ حصل له الفرح والاستبشار، وشكر الله، وأكثر من الذكر والتسبيح بالعشايا والإبكار". [4]

الثاني: معناه الصلاة. وهذا مروي عن مجاهد رواه عنه ابن أبي حاتم بسنده إليه:" عن مجاهد في قوله :﴿ وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ قال: صلاة المكتوبة ". [5]

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/ 58).

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (1/ 435).

[3] تفسير البحر المحيط، (2 / 437).

[4] تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، ابن سعدي، (1 / 219).

[5] تفسير ابن أبي حاتم، (1 / 646).

وإلى هذا المعنى ذهب كلاً من:

1-**ابن أبي زمنين**: قال:"﴿ وَٱذۡكُرۡ رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ يعني: الصلاة " .[1]

2-القرطبي: قال:"﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ أي: صلِّ؛ سميت الصلاة سُبحة لما فيها من تنزيه الله تعالى عن السوء ".[2]

3-**الزجَّاج**: قال:" ﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ : صلِّ، ويقال فرغت من سبحتي: أي: من صلاتي، وإنما سميت الصلاة تسبيحا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوء فالصلاة يوحَّد الله فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرئه من السوء فلذلك سميت الصلاة السُّبحة ".[3]

4-**السمعاني**[4]: قال:"﴿ وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ المراد بالتسبيح: الصلاة ".[5]

2-ترجيح ابن عطية:

---

[1] تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (1 / 288).

[2] الجامع لأحكام القرآن، (5 / 125).

[3] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (1 / 409).

[4] منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث، ولد بمرو سنة 426هـ، كان مفتي خراسان، توفي سنة 489هـ، لم من التصانيف، (تفسير السمعاني)، (الانتصار لأصحاب الحديث). ينظر، الأعلام، (7 / 303).

[5] تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى(1418هـ-1997م)، ج1، ص317.

رجَّح ابن عطية القول الأول القائل بأن التسبيح: هو قول سبحان الله؛ حيث قال:" **والقول الأول أصوب لأنه يناسب الذِّكْرَ** ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

كان ترجيح ابن عطية بناءً على سياق ما ذُكر **سابقا من** قوله تعالى﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾ ؛فلمَّا أمر سبحانه زكرياء عليه الصلاة والسلام بكثرة الذكر؛ أمره بعد ذلك بالتسبيح الذي هو داخل في معنى الذِّكر عموما، ولكنَّ خصَّه لشرفه ولما فيه من معاني التنزيه لله عز وجل، وكذلك يؤيِّده أنَّ الأمر بالذكر والتسبيح جاء في سياق آية امتناع زكرياء عليه الصلاة والسلام عن الكلام، ومعلوم أنَّ ذكر الله عز وجل وتسبيحه غالبا ما يكون بجارحة اللسان كما جاء في الحديث: " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله ".[2]

قال **السيوطي**:" قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾، فيه الحث على الذكر وهو من شعب الإيمان " [3] .

---

[1] المحرر الوجيز، (216/2).

[2] مصنَّف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، شركة دار القبلة، الطبعة الأولى:1427هـ، 2006م، ج19، ص327، كتاب: الزهد، باب:53، حديث رقم:(36201)، والحاكم في مستدركه، طبعة دار المعرفة-لبنان-(دت)، ج1، ص495، وقال: وهذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرِّجاه، والترمذي في سننه، كتاب: الدعاء، باب: ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم:(3375)، وأحمد في مسنده-طبعة الرسالة- تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى:1419هـ-1998م، حديث رقم: (17680)، كلُّهم من حديث عبد الله بن بسر، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر: حديث رقم: (7700) في صحيح الجامع.

[3] الإكليل في استنباط التنزيل، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (1401هـ-1981م)، ص69.

وقال **ابن عثيمين**[1] رحمه الله: " أمره الله تعالى بأن يذكر ربه كثيرا؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ويزداد الإيمان ويستنير القلب، فلهذا أمره الله أن يذكر ربه كثيرا، وفائدة الأمر بالذكر أن الله لما أخبره بأنه سيمنعه من مكالمة الناس، بشَّره بأنه لن يمتنع من ذكر الله الذي هو أجل وأشرف من مخاطبة الناس وكلامهم ".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

يمكن الجمع بين الأمرين بأن يكون التسبيح معناه **الصلاة وتسبيح الله بالقول**؛ إذ لا مانع من ذلك ولا تعارض بين التسبيح والصلاة.

يقول **الراغب الأصفاني**[3]: " وجُعِلَ التسبيح في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية، قال ﴿ **فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ** ﴾ [الصافات: 143]، قيل من المصلين، والأولى أن يحمل على ثلاثتها،

[1] الشيخ الفاضل، الإمام الفقيه المفسِّر، أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، استفاد في طلبه للعلم من عدة مشايخ بعضهم في عنيزة وبعضهم في الرياض منهم: الشيخ عبد الرحمن السعدي، أخذ عنه ولازمه قرابة إحدى عشرة سنة، ويعتبر الشيخ من أبرز طلابه، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب التفسير المشهور، وغيرهم، توفي سنة: 1421هـ. وله من المؤلفات الكثير منها: (الشرح الممتع على زاد المستقنع)، (شرح بلوغ المرام). ينظر: الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين، جمع وإعداد عصام ابن عبد المنعم، دار البصيرة -الاسكندرية- طبعة:203، ص17، ص190.

[2] تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد ابن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة:(1435هـ)، ج1، ص248

[3] الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، صاحب المصنفات، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي سنة 502هـ، من كتبه، (محاضرات الأدباء)، (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، (المفردات في غريب القرآن). ينظر، بغية الوعاة، (2 / 297)، والأعلام، (2 / 255).

قال ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة: 30]، ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران: 41] ".[1]

قال ابن عثيمين:" والتسبيح يكون بالقول ويكون بالفعل وإن لم يكن فيها كلمة: (سبحان)؛ إلا أن العابد تستلزم عبادته المعبود أن يكون كاملا؛ لأن الناقص لا يمكن للعاقل أن يعبده، فكونه يعبد الله يستلزم أن يكون مُقرًّا له بالكمال مسبحا له عن النقص ".[2]

-الآية: رقم 42-

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: 42].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية:" قال الطبري: العامل في ﴿ إِذْ ﴾ قوله ﴿ سَمِيعٌ ﴾ [آل عمران: 34]، فهو عطف على قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: 35]، وقال كثير من النحاة: العامل في ﴿ إِذْ ﴾ في هذه الآية فعل مضمر تقديره: (واذكر)، **وهذا هو الراجح** لأن هذه الآيات كلها إنما هي إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام " .[3]

---

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص166.

[2] تفسير القرآن الكرم (سورة آل عمران)، ابن عثيمين، ج1، ص250.

[3] المحرر الوجيز، (2 / 217).

-الدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في العامل الذي تعلق بـ ﴿ إِذْ ﴾ في هذه الآية:

-القول الأول: ذهب **الطبري** إلى أن العامل هو قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 34]، حيث قال في تفسير الآية محل الدراسة:" يعني بذلك جل ثناؤه: والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محررا، وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ". [1]

-القول الثاني: أن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل محذوف تقديره (اذكر) وذهب إلى هذا القول:

العكبري[2] حيث قال:" تقديره: واذكر إذ قالت ".[3] **والسمعاني**[4]**، والألوسي**[5]**، والبقاعي**[6]

---

[1] جامع البيان، (5 / 392).

[2] عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين: عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، ولد ببغداد سنة 538هـ، أصيب في صباه بالجدري، فعمي. وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنف من الكتب في الموضوع. فيقرأها عليه بعض تلاميذه، ثم يملي من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه، توفي سنة 616هـ، من كتبه " شرح ديوان المتنبي) و(اللباب في علل البناء والاعراب)، و(شرح اللمع لابن جني). ينظر الأعلام، (4 / 80).

[3] التبيان في إعراب القرآن، تأليف: أبو البقاء العكبري، طبعة بيت الأفكار الدولية، (دت)، ص78.

[4] تفسير القرآن، السمعاني، (1 / 317)

[5] روح المعاني، الألوسي، (3 / 154)

[6] نظم الدرر، ج4، ص371.

2-ترجح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية أن يكون عامل النصب في ﴿ إِذْ ﴾ فعل محذوف تقديره (اذكر) وذكر أنه قول كثير من النحاة، حيث قال:" **وهذا هو الراجح** لأن هذه الآيات كلها إنما هي إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام " .[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطيَّة:

الشاهد من ترجيح ابن عطيَّة؛ أنَّ الفعل (اذكر) هو المناسب للسياق كون الآيات قصص غيبي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيه الدلالة على نبوته، ومعلوم أن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم قد مضى ويناسبه الفعل المقدَّر (اذكر).

قال **الزجَّاج** رَادًّا قول من قال أنَّ ﴿ إِذْ ﴾ لغو من الكلام :" قال جميع النحويين: إن ﴿ إِذْ ﴾ يدل على ما مضى من الوقت فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغوا، وهي اسم مع ما بعدها " .[2]

قال **ابن هشام**[3]: "(إذْ) على أربعة أوجه: ... **ومنها**: أن تكون اسما للزمن الماضي، ولها أربعة استعمالات ... **الثاني**: أن تكون مفعولا به والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 217)

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (1 / 400).

[3] عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية، ولد بمصر سنة708هـ، قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه، توفي= بمصر سنة 761هـ من تصانيفه (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب)، (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك). ينظر الأعلام، (4/ 147).

تكون مفعولا به بتقدير: (اذكر)... وبعض المعربين يقول في ذلك إنه ظرف لـ(اذكر) محذوف. وهذا وهم فاحش؛ لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال؛ وذلك الوقت قد مضى قبل تعلُّق الخطاب بالمكلفين منَّا، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه ". [1]

قال ابن عثيمين بعدما رجح أن العامل في﴿ إِذْ ﴾ هو الفعل (اذكر) :" وهذا التركيب موجود في القرآن كثيرا، وإنما حذف العامل لدلالة السياق عليه " .[2]

ويؤكد هذا الترجيح قوله تعالى بعدها:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: 44]

قال **ابن جرير**:" يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : الأخبارَ التي أخبر بها عباده عن امرأة عمرانَ وابنتها مريمَ، وزكريا وابنه يحي، وسائر ما قصَّ في الآيات من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: 33] . ثم جمَع جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله﴿ ذَٰلِكَ ﴾. فقال: هذه الأنباءُ ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾. أي: من أخبار الغيب. ويعني بـ(الغيب)، أنها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك، ولم يعلمها إلا قليل من أحبار

[1] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، (د،ط)، (د،ت)، ج2، ص7،8.

[2] تفسير القرآن الكريم، آل عمران، (1 / 212).

أهل الكتابين ورهبانهم. ثم أخبر تعالى ذكر نبيَّه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك إليه حجَّةً على نبوته، وتحقيقا لصدقه، وقطعا منه به عذرَ منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدًا لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها، ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها، إلا بإعلام الله ذلك إياه، إذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمِّيٌّ لا يكتب فيقرَأَ الكتبَ، فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب، ولا صاحب أهل الكتبِ فيأخذ علمه من قِبَلِهم " .[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية لدلالة السياق عليه سباقا ولحاقا، وكذلك سياق المقام؛ حيث إنَّ الآية جاءت في سياق قصص غيبي قصَّه الله للنَّظر والاعتبار وتقدير العامل (واذكر) هو الأظهر في حفظ رونق الآيات.

-الآية رقم: 146-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146].

نص موضع الترجيح:

[1] جامع البيان، (5 / 400-401).

قال ابن عطية: " وقرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع (قُتل) بضم القاف وكسر التاء مخففة، وقرأ الباقون[1] ﴿ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ ﴾، بألف بين القاف والتاء، وقوله تعالى (قُتل) قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري : إنه مستند إلى ضمير ﴿ نَّبِيٍّ ﴾، والمعنى عندهم أن النبي قُتل.

وقال الحسن ابن أبي الحسن وجماعة معه: إن (قُتل) إنما هو مستند إلى قوله: ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ وهم المقتولون" . [2]

وترجيح الطبري حسن، **ويؤيد ذلك ما تقدم** من قوله تعالى ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ ﴾ " . [3]

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

أ-توجيه القراءتين:

قال **ابن جرير**: " وهما قراءتان مشهورتان في قرأة المسلمين، ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما، فبأيِّ القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب؛ لاتفاق معنيَيِّ ذلك، وشهرتهما في كلام العرب". [4]

---

[1] المقصود بباقي القرّاء: ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وخلف.

[2] المحرر الوجيز، (2 / 378).

[3] المحرر الوجيز، (2 / 379).

[4] جامع البيان، (6/ 109).

وقال في **توجيه القراءتين**: " فأمَّا من قرأ ﴿ قَـٰتَلَ ﴾ فإنه اختار ذلك؛ لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقوله ﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ وجه معروف؛ لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يَضعُفوا بعد ما قَتلوا. وأمَّا الذين قرأوا ذلك (قُتِل). فإنهم قالوا عنا بالقتل النبيَّ وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وغنما نفى الوَهْنَ والضعف عمن بقي من الرِّبِّيِّين ممَّن لم يُقْتَلْ ". [1]

قال **الفارسي**: " وحجة من قرأ: (قُتِلَ) أن هذا الكلام اقتصاص ما جرى عليه سير أمم الأنبياء قبلهم ليتأسوا بهم، وقد قال ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: 144].وحُجَّة من قرأ: (قاتل) أنَّ المقاتل قد مُدح كما مُدح المقتول فقال ﴿ وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [آل عمران: 195] " .[2]

وقال **ابن خالويه**: " فالحُجَّة لمن أثبت الألف: أنه جعل الفعل للربِّيِّين، فرفعهم به لأنه حديث عنهم، والحُجَّة لمن ضم القاف: أنه جعله فعل ما لم يُسَمَّ فاعله، وأخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم".[3]

ب–دراسة مستند قوله تعالى(قُتل):

القول الأول: ذهب ابن جرير إلى مستند (قُتِلَ) إلى النبيِّ وذلك عندما رجَّح قراءة من قرأ (قُتل) فقال:" وأولى القراءتين بالصواب عندنا قراءة من قرأه بضم القاف؛ لأن الله جل ثناؤه إنَّما عاتب بهذه الآية

---

[1] جامع البيان، (6 / 110).

[2] الحجة للقراء السبعة، الفارسي، (3 / 84).

[3] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص114.

والآيات التي قبلها من قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: 142]، الذين انهزموا يوم أحد، وتركوا القتال، إذ سمعوا الصائح يصيح: إن محمدا قد قُتل فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال... وإنما تأويل الكلام : وكأين من نبي قُتل ومعه ربيُّون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وفي الكلام إضمار واو؛ لأنها واو تدلُّ على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنه اجتزئ بدلالة ما ذُكر من الكلام عليها من ذكرها، وذلك كقول القائل في الكلام: قُتل الأمير معه جيش عظيم؛ بمعنى: قُتل ومعه جيش عظيم" [1]

ووضَّح ابن عطية ترجيح الطبري فقال: " ورجَّح الطبري استناد (قُتِلَ) إلى النبي بدلالة نازلة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن المؤمنين إنَّما تخاذلوا لمَّا قيل قُتل محمد فضُرب المثل بنبي قُتِل". [2]

القول الثاني: قاله الحسن ابن أبي الحسن وجماعة معه: إن (قُتِل) إنما هو مستند إلى قوله ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ وهم المقتولون.

2-ترجيح ابن عطية:

قال ابن عطية: " وترجيح الطبري حسن، ويؤيد ذلك **ما تقدم من** قوله تعالى ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ " . [3]

---

[1] جامع البيان، (6 / 111).

[2] المحرر الوجيز، (2 / 379).

[3] المحرر الوجيز، (2 / 379).

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

ذهب ابن عطية إلى ترجيح ما ذهب إليه الطبري بناء على ما اختاره من قراءة (قُتِلَ)، حيث قال:

" ويحسن عندي... على قراءة (قُتِلَ) إسناده إلى﴿ نَّبِيٍّ ﴾ ". [1]

وعلَّلَ لِحُسن ما ذهب إليه الطبري بدلالة السياق حيث قال: " ويؤيد ذلك **ما تقدم من** قوله تعالى ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ ﴾ " . [2]

وقد **ردَّ أبو حيان** تحسينَ ابنَ عطية بعدما نقل كلامه فقال: " وما ذَكر من أنه يحسُن عنده ما ذَكرَ؛ لا يظهر حُسْنُه، بل القراءتان تحتملان الوجهين ". [3]

قال القرطبي : " وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون (قُتِلَ) واقعا على النبي وحده، وحينئذ يكون تمام الكلام عند قوله: (قُتل)، ويكون في الكلام إضمار، أي: ومعه ربِّيُّون كثير، كما يقال: قُتِل الأمير؛ معه جيش عظيم، أي: ومعه جيش. وخرجت معي تجارة، أي: ومعي.

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 380).

[2] المحرر الوجيز، (2 / 379).

[3] تفسير البحر المحيط، (3 / 79).

الوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبيَّ ومن معه من الرِّبِّيِّين، ويكون وجه الكلام: قُتِل بعض من كان معه؛ تقول العرب: قتلنا بني تميم وبني سليم، وإنما قتلوا بعضهم. ويكون قوله (فما وهنوا) راجعا إلى من بقي منهم. قلت: وهذا القول أشبه بنزول الآية وأنسب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقتل وقُتِل معه جماعة من أصحابه ". [1]

قال ابن عاشور: " وعلى كلتا القراءتين يجوز أن يكون مرفوع الفعلين ضمير نبيء ويجوز أن يكون مرفوع الفعلين لفظ (رِبِّيُّون) فيكون قوله (معه) حالا من (ربِّيُّون) مقدَّما، وجاءت هذه الآية على هذا النظم البديع الصالح لحمل الكلام على تثبيت المسلمين في حال الهزيمة وفي حال الإرجاف بقتل النبيء صلى الله عليه وسلم ". [2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح والله اعلم ما ذهب إليه ابن عطية وابن جرير لدلالة سياق الآيات عليه وهو أشبه بنزول الآية كما ذكر القرطبي.

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (5 / 352).
[2] التحرير والتنوير، (4 / 118).

-الآية رقم: 181-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾

[آل عمران:181]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " قال ابن عباس: نزلت بسبب فنحاص اليهودي (وذكر قِصَّته).

وقال قتادة: نزلت الآية في حيي بن أخطب.

وقال الحسن بن أبي الحسن ومعمر وقتادة أيضا وغيرهم: لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) ... الآية، قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني؟.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله:

ولا محالة أن هذا قول صدر أولا عن فنحاص، وحُيَيْ وأشباههما من الأحبار ثم تقاولها اليهود.

وقوله تعالى ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ دال على أنَّهم جماعة ". [1]

[1] المحرر الوجيز، (2 / 432،433).

-الـــــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية، ونتج عن هذا الاختلاف اضطراب الأقوال في تعيين من صدر عنه القول بأن الله فقير ونحن أغنياء، ويمكن حصر ما قيل من الأقوال فيما يلي:

القول الأول: أنها نزلت بسبب فنحاص اليهودي وهذا مروي عن ابن عباس والسدي وشبل وذكر ابن عباس قصَّته بطولها. [1]

القول الثاني: أنها نزلت في شأن حُيَيْ ابن أخطب وهذا مروي عن قتادة. [2]

القول الثالث: أن هذه المقولة صدرت عن جماعة من اليهود وفيهم نزلت الآية، وهذا مروي عن قتادة، وابن زيد، وابن عباس، ومجاهد، والحسن. [3]

2-ترجيح ابن عطية:

[1] تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 829)، جامع البيان، (6 / 278)، معالم التنزيل، (2 / 143)، الدر المنثور، (4 / 158)، تفسير ابن المنذر، (2 /515)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (3 / 282)، زاد المسير، (1 /514)، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، تأليف: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: طلعت فرحات، محمد أديب شكور، دار الفكر، الطبعة الأولى:(2009م-1430هـ)، ج1، ص453.

[2] جامع البيان، (6 / 280)، الدر المنثور، (4 / 160)، تفسير ابن المنذر، (2 / 517)، زاد المسير، (2 / 516)

[3] جامع البيان، (6 /281)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 828)، الدر المنثور، (4 / 160)، زاد المسير، (1 / 515)، تفسير ابن أبي زمنين، (1 / 338)، الجامع لأحكام القرآن، (5 / 442).

لقد رجَّح ابن عطية أن يكون هذا القول صدر عن أفراد ثمَّ انتشر في جماعة اليهود، فقال:" **ولا محالة أن هذا قول صدر أولا عن فنحاص، وحيي وأشباههما من الأحبار ثم تقاولها اليهود وهو قول يغلط به الأتباع ومن لا علم عنده بمقاصد الكلام** ". [1]

قال: "وقوله تعالى ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ دال على أنَّهم جماعة ". [2]

2-دراسة ترجيح ابن عطية:

استند ابن عطية في ترجيحه إلى السياق وتحديدا **بلحاق الآية المؤكَّدة باللام، وقد؛** على أنَّ الله عز وجل سمع مقالتهم الشنيعة، وهذا **اللحاق** هو قوله تعالى ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ .

وقد ذهب جمع من المفسرين إلى ما ذهب إليه ابن عطية من الترجيح، **مستندين في ذلك إلى السياق وظاهر الآية،** وذكروا أنه هو الذي ينبغي أن يقطع به في الصواب وهذه بعض النقول عن بعضهم رحمهم الله تعالى:

1-**ابن جرير الطبري** حيث قال:" فتأويل الآية إذن: لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود: إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه". [3]

ثم طرح إشكالا وأجاب عليه بما يدل على تقرير ما ذهب إليه من أنَّ القائلين جماعة اليهود وليس خاصًّا بأفراد معيَّنين، رغم ما رواه من الآثار الدالة على أنَّ القائلين معيَّنين، وهذا يدل على ما لدلالة

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 433).

[2] المحرر الوجيز، (2 / 433).

[3] جامع البيان، (6 /281).

السياق من الأهميّة في التفسير عموما، وفي الترجيح على وجه الخصوص، فقال رحمه الله: " فإن قال قائل: وكيف قيل:﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ وقد ذكرت في الآثار التي رويت أن الذين عنوا بقوله:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يكن من أولئك أحد قتَل نبيًّا من الأنبياء؛ لأنهم لم يُدركوا نبيًّا من أنبياء الله فيقتلوه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأن الذين عنى الله عز وجل بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى منهاجهم، من استحلال ذلك واستجازته، فأضاف جلَّ وعزَّ فِعلَ ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة، ونحلة واحدة ". [1]

وقال أبوحيان: " والظاهر أن قائل ذلك جمع ". [2]

قال الرازي[3]: " ظاهر الآية يدل على أن قائل هذا القول كانوا جماعة، لأنه تعالى قال ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ وظاهر هذا القول يفيد الجمع، وأما ما روي أن قائل هذا القول هو فنحاص اليهودي، فهذا يدل على أن غيره لم يقل ذلك، فلما شهد الكتاب أن القائلين كانوا جماعة وجب القطع بذلك ". [4]

---

[1] جامع البيان، (6 / 282،283).

[2] تفسير البحر المحيط، (3 / 135).

[3] محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر، ولد سنة544هـ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، له تصانيف في فنون عديدة، منها تفسيره (مفاتيح الغيب)، (نهاية العقول في دراية الأصول). ينظر: وفيات الأعيان، (4 / 248)، والأعلام، (6 / 313).

[4] التفسير الكبير، تأليف: فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى:(1401هـ-1981م)، ج9، ص121،122.

وقال ابن عادل الكلبي[1]: " والكتاب يشهد بأن القائلين جماعة، فيجب القطع بذلك". [2]

وقال ابن عاشور:" والذين قالوا ذلك هم اليهود، كما هو صريح آخر الآية في قوله﴿ **وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾ ". [3]

وقال ابن عثيمين: " وهم أناس من اليهود منهم رجل يسمى (فنحاص) ولكن الله عز وجل في كتابه لا يذكر شيئا خاصا إلا لسبب، لابد من تعيين الشخص، ولهذا لم يذكر الله عز وجل أحدا باسمه في القرآن من هذه الأمّة إلا رجلا مؤمنا ورجلا كافرا فقط. الرجل المؤمن: زيد بن حارثة، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: 37]، والرجل الكافر من هذه الأمَّة أبو لهب؛ لأن الوصف أكثر فائدة لوجهين:

الأول: أنه قد تتغيَّر حال المعيَّن، يكون بالأول فاسقا ماردا كافرا، ثم يسلم ويتوب الله عليه، فإذا تاب ولم يذكر اسمه في القرآن كان أحسن مما لو ذُكر، فإنه لو ذُكِر اسمه لبقي العار عليه ولو تاب.

---

[1] عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، صاحب التفسير الكبير، (اللباب في علوم الكتاب)، توفي سنة: 880هـ. ينظر، الأعلام، (5 / 58).

[2] اللباب في علوم الكتاب، تأليف: ابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى:(1419هـ-1998م)، ج6، ص89.

[3] التحرير والتنوير، (4 / 183).

الثاني: أنّه أعم؛ لأن تعليق الحكم بالوصف أعم من تعليقه بالشخص، ولهذا إذا علِّق الحكم بالشخص احتمل الخصوصية، وإذا قلنا بعمومه-بعموم الحكم المعلق بالشخص-فإنَّه ليس عموما شموليا، ولكنه عموم تمثيلي، يعني بالقياس ". [1]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية لدلالة السياق عليه؛ ولأنَّ العبرة بعموم لفظ الآية لا بخصوص سبب نزولها في فنحاص اليهودي، ولأنَّه قول جمع من المفسرين منهم إمامهم ابن جرير.

[1] تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، سورة آل عمران، ج2، ص490.

المبحث الثالث: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة النساء

تمهيـــــــد:

قد اشتملت سورة النساء على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله، وأنّهم محقوقون بأن يشكروا ربّهم على ذلك، وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه، بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة، وبالرفق بضعفاء النوع من اليتامى، ويراعوا حقوق صنف النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهنّ، والإشارة إلى عقود النكاح والصداق، وشرع قوانين المعاملة مع النساء في حالتي الاستقامة والانحراف من كلا الزوجين، ومعاشرتهنّ والمصالحة معهنّ، وبيان ما يحلّ للتزوّج منهنّ، والمحرّمات بالقرابة أو الصهر، وأحكام الجواري بملك اليمين، وكذلك حقوق مصير المال إلى القرابة، وتقسيم ذلك، وحقوق حفظ اليتامى في أموالهم وحفظها لهم والوصاية عليهم.

ثم أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء وأحكام القتل عمداً وخطأ، وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدفاع عن المعتدى عليه، والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة، والتحذير من اتّباع الهوى، والأمر بالبرّ، والمواساة، وأداء الأمانات، والتمهيد لتحريم شرب الخمر.

وطائفة من أحكام الصلاة، والطهارة، وصلاة الخوف، ثم أحوال اليهود، لكثرتهم بالمدينة، وأحوال المنافقين وفضائحهم، وأحكام الجهاد لدفع شوكة المشركين، وأحكام معاملة المشركين ومساويهم، ووجوب هجرة المؤمنين من مكّة، وإبطال مآثر الجاهلية.

وقد تخلّل ذلك مواعظ، وترغيب، ونهي عن الحسد، وعن تمنّي ما للغير من المزايا التي حرم منها من حُرم بحكم الشرع، أو بحكم الفِطرة، والترغيب في التوسّط في الخير والإصلاح، وبثّ المحبّة بين المسلمين[1]. وفيما يلي بيان ما رجح فيه ابن عطية بالسياق في هذه السورة:

[1] التحرير والتنوير، (4/213-214).

-الآية رقم: 33-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 33].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " اختلف المتأوِّلون في المراد بـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ فقال الحسن، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وغيرهم: هم الأحلاف، فإن العرب كانت تتوارث بالحلف، فشدد الله ذلك بهذه الآية، ثم نسخه بآية الأنفال: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾.

وقال ابن عباس أيضا: هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم، فإنهم كانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نُسخ ذلك بما تقدم.

وورد لابن عباس أن المهاجرين كانوا يرثون الأنصار دون ذوي رحمهم، للأخوَّة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فنزلت الآية في ذلك ناسخة، وبقي إيتاء النصيب من النصر والمعونة أو من المال على جهة الندب في الوصية.

وقال سعيد ابن المسيب: هم الأبناء الذين كانوا يُتَبنَّون، والنصيب الذي أُمِر الناس بإيتائه هو الوصية لا الميراث.

وقال ابن عباس أيضا: هم الأحلاف إلا أن النصيب هو المؤازرة في الحق، والنصر، والوفاء بالحلف، لا الميراث.

وروي عن الحسن أنها في قوم يوصى لهم فيموت الموصى له قبل نفوذ الوصية ووجوبها، فأمِر الموصى أن يؤدِّيها إلى ورثة الموصى له.

ولفظة المعاقدة والأيمان ترجِّح أن المراد: الأحلاف، لأن ما ذُكر من غير الأحلاف ليس في جميعه معاقدة ولا أيمان ". [1]

-الـــــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

أ-مناقشة دعوى النسخ في الآية:

قال ابن العربي[2]:" تكلم عليها (الآية) محاولوا هذا الشأن بكلام طويل لبابه في ثلاثة أقوال:

الأول: أنها ناسخة قاله سعيد ابن المسيب، ومعناها عنده الحلفاء في الجاهلية والذين كانوا يتبنون في الجاهلية فكانوا يرثون على ذلك حتى نزلت﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ ﴾

[1] المحرر الوجيز، (2 / 538،539)

[2] أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، ولد سنة 468هـ، قاض، من حفاظ الحديث، رحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتبا في الحديث والفقه والاصول والتفسير والأدب والتاريخ، وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة 543، من كتبه: (العواصم من القواصم)، و(عارضة الاحوذي في شرح الترمذي) و(أحكام القرآن)، و(القبس في شرح موطأ ابن أنس)، و (الناسخ والمنسوخ). ينظر، وفيات العيان، (4 / 296)، الأعلام، (6 / 230).

فنزع الله ميراثهم، وأثبت لهم الوصية...**الثاني**: أنها منسوخة، قال الحسن في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ ﴾ قال : كان الرجل يعاقد الرجل على أيهما مات ورثه الآخر فنسختها آية المواريث...وقال قتادة نسخها قوله تعالى:﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما...**الثالث**: أنها محكمة ويكون معناها فآتوهم نصيبهم من العقد والمشورة والرفد. قاله سعيد بن جبير.

قال القاضي محمد بن العربي رحمه الله: "كل من تكلم على هذه الآية؛ إنما نظر إلى أن حكمها ساقط من التوارث فقال: أسقطه قوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾[النساء: 11] ، وقال آخرون: نسخها ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ [الأنفال: 75] ، وقال قوم: إن حكمها باق، وإنه يتوارث بالمعاقدة، والمعاقدة إنما هي اجتماع الاسم في الديوان...ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يعوَّل عليه، فلم يبق إلا التعويل على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه، القدوة في علوم التنزيل والموقوف عليه فقه الدين والتأويل.

وقد ثبت في الصحيح عنه أنه " قال في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ كان المهاجرون حين قدموا المدينة ترث الأنصار دون ذوي الرحم للأخوَّة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم حتى نزلت﴿ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾ قال فنسختها ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ ﴾ من النصح والنصر والرفادة ويوصي له ولا يرث." [1]

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب: ذوي الأرحام، حديث رقم:(6747)، دون قوله (من النصح والنصر والرفادة)، والبيهقي في السنن الكبرى، طبعة مجلس دائرة المعارف الهند، الطبعة الأولى،1344هـ، كتاب الفرائض، ج6، ص262، وأبو داود في سننه كتاب: الفرائض، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، حديث رقم:(2922).

فبيَّن أن الآية نسخت السنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم قررها بينهم وجعل للحلف حقه من الواصلة والرفد والنصرة والوصية... وقول ابن عباس هذا خبر عن الشريعة وليس بخبر عن نظر وتأويل رآه، فلأجل ذلك لزم الوقوف عنده". [1]

فيذهب ابن العربي أن الآية ناسخة واعتمد في ذلك على أثر ابن عباس في الصحيح.

وإذا كان هذا المذهب في تفسير الآية يقوم على ما أثر بأسانيد صحيحة ... فإن هناك مذهبا أصحَّ منه في تفسير الآية يقرر أصحابه أن المأمور به في الآية هو النصرة، والنصيحة، والرفادة، والوصية، ولاميراث.[2]

وهذا ما ذهب إليه **ابن جرير والنحَّاس** اعتمادا على حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقررون أن الآية لا ناسخة ولا منسوخة وإنما هي محكمة ولها تأويلها جمعا بين الأدلة والآثار.

قال أبو **جعفر النحاس** معلِّقًا على أثر ابن عباس من أنَّ الآية ناسخة:" فحمل هذا الحديث وأدخل في المسند، على أن الآية ناسخة، وليس لأمر عندي كذلك، والذي يجب أن يحمل عليه الحديث أن يكون﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ ناسخا لما كانوا يفعلونه وأن يكون ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ غير ناسخ ولا منسوخ؛ ولكن فسره ابن عباس...وممن قال أنها محكمة مجاهد وسعيد ابن جبير.

قال أبو جعفر: وهذا أولى ما قيل في الآية إنها محكمة لعلتين:

---

[1] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: أبو بكر بن العربي، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية- مصر-، (د،ت)، ج2، ص(140-142).

[2] النسخ في القرآن، تأليف: مصطفى زيد، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: (1408هـ-1987)، ج2، ص700.

إحداهما: أنه إنما يحمل النسخ على ما لا يصح المعنى إلا به وما كان منافيا، فأما ما صح معناه وهو متلو فبعيد من الناسخ والمنسوخ.

والعلة الأخرى: الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح الإسناد.

فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة".[1]

فتبين بهذا الحديث أن الحلف غير منسوخ، وتبين من الحديث الأول، وقول مجاهد وسعيد ابن جبير أنه في النصر والنصيحة والعون والرِّفد ويكون ما في الحديث الأول من قول ابن عباس: نسختها يعني﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾، لأن الناس كانوا يتوارثون في الجاهلية بالتبني، وتوارثوا في أوَّل الإسلام بالإخاء، ثمَّ نسخ هذا كله فرائض الله بالمواريث ".[2]

قال **ابن جرير** بعدما ساق الحديث السابق وأسنده بطرقه:" فإذا كان ما ذكرنا عن رسول الله صحيحا، وكانت الآية إذا أُختلف في حكمها منسوخ هو أم غير منسوخ، غير جائز القضاء عليه بأنه منسوخ-مع اختلاف المختلفين فيه، ولوجوب حكمها ونفي النسخ عنها وجه صحيح-إلا بحجة يجب التسليم لها...وإذا صح ما قلنا في ذلك وجب أن تكون الآية محكمة لا منسوخة ".[3]

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، حديث رقم: (2530)، وأبو داود في سننه، كتاب: الفرائض، باب في الحلف، حديث رقم:(2925)، وأحمد في مسنده-طبعة الرسالة- حديث رقم: (16761).

[2] الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء، تأليف: أبي جعفر النحاس، تحقيق: سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:1412هـ-1991م، ج2، ص(202-206).

[3] جامع البيان، (6 / 685).

وقال القرطبي: " ولا يصح النسخ فإن الجمع ممكن كما بينه ابن عباس فينا ذكره الطبريُّ، ورواه البخاري عنه في كتاب التفسير". [1]

ب–تحديدُ المعنيِّ بالموصول في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء:33].

حكى ابن عطية الخلاف في المسألة ونسب كل قول لصاحبه، وهذه مجمل الأقوال مع ذكر مصادرها التي ذُكرت فيها:

القول الأول: أن المقصود بهم في الآية هم الحلفاء، فكان الرجل في الجاهلية يحالف الرجل ويعاقده ويقول دمي دمك هدمي هدمك مالي مالك، ترثني وأرثك، وهذا القول مروي عن ابن عباس، وعكرمة، وسعيد ابن جبير، وسعيد ابن المسيب، والحسن، وعطاء، وأبي صالح، والشعبي، وسليمان ابن يسار، والسدي، والضحاك، وقتادة، ومجاهد، ومقاتل ابن حيان. [2]

القول الثاني: أنهم الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم المهاجرون والأنصار، وهذا مروي عن ابن عباس، وسعيد ابن جبير، وابن زيد. [3]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، (6 / 275).

[2] جامع البيان، (6 / 675)، الدر المنثور، (4 /378)، زاد المسير، (2/ 71)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 937)، تفسير ابن المنذر، (2 /680)، تفسير ابن أبي زمنين، (1 / 366)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (4 /11)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (2 / 44)، تفسير عبد ابن حميد وهو ضمن: قطعة من تفسير الإمام عبد ابن حميد، اعتناء مخلف بنيه العرف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى:1425هـ، 2004م، ص87.

[3] جامع البيان، (6 / 678)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 937)، تفسير ان المنذر، (2 / 682)، معالم التنزيل، (2 / 206)، الدر المنثور، (4 / 380)، زاد المسير، (2 / 72)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (4 / 10)، درج الدرر، (1 / 484)، النكت والعيون، (1 /479).

القول الثالث: أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية، فأمروا في الإسلام أن يوصوا لهم في الإسلام بوصية، وهذا قول سعيد ابن المسيب. [1]

القول الرابع: أنهم قوم جُعل لهم نصيب من الوصية، ثم هلكوا فذهب نصيبهم بهلاكهم، وهذا قول الحسن. [2]

القول الخامس: هم أبوبكر وابنه عبد الرحمان رضي الله عنهما، حين أبى عبد الرحمان أن يسلم، فحلف أبو بكر ألا يورِّثه، فلما أسلم أمره الله أن يورِّثه نصيبه. [3]

قال ابن كثير: " وهذا قول غريب". [4]

2-ترجيح ابن عطية:

قال:" **ولفظة المعاقدة والأيمان ترجِّح أن المراد: الأحلاف، لأن ما ذُكر من غير الأحلاف ليس في جميعه معاقدة ولا أيمان**". [5]

---

[1] جامع البيان، (6 / 681)، معالم التنزيل، (2 /206)، الدر المنثور، (4 / 380)، النكت والعيون، (1 / 480)، الجامع لأحكام القرآن، (6 / 274)، تفسير ابن كثير، (4 / 19).

[2] النكت والعيون، (1 / 480)، المحرر الوجيز، (2 / 539)، التحرير والتنوير، (5 / 37).

[3] رواه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، حديث رقم: 2923، حدثنا أحمد ابن حنبل وعبد العزيز بن يحي ثنا محمد ابن سلمة به، ومحمد بن إسحاق، ومحمد ابن إسحاق مدلس ولم يصرِّح بالتحديث، قال عنه ابن حجر في تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: طبعة مكتبة المنار الطبعة الأولى، ص51 قال: صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء، والمجهولين وعن شر منهم، وصفه بذلك أحمد والدارقطني، وغيرهما. وقد ضعفه الألباني في (ضعيف أبي داود-626)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 938)، الدر المنثور، (4 / 381).

[4] تفسير القرآن العظيم، (4 / 17).

[5] المحرر الوجيز، (2 / 539).

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

ذهب ابن عطية إلى أن المقصودين في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ والمعني بالموصول، هم الحلفاء، واستدل لذلك بسياق ألفاظ الآية وهو ما جاء بعدها من قوله تعالى﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾؛ فلفظ المعاقدة والأيمان لا يطَّرد فيما ذُكر من الأقوال في الآية ما عدا القول الأول، فسياق ألفاظه من ذكر المعاقدة والأيمان ينطبق تماما على هذا القول وهذا ما يجعله القول الراجح.

وقد عدَّ **الواحدي** هذا القول بأنه قول جميع المفسرين فقال:"﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ يعني: الحلفاء في قول جميع المفسرين". [1]

وما ذكره الواحدي من الإجماع لا يُسلَّم له؛ لوجود الخلاف. [2]

وقد رجح القول الأول جمع من المفسرين نذكر منهم:

1-**ابن جرير الطبري** حيث قال:" وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله:﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾. قول من قال: والذين عقدت أيمانكم على المحالفة، وهم الحلفاء.

وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيَّام العرب وأخبارها، أنَّ عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان والعهود والمواثيق، على نحو ما ذكرنا من الرواية في ذلك.

فإذا كان الله جل ثناؤه إنما وصف الذين عقدت أيمانهم ما عقدوه بها بينهم، دون من لم يعقد ما بينهم أيمانهم، وكانت مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين من آخى بينه وبينه من المهاجرين

[1] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ج2، ص44.

[2] الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير مناقشة، جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة 1416هـ، دار الوطن للنشر، (د،ت)، ص274.

والأنصار، لم تكن بينهم بأيمانهم، وكذلك التَّبَنِّي-كان معلوما أن الصواب من القول في ذلك قول من قال: هو الحلف. دون غيره؛ لما وصفنا من العلّة ". [1]

2-**ابن كثير** حيث قال:" ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ أي: والذين تحالفتم بالأيمان المؤَكَّدة أنتم وهم ". [2]

3- **القاسمي**[3] **قال**:" وفي هذه الآية محامل كثيرة ووجوه للسلف والخلف، أظهرها لسلف المفسرين رضوان الله عليهم، وهو أنَّ المعنيَّ بالموصول، الحلفاء". [4]

4- **ابن سعدي قال**: " ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾؛ أي : حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة والاشتراك بالأموال وغير ذلك ". [5]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية لدلالة السياق عليه وهو لفظ المعاقدة، ولصريح حديث النبي صلى الله عليه وسلَّم في بيان معنى الآية من أنها في الأحلاف، وهو قول لجمع من المفسِّرين كما مرَّ.

---

[1] جامع البيان، (6 / 682).

[2] تفسير القرآن العظيم، (4 / 10).

[3] جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الادب، مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة 1283هـ، اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة (سنة 1313 هـ) وسألته، فرد التهمة فأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الاسلامية والادب، ونشر بحوثا كثيرة في المجلات والصحف، توفي سنة 1332هـ، له (ديوان الحطب)، (الفتوى في الإسلام)، (محاسن التأويل). ينظر، الأعلام، (2 / 135).

[4] محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى(1376هـ-1957م)، ج5، ص1212.

[5] تيسير الكريم المنان، (1 / 302).

الآية رقم:77

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [النساء: 77].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية: " اختلف المتأوّلون في المراد بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ﴾؛ فقال ابن عباس وغيره: كان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والمقداد بن عمرو الكندي وجماعة سواهم قد أنفوا من الذل بمكة قبل الهجرة، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيح لهم مقاتلة المشركين فأمرهم الله تعالى بكف الأيدي، وأن لا يفعلوا، فلما كان بالمدينة وفرض القتال شق ذلك على بعضهم وصعب موقعة ولحقهم ما يلحق البشر من الخور والكع عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم.

وقال قوم كان كثير من العرب قد استحسنوا الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم على فرائضه التي كانت قبل القتال من الصلاة والزكاة ونحوها والموادعة وكف الأيدي فلما نزل القتال شق ذلك عليهم وجزعوا له فنزلت الآية فيهم.

وقال مجاهد وابن عباس أيضا إنما الآية حكاية عن اليهود أنهم فعلوا ذلك مع نبيهم في وقته فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم ونهي المؤمنين عن فعل مثله وقالت فرقة: المراد بالآية المنافقون من أهل المدينة عبد الله بن أبي وأمثاله وذلك أنهم كانوا قد سكتوا على الكره إلى فرائض الإسلام مع الدعة وعدم القتال فلما نزل القتال شق عليهم وصعب عليهم صعوبة شديدة إذ كانوا مكذِّبين بالثواب ذكره المهدوي.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: "ويحسِّنُ هذا القول أن ذكر المنافقين **يطَّرد فيما بعدها من الآيات**...والهاء والميم في قوله ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ** ﴾رد على الذين قيل لهم كفوا أيديكم **وهذا يدل على أنهم المنافقون** لأن المؤمنين لا **تليق بهم هذه المقالة ولأن اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت أمر فتصيبهم بسببه أسواء** ".[1]

الـــدراسة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في مَنِ المراد بقوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ** ﴾ ومجمل ما قيل في ذلك خمسة أقوال: **القول الأول**: أنهم عبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن عمر الكندي، وجماعة سواهم، أبوا الذل بمكة وطلبوا القتال قبل أن يُشرع، فلما شُرِع، كَفُّوا عنه، وهذا مروي عن ابن عباس وقتادة. [2]

القول الثاني: أنهم اليهود، وهذا مروي عن مجاهد، وابن عباس. [3]

القول الثالث: أنهم المؤمنون، لقوله تعالى ﴿ **يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ** ﴾، وهذا مروي عن الحسن[4] :" أي: مشركي مكة ﴿**كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ** ﴾ فهي على ما طُبِع عليه البشر من المخافة، لا على المخالفة".[5]

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 204-207) باختصار.

[2] جامع البيان، (7 / 231)، الدر المنثور، (4 /538)، تفسير ابن كثير، (4 / 162)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (2 / 82)، المحرر الوجيز، (2 / 604)، تفسير ابن المنذر، (2 / 794)، معالم التنزيل، (2 / 250).

[3] جامع البيان، (7 / 233)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1003)، المحرر الوجيز، (2 / 604)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (6 / 462)، تفسير ابن المنذر، (2 / 793).

[4] النكت والعيون، (1 / 507)، المحرر الوجيز، (2 / 604)، معاني القرآن للزجاج، (2 / 78)، تفسير القرآن للسمعاني، (1 / 448).

[5] الجامع لأحكام القرآن، (6 / 462)، تفسير البحر المحيط، (3 / 309).

القول الرابع: أن الآية في قوم أسلموا قبل فرض القتال فلما فُرض كرهوه، وهذا مروي عن السدي. [1]

القول الخامس: أنهم المنافقون، وهو قول ذكره بعض البصريين، ونسبه ابن عطية للمهدوي[2] وقد ذكر هذا القول جمع من المفسرين.[3]

2-ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية أن تكون الآية في المنافقين، وهو القول الذي نسبه للمهدوي وقال عنه أنه قول يحَسِّنه" **أن ذكر المنافقين يطَّرِد في ما بعدها من الآيات**".

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

نلاحظ أنَّ ابن عطيَّة حسَّن هذا القول بناءً على سياق الآيات؛ حيث إنَّ الآيات بعد هذه الآية جاءت معانيها منزَّلة على أفعال المنافقين.

وكذلك حكَّم السياق في ترجيحه لهذا القول عندما جاء إلى تفسير قوله تعالى ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾[النساء: 78]، حيث قال:" والهاء والميم في قوله ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ** ﴾ ردٌّ على الذين قيل لهم ﴿ **كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ** ﴾

[1] جامع البيان، (7 / 232)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1004)، الدر المنثور، (4 / 538)، تفسير ابن كثير، (4 / 161)

[2] أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي، أبو العباس: مقرئ أندلسي أصله من المهدية بالقيروان، رحل إلى الأندلس في حدود سنة 408 وصنف كتبا، منها (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القرآت والإعراب، توفي سنة 440هـ. ينظر: الأعلام، (1 / 184).

[3] النكت والعيون، (1 / 507)، الجامع لأحكام القرآن، (6 / 463)، معالم التنزيل، (2 / 251)، درج الدرر، (1 / 507)، فتح القدير، ص331، التفسير الكبير للرازي، (10/ 190).

وهذا يدل على أنهم المنافقون، لأن المؤمنين لا تليق بهم هذه المقالة، لأن اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت أمر؛ فتصيبهم بسببه أسواء".[1]

وهذا الذي رجَّحه ابن عطية واستند إلى السياق في ترجيحه؛ ذهب إليه ورجَّحه جمع من المفسرين نذكر بعضهم:

1-**الإمام القرطبي**: قال بعدما ذكر أن الآية وصف للمنافقين:" **وهذا أشبه بسياق الآية؛** لقوله: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: هلَّا، ولا يليها إلا الفعل. ومعاذ الله أن يصدُر هذا القول من صحابي كريم يعلم أنَّ الآجال محدودة، والأرزاق مقسومة، بل كانوا لأوامر الله ممتثلين سامعين طائعين، يرون الوصول إلى الدَّار الآجلة خيرا من المقام في الدار العاجلة، على ما هو معروف من سيرتهم، اللَّهم إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه، ولا انشرح بالإسلام جنانه؛ فإنَّ أهل الإيمان متفاضلون، فمنهم الكامل ومنهم الناقص، وهو الذي تنفر نفسه عمَّا يُؤمر به فيما تلحقه فيه المشقَّة، وتدركه فيه الشِّدَّة. والله أعلم ". [2]

2-**ابن جزي المالكي**: قال:" ...وقيل هي في المنافقين **وهو أليق في سياق الكلام**".[3]

3-**الإمام الشوكاني**: قال: " وقيل في المنافقين أسلموا قبل فرض القتال، فلما فُرِضَ كرهوه، **وهذا أشبه بالسياق** لقوله ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ ويبعُد صدور مثل هذا عن الصحابة ".[4]

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 607).

[2] الجامع لأحكام القرآن، (6 / 463).

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 199).

[4] فتح القدير، ص313.

4-**القاسمي** في محاسن التأويل قال:" وعندي أنَّ هذه الآية كسوابقها نزلت في المنافقين، تقريعا لهم وتحذيرا للمخلصين، مِن شاكلتهم، والقول بنزولها في بعض المؤمنين لا يصح لوجوه:

...ومنها: **أنَّ السياق في المنافقين**، وقد ابتدئ الكلام في شأنهم من قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: 60]، إلى قوله تعالى ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [النساء: 89]، كما يظهر من التدبُّر الصادق.

ومنها: **أنَّ هذا السياق اشتمل على أمور تدلُّ على أنَّها مختصَّة بالمنافقين**؛ لأنَّه تعالى قال في وصفهم ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾، ولا يكون هذا الوصف إلا لكافر، أو منافق".[1]

5-**الفخر الرازي**: قال:" **والأولى حمل الآية على المنافقين**؛ لأنَّه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾، ولا شك أنَّ هذا من كلام المنافقين".[2]

الراجح ووجه الترجيح:

يتبين من هذه الأقوال أنَّ الآية في المنافقين؛ لأنَّ السياق في ذكرهم، والآيات قبلها وبعدها في شأنهم؛ فيتَّجه حمل معنى الآية عليهم؛ إلا أنَّه ينبغي التنبُّه إلى أنَّ لهذه الآية سبب نزول صحيح وعليه بُنِيَ القول الأول من الأقوال المحكية آنفا ونذكره هنا بنصِّه:

---

[1] محاسن التأويل للقاسمي، (4 / 1400).

[2] التفسير الكبير، (10 / 190).

– روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمان بن عوف وأصحابا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلَّم بمكة، فقالوا: يا نبيَّ الله، إنَّا كنا في عز ونحن مشركون، فلمَّا آمنَّا صرنا أذلَّة، فقال: (إني أُمِرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم) فلمَّا حوَّله الله إلى المدينة أُمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ .[1]

فهذا من أسباب النزول الصريحة في بيان من نزلت فيهم الآية، حيث جيء بفاء تعقيبية داخلة على مادَّة النزول؛ ثمَّ إنه مروي عن حبر الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومن قواعد الترجيح عند المفسرين:

قاعدة: وإذا صحَّ سبب النزول الصريح فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير.[2]

---

[1] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، حديث رقم:(4279)، وفي كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ حديث رقم: (11047)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب مبتدأ الإذن بالقتال، طبعة مجلس دائرة المعارف الهند، الطبعة الأولى،(1344هـ)، ج9، ص11 ، وابن الأثير في جامع الأصول، في كتاب تفسير القرآن وأسباب نزوله، حديث رقم:(573)، والحاكم في مستدركه، طبعة دار المعرفة-لبنان-(دت)، (ج2، ص307)، في كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. قال مقبل ابن هادي: وسكت عليه الذهبي وفيما قاله نظر، فإنَّ حسين بن واقد ليس من رجال البخاري، فالأولى أن يقال رجاله رجال الصحيح، فإنَّ حسينا من رجال مسلم، وعكرمة من رجال البخاري، ومن رجال مسلم مقرونا بآخر. أنظر:(الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، الطبعة السابعة(1430هـ-2009م)، ص82.

[2] قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ص241.

-الآية: رقم 100-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء:100].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية:" قال ابن عباس والربيع والضحاك وغيرهم: السعة هنا هي السعة في الرزق، وقال قتادة: المعنى: سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى.

وقال مالك: السعة سعة البلاد.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله:

المشبَّه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، وبذلك تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح...**وهذا المعنى ظاهر من** قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: 97] ". [1]

-الـــــدراســة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

[1] المحرر الوجيز، (2 / 644).

اختلف أهل التفسير في معنى السعة التي ذكرها الله عزَّ وجل في هذه الآية على أربعة أقوال:

-القول الأول: المقصود بها: **السعة في الرزق**، وهذا مروي عن: ابن عباس، والربيع، والضحاك، ومقاتل ابن حيان. [1]

-القول الثاني: هي السَّعَة بالانتقال من الضلالة إلى الهدى ومن الفقر إلى الغنى، وهذا مروي عن قتادة.[2]

-القول الثالث: السَّعَة: هي سعة البلاد، وهذا مروي عن الإمام مالك.[3]

-القول الرابع: السَّعَة: هي الرَّخَاء، وهذا مروي عن عطاء.[4]

2-ترجيح ابن عطية:

ذكر ابن عطية ثلاثة أقوال في الآية، ولم يذكر القول المرويّ، عن عطاء، ثمَّ ذهب إلى ترجيح القول الثالث الذي ذهب إليه الإمام مالك وهو أنَّ المقصود بالسَّعة في قوله تعالى: ﴿وَسَعَةً﴾ سعة البلاد والأرض فقال:" المشبَّه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، وبذلك تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح".[5]

---

[1] جامع البيان، (7 / 402)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1050)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (7 / 66)، زاد المسير، (2 / 179)، النكت والعيون، (1 / 522).

[2] جامع البيان، (7 / 402)، الدر المنثور، (4 / 644)، تفسير عبد ابن حميد، (ص13)، تفسير ابن كثير، (4 / 232)، تفسير القرطبي، (7 / 66)، النكت والعيون، (1 / 522)، تفسير الواحدي، (2 / 106).

[3] تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1050)، الدر المنثور، (4 / 644)، تفسير القرطبي، (7 / 66).

[4] تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1050)، الدر المنثور، (4 / 644).

[5] المحرر الوجيز، (2 / 644).

قال:" **وهذا المعنى ظاهر من** قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً ﴾".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

اعتمد ابن عطية في ترجيحه على السياق وتحديدا **بسباق الآية** وهو قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[النساء: 97]، وهذا ما فسَّر به هذه الآية التي جعلها مستندا في الترجيح فقال: "... وأرض الله هي الأرض بالإطلاق ".[2]

-ترجيحات بعض المفسرين:

1-ذهب **ابن جرير** الطبري إلى ترجيحٍ يجمع فيه بين الأقوال السابقة وجعل للسَّعة معنى واسعا يشمل كلَّ معاني السَّعة التي يحتاجها المؤمنون فقال:

" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنَّ الله تبارك وتعالى أخبر أنَّ من هاجر في سبيله يجد في الأرض مضطربا ومتَّسعا، وقد يدخل في السَّعةِ؛ السَّعةُ في الرزق والغنى من الفقر، ويدخُل فيه السَّعَة من ضيق الهمِّ والكرب الذي كان فيه أهل الإيمان بالله من المشركين بمكَّة، وغير ذلك من معاني السَّعة، التي هي بمعنى الرَّوح والفرج من مكروه ما كره الله للمؤمنين لمقامهم بين ظهراني المشركين وفي سلطانهم.

ولم يضع الله دلالة على أنَّه عنى بقوله ﴿ وَاسِعَةً ﴾ بعض معاني السعة التي وصفنا، فكل معاني السَّعة التي هي بمعنى الرَّوح والفرج ممَّا كانوا فيه من ضيق العيش، وغمِّ جوار أهل الشرك، وضيق الصَّدر، بتعذُّر إظهار الإيمان بالله، وإخلاص توحيده، وفراق الأنداد والآلهة –داخل في ذلك".[3]

---

[1] المحرر الوجيز، (2 / 644).

[2] المحرر الوجيز، (2 / 642).

[3] جامع البيان، (7 / 403).

2- **ابن عاشور** ذكر أنَّ تفسير السَّعة مرتبط بما قيل في تفسير المراغَمِ قبلها ويعدُّ هذا كذلك تفسير للآية بالنظر إلى سياقها حيث قال: " والسَّعة ضدُّ الضيق، وهي حقيقةً اتِّساع الأمكنة، وتطلق على رفاهية العيش، فهي سعة مجازية، فإن كان المراغم هو الذهاب في الأرض فعطف السَّعة عليه عطف تفسير، وإن كان هو مكان الإغاضة؛ فعطف السَّعة للدلالة على أنّه يجده ملائما من جهة إرضاء النفس، ومن جهة راحة الإقامة ".[1]

الراجح ووجه الترجيح:

وعلى هذا فإذا كانت الآية تحتمل أوجها لا تناقض بينها ويُؤَيِّدها السياق أصالة تعيَّن حملها على الجميع وفي هذا المعنى يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية:**" ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين؛ إمّا لكونه مشتركا في اللفظ...وإمَّا لكونه متواطئا في الأصل...فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كلُّ المعاني التي قالها السَّلف".[2]

ويقول **ابن القيِّم:**" وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن: أنَّها تكون دالَّة على جملة معان، فيعبِّر هذا عن بعضها، وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كلَّه".[3]

ويقول **الشنقيطي:**"... تقرر عند العلماء من أنَّ الآية إن كانت تحتمل معاني كلُّها صحيحة تعيَّن حملها على الجميع".[4]

---

[1] التحرير والتنوير، (5 / 180-181).

[2] مجموعة الفتاوى، (3 / 182).

[3] جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمَّد خير الأنام، تأليف: ابن قيِّم الجوزيَّة، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: (1417هـ-1997)، ص437.

[4] أضواء البيان، (3 / 148).

-الآية رقم: 103-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: 103].

نص موضع الترجيح:

قال ابن عطية:" ذهب قوم إلى أن﴿ قَضَيْتُمُ ﴾ بمعنى: فعلتم، أي إذا تلبستم بالصلاة فلتكن على هذه الهيئات بحسب الضرورات: المرض وغيره".[1]

وقال: " وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يُبَيِّن أن القضاء المشار إليه قبلُ إنما هو قضاء صلاة الخوف".[2]

-الـــــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في تعيين الصلاة التي وُصِفت بالقضاء في الآية، بناءًا على اختلافهم في معنى القضاء؛ فمن جعل القضاء هو: " **بمعنى انقضاء الشيء وتمامه، والفراغ منه، وإتمامه**" [3]؛

---

[1] المحرر الوجيز، (3 / 14).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 15).

[3] البهجة في شرح التحفة، تأليف: علي ابن عبد السلام التسولي، ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى:(1418هـ-1998م)، ص28.

جعل المقصود بالصلاة هنا هي صلاة الخوف، فيكون المعنى: فإذا قضيتم صلاة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الأحوال، فإنَّ ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرُّعِ إليه.[1] وهذا القول مروي عن: ابن عباس، ومقاتل ابن حيَّان، وإليه ذهب الجمهور.[2]

القول الثاني: من جعل القضاء بمعنى الفعل والتلبُّسِ به، كما قال **القرافي**: " ويريد بالقضاء الفِعلُ، نحو قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ".[3]

فمن ذهب إلى هذا المعنى جعل المقصود بالصلاة هي الصلاة مطلقا، ويكون المعنى: إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فقعودا، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم.[4]

قال ابن عطيَّة: " وبحسب هذه الآية رتَّب ابن الموَّاز صلاة المريض فقال: يصلّي قاعدا، فإن لم يطق فعلى جنبه الأيمن، فإن لم يطق فعلى الأيسر، فإن لم يطق فعلى الظهر، ومذهب مالك في المدوَّنة التخيير لأنه قال: فعلى جنبه أو ظهره".[5]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

---

[1] التفسير الكبير، (11 / 28).

[2] تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1055)، الدر المنثور، (4 / 673)، تفسير ابن كثير، (4 / 257)، تفسير القرطبي، (7 / 110)، تفسير البحر المحيط، (3 / 356)، أحكام القرآن لابن العربي، (1 / 624)، زاد المسير، (2 / 187)، تفسير الواحدي، (2 / 110)، محاسن التأويل، (4 / 1518)، فتح القدير، ص326، تفسير السمعاني، (1 / 474).

[3] الذخيرة، تأليف: القرافي، تحقيق: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: (1994م)، ج2، ص35.

[4] التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 209).

[5] المحرر الوجيز، (3 / 14).

قال: " وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يبيِّن أن القضاء المشار إليه قبلُ إنما هو قضاء صلاة الخوف".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطيَّة:

رجَّح ابن عطيَّة كون الصلاة هي صلاة الخوف وهي المقصودة بالقضاء المشار إليه في الآية اعتمادا على السياق وبالتحديد **بلحاق الآية** وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾.

وقد ذكر ابن العربي احتمالين في الآية كأنَّه جمعَ به بين القولين معتمدا على السياق كذلك فقال:" قال قوم هذه الآية والتي في آل عمران سواء، وهذا عندي بعيد، فإنَّ القول في هذه الآية دخل في أثناء صلاة الخوف فاحتمل أن يكون قوله سبحانه ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي فرغتم منها فافزعوا إلى ذكر الله، وإن كنتم في هذه الحال، كما قال فإذا فرغت فانصب.

ويحتمل أن يريد فإذا قضيتم الصلاة إذا كنتم فيها قاضين لها، فأتوها قياما وقعودا وعلى جنوبكم في أثناء الصلاة ومصافَّتكم للعدوِّ وكرِّكم وفرِّكم، والدليل عليه قوله تعالى بعد ذلك ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ".[2]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية لدلالة السياق عليه.

---

[1] المحرر الوجيز، (3 / 15).

[2] أحكام القرآن لابن العربي، (1 / 624-625).

-الآية رقم: 117-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء: 117].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: "واختُلِف في المعني بالشيطان -فقالت فرقة: هو الشيطان المقترن بكل صنم، فكأنَّه موحَّد باللفظ جمع بالمعنى، لأنَّ الواحد يدلُّ على الجنس.

وقال الجمهور: المراد إبليس، وهذا هو الصواب، لأنَّ سائر المقالة تليق به".[1]

-الـــــدراســـــة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

ذكر ابن عطيَّة أنَّ أهل التفسير اختلفوا في المعني بالشيطان في هذه الآية على قولين:

-القول الأول: عبَّر عنه بقوله "قالت فرقة" ذهبوا إلى أنَّ المقصود: هو الشيطان المقترن بكل صنم، يتراءى للسدنة فيكلِّمُهم، ويدخل في أجواف الأصنام، فيكلم داعيها؛ فهو الشيطان المعيَّن بكل صنم

[1] المحرر الوجيز، (3 / 24).

أُفرِد لفظا، وهو مجموع في المعنى الواحد يدلُّ على الجنس. وهذا مروي عن سفيان، وابن عباس، وأبيٌّ بن كعب.[1]

وقد ذهب إلى هذا القول **ابن عاشور**: قال:" والمراد جنس الشيطان، وإنَّما جعلوا يدعون الشيطان لأنَّه الذي سوَّل لهم عبادة الأصنام".[2]

-**القول الثاني**: عبَّر عنه بأنّه "**قول الجمهور**" وهو أنَّ المقصود بالشيطان إبليس، وهذا القول مروي في الأصل عن مقاتل.[3]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

وقال الجمهور: المراد إبليس، **وهذا هو الصواب، لأنَّ سائر المقالة** تليق به".[4]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطية أنَّ المقصود بالشيطان في هذه الآية: هو إبليس وذكر أنَّ هذا قول الجمهور فقال:" واستند في ترجيحه إلى السياق؛ فقال:" لأنَّ سائر المقالة تليق به"، أي: سائر الآية بعد ذكر الشيطان وهو لحاق الآية، من قوله تعالى ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا

[1] تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1068)، تفسير عبد بن حميد، ص118، الدر المنثور، (5 / 21)، معالم التنزيل، (2 / 288)، تفسير ابن كثير، (4 / 276)، بحر العلوم، (1 / 389)، زاد المسير، (2 / 203)، تفسير البحر المحيط، (3 / 368).

[2] التحرير والتنوير، (5 / 203).

[3] تفسيرابن أبي حاتم، (3 / 368)، معاني القرآن للزجاج، (2 / 108)، الدر المنثور، (5 / 21)، معالم التنزيل، (2 / 288)، درج الدرر، (1 / 526)، زاد المسير، (2 / 203)، تفسير القرطبي، (7 / 134)، التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 211).

[4] المحرر الوجيز، (3 / 24).

مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:118 –119]، وهذا القول لا يليق إلا أن يكون من إبليس.

وقد ذهب **الفخر الرازي** كذلك إلى ترجيح هذا القول استنادا إلى السياق، ونسب هذا الترجيح للزجَّاج ولكن لم أجده من كلام الزجَّاج حيث قال:" وقال الزجَّاج: المراد بالشيطان ههنا إبليس **بدليل أنّه تعالى قال بعد هذه الآية** ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ ، ولا شكَّ أنَّ قائل هذا القول هو إبليس".[1]

وذهب **أبو حيان** كذلك إلى ترجيح هذا القول مستدلا بالسياق فقال:" المراد به إبليس، قاله الجمهور، وهو الصواب، **لأنَّ ما قاله بعد ذلك مبيِّنٌ أنَّه هو**".[2]

قال ابن العربي :" لمـَّا كان من إبليس ما كان من الامتناع من السجود والاعتراض على الآمر به بالتسفيه أنفذ الله فيه حكمه وأحقَّ عليه لعنته، فسأله النظرة، فأعطاه إيَّاها زيادةً في لعنته، فقال﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا

[1] التفسير الكبير، (11 / 47).

[2] تفسير البحر المحيط، (3 / 368).

مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:118-119]، وكان ما أراد، وفعلت العرب ما وعد به الشيطان ".[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة لدلالة السياق عليه ولكونه قول جمهور المفسرين.

-الآية رقم: 137-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾

[النساء: 137].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: "اختلف المتأوِّلون في المراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ فقالت طائفة منهم قتادة، وأبو العالية: الآية في اليهود والنصارى، آمنت اليهود

[1] أحكام القرآن لابن العربي، (1 / 629).

بموسى والتوراة ثمَّ كفروا، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل ثمَّ كفروا، ثمَّ ازدادوا كفرا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم، ورجَّح الطبري هذا القول.

وقال الحسن بن أبي الحسن: الآية في الطائفة من أهل الكتاب التي قالت: ﴿ **وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [آل عمران: 72].

وقال مجاهد، وابن زيد: الآية في المنافقين، فإنَّ منهم من كان يؤمن ثمَّ يكفر، ثمَّ يؤمن ثمَّ يكفر، يتردد في ذلك، فنزلت هذه الآية فيمن ازداد كفرا بأن تمَّ على نفاقه حتَّى مات.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: "**وهذا هو المترجِّح** ".[1]

ثم ذكر مستند الترجيح وهو السياق عندما شرع في تفسير الآية التي بعدها وهي قوله تعالى

﴿ **بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء: 138]، قال:" **في هذه الآية دليل على أنَّ التي قبلها إنَّما هي في المنافقين كما ترجَّح آنفا** " .[2]

-الـــــدراســة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

ذكر ابن عطيَّة أنَّ المتأوِّلين اختلفوا في المراد بقوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ** ﴾ وذكر لذلك ثلاثة أقوال:

[1] المحرر الوجيز، (3 / 45).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 46).

-القول الأوَّل: الآية في اليهود والنصارى، آمنت اليهود بموسى والتوراة ثمَّ كفروا، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل ثمَّ كفروا، ثمَّ ازدادوا كفروا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم، وهذا مروي عن قتادة وأبي العالية، ومقاتل.[1]

وقد قال **الواحديُّ**: " أكثر المفسرين على أنَّ هذه الآية نزلت في اليهود ".[2]

القول الثاني: أنها في الطائفة من أهل الكتاب القائلة ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران: 72]، قصدوا تشكيك المسلمين، وازدياد كفرهم، هو أنَّهم بلغوا في ذلك إلى حدِّ الاستهزاء والسخرية بالإسلام.[3] وهذا مرويٌّ عن الحسن.[4]

-القول الثالث: أنَّ الآية في المنافقين، فالإيمان الأوَّل إظهارهم الإسلام، وكفرهم بعد ذلك هو نفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم، والإيمان الثاني هو أنَّهم كلما لقوا جمعا من المسلمين قالوا إنَّا مؤمنون والكفر الثاني هو أنهم إذا دخلوا على شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنَّما نحن مستهزؤون، وازديادهم في الكفر هو جِدُّهم واجتهادُهم في استخراج أنواع المكر والكيد في حق المسلمين.[5]

وهذا القول مروي عن مجاهد، وابن زيد.[6]

---

[1] جامع البيان، (7 / 597)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1091)، الدر المنثور، (5 / 77)، تفسير عبد بن حميد، ص124، معالم التنزيل، (2 / 300)، بحر العلوم، (1 / 397)، تفسير ابن أبي زمنين، (1 / 414).

[2] الوسيط، (2 / 128).

[3] تفسير البحر المحيط، (3 / 388).

[4] زاد المسير، (2 / 225)، درج الدرر، (1 / 533)، النكت والعيون، (1 / 537).

[5] التفسير الكبير، (11 / 79).

[6] جامع البيان، (7 / 597)، الدر المنثور، (5 / 77)، زاد المسير، (2 / 225)، النكت والعيون، (1 / 537)، درج الدرر، (1 / 533)، تفسير السمعاني، (1 / 490).

-القول الرابع: وهذا لم يذكره ابن عطيَّة وهو: أنَّ الآية في المرتدِّ يستتاب ثلاث مرَّات بدلالة الآية فإن ارتدَّ بعد الثلاث قُتِل من غير استتابة وهذا قول علي ابن أبي طالب.[1]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

رجَّح ابن عطيَّة أن تكون الآية في المنافقين فقال: "**وهذا هو المترجِّح** ".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

استدلَّ ابن عطية على ترجيحه **بالسياق؛ وتحديدا بلحاق الآية**، وذلك عنما شرع في تفسير

قوله تعالى ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[النساء:138]، حيث قال:" **في هذه الآية دليل على أنَّ التي قبلها إنَّما هي في المنافقين كما ترجَّح آنفا** ".[3]

وهذا الذي رجَّحه ابن عطية ذهب إليه جَمْعٌ من المفسرين نذكر بعضهم:

1-أبو حيان: قال:" والظاهر أنَّها في المنافقين، إذ هم المتلاعبون بالدِّين، فحيث لقوا المؤمنين قالوا آمنَّا، وإذا لقوا أصحابهم قالوا: إنَّا مستهزءون، ولذلك جاء بعده﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ".[4]

---

[1] النكت والعيون، (1 / 537)، تفسير ابن أبي حاتم، (3 / 1091)، الدر المنثور، (5 / 77)، معالم التنزيل، (2 / 300)، تفسير ابن كثير، (4 / 312)، الإكليل في استنباط التنزيل، ص102.

[2] المحرر الوجيز، (3 / 45).

[3] المحرر الوجيز، (3 / 46).

[4] تفسير البحر المحيط، (3 / 387).

2-الجرجاني: قال:" نزلت في المنافقين، وهذا أصحُّ؛ لأنَّهم تردَّدوا في أمرهم، وأصرُّوا على اعتقاد الكفر وماتوا عليه ".[1]

إلا أنَّ ابن جرير نحا إلى ترجيح القول الأوَّل وهو أن الآية في اليهود والنصارى مستدلا كذلك بالسياق، ومستندا إلى سباق الآية ومقرِّرًا في الأخير قاعدة من قواعد الترجيح بالسياق: فقال:" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: عنى بذلك أهل الكتاب الذين أقرُّوا بحكم التوراة، ثمَّ كذَّبوا بخلافهم إيَّاه، ثمَّ أقرَّ من أقرَّ منهم بعيسى والإنجيل، ثمَّ كذَّب به بخلافه إيَّاه، ثُمَّ كذَّب بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم والفرقان، فازداد بتكذيبه به كفرا على كفره.

وإنَّما قلنا: ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية، لأنَّ الآية قبلها في قصص أهل الكتابين-أعني قوله﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: 136]، ولا دلالة تدُلُّ على أنَّ قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ [النساء: 137]، منقطع معناه من معنى ما قبله، **فإلحاقه بما قبله أولى، حتى تأتي دلالة على انقطاعه منه**" .[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن جرير من أنَّ الآية في المنافقين لقوة استدلاله بالسياق في ذلك ولا دليل يدل على صرف الآية عن سياقها.

[1] درج الدرر، (1 / 533).

[2] جامع البيان، (7 / 598-599).

المبحث الرابع: ما رجح فيه ابن عطية بالسياق في سورة المائدة:

تمهيـــــــد:

احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبئ بأنّها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولذلك افتتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود، أي بما عاقدوا الله عليه حين دخولهم في الإسلام من التزام ما يؤمرون به، فقد كان النبي يأخذ البيعة على الصلاة والزكاة والنصح لكلّ مسلم وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحجّ والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرّمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام، وفيها شرائع الوضوء، والغسل، والتيمّم، والأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصدق في الشهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحِرابة، وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها، والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب، وبين المشركين والمنافقين، والخشية من وَلايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه، وإبطال العقائد الضالّة لأهل الكتابين، وذكر مساو من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنَّهم أرجى للإسلام وذكر قضية التيه، وأحوال المنافقين، والأمر بتخلّق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالّين في تحريم ما أحل لهم، والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس، وما تخلّل ذلك أو تقدّمه من العبر، والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى، والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه. واستدعاؤهم للإيمان بالرسول الموعود به.

وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى، وتمجيد الله تعالى[1].

[1] التحرير والتنوير، (6/73-74).

-الآية رقم: 03-

قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: 3].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: " وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾ معناه عند ابن عباس رضي الله عنهما: من أن ترجعوا إلى دينهم، وقاله السدِّيُّ وعطاء، وظاهر أمر النبي صلى الله عليه وسلَّم وأصحابه ظهور دينه يقتضي أنَّ يأس الكفار عن الرجوع إلى دينهم قد كان وقع منذ زمان، وإنَّما هذا اليأس عندي من اضمحلال أمر الإسلام وفساد جمعه...**وقوله تعالى** ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ **يعمُّ مشركي العرب وغيرهم من الروم والفرس وغير ذلك، وهذا يقوِّي أن اليأس من انحلال أمر الاسلام وذهاب شوكته، ويقوِّي أنَّ الإشارة باليوم، إنَّما هي إلى الأوان الذي فاتحته يوم عرفة، ولا مشرك بالموسم، ويعضِّد هذا قوله تعالى** ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ **فإنَّما نهى المؤمنين عن خشية جميع أنواع الكفَّار، وأمر بخشيته تعالى التي هي رأس كلِّ عبادة ".**[1]

-الـــــدراســة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

[1] المحرر الوجيز، (3 / 101-102).

ذكر ابن عطيَّة قولين للمفسرين في معنى يأسِ الكفَّار في قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾:

-القول الأول: أنَّ الكفَّار يئسوا من أن يرجع المؤمنون إلى دين المشركين، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس، والسُّدِّيُّ، وعطاء[1]، واختار هذا القول القرطبي[2]، والبغوي[3]، وابن كثير[4].

-القول الثاني: أنَّ الكفَّار يئسوا من بطلان الاسلام واضمحلاله وفساد جمعه.[5]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

ذهب ابن عطيَّة إلى ترجيح القول الثاني وهذا نصُّ ترجيحه:

قال:" وإنَّما هذا اليأس عندي من اضمحلال أمر الإسلام وفساد جمعه".

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

إستند ابن عطية في ترجيحه إلى **السياق وتحديدا باللِّحاق** وذلك عندما شرع في تفسير قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [المائدة: 3]، حيث قال: " (الذين كفروا) **يعمُّ مشركي العرب وغيهم من الروم والفرس وغير ذلك، وهذا يقوِّي أن اليأس، من انحلال أمر الاسلام وذهاب شوكته ".**[6]

---

[1] جامع البيان، (8 / 78)، الدُّرُّ المنثور، (5 / 179)، زاد المسير، (2 / 286)، النكت والعيون، (2 / 12)، الوسيط للواحدي، (2 / 153)

[2] تفسير القرطبي، (7 / 291).

[3] معالم التنزيل، (3 / 12).

[4] تفسير ابن كثير، (5 / 45).

[5] معاني القرآن وإعرابه، (2 / 148)، التفسير الكبير، (11 / 140)، التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 225).

[6] المحرر الوجيز، (3 / 102).

وهذا ما ذهب إليه **الزَّجَّاج** حيث قال: " ومعناه: أن قد حوَّل الله الخوف الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويئسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون من قوله ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: 33] ".[1]

وقال **الفخر الرازي**:" وذلك لأنّه تعالى كان قد وعد بإعلاء هذا الدين على كُلِّ الأديان، وهو قوله تعالى﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:33]، فحقق تلك النصرة وأزال الخوف بالكليَّة وجعل الكفَّار مغلوبين بعد أن كانوا غالبين، ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين، وهذا القول أولى".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

رغم ما ذهب إليه ابن عطيَّة من ترجيحٍ استنادا إلى السياق؛ إلا أنَّ للقول الأوَّل ما يقوِّيه؛ وذلك أنه قد ثبت حديث صحيح يعضِّدُه وهو ما جعل **ابن كثير** يذكر هذا الحديث عقب نقله لأثر ابن عباس الذي فيه أن المشركين يئسوا من رجوع المسلمين إلى دين المشركين فقال:" وعلى هذا المعنى يَرِدُ الحديث الثابت في الصحيح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال:" **إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن بالتحريش بينهم**"[3] ".[4]

وكذلك الإمام **السيوطي** بعدما ذكر الآثار الواردة عن أصحاب القول الأوَّل، ذكر عقبها الحديث

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، (2 / 148).

[2] التفسير الكبير، (11 / 140).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنّة والنَّار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأنَّ مع كلِّ إنسانٍ قرينا، حديث رقم: (2812)، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التباغض، حديث رقم: (1937)، وأحمد في مسنده (طبعة الرسالة)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى:(1419هـ-1998م)، (ج22، حديث رقم: 14366)

[4] تفسير ابن كثير، (5 / 46).

السابق[1]، وهذا يدلُّ على أنَّ لهذا الحديث أثرا كبيرا في تحديد معنى يأس الكفار في الآية، وهذا من تفسير القرآن بالسنَّة الذي هو من أشرف أنواع التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن.

وهذا اليأس خاص بزمان النبي صلى الله عليه وسلم فالشيطان أيس بنفسه –ولم يُأَيَّس– لمَّا رأى عزَّ الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإقبال القبائل على الدخول في هذا الدين الذي أكرمهم الله به، فلما رأى ذلك يئس من أن يرجعوا إلى دين الشيطان، وأن يعبدوا الشيطان أي: يتخذوه مطاعاً، فالكفار في زمنه صلى الله عليه وسلَّم يئسوا أن يراجع المسلمون ما عليه المشركون من الدين الباطل القائم على اتخاذ الأنداد مع الله، وصرف العبودية إلى أشياء مع الله أو من دونه؛ فلما رأى المشركون تمسك المسلمين بدينهم يئسوا من مراجعتهم، وكذا الشيطان يئس لما رأى عز المسلمين ودخولهم في الدين في أكثر نواحي جزيرة العرب، والشيطان –لعنه الله–لا يعلم الغيب، ولا يعلم أنه ستحين له فرص يَصُدُّ الناس بها عن الإسلام والتوحيد، وكانت أول أموره في صرف الناس لعبادته بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أطاعه أقوام وقبائل، فارتدت عن الإسلام إما بمنع الزكاة، أو باتباع مدعي النبوة.

فنشط وكانت له جولة وصولة ثم كبته الله، **والمقصود أن الشيطان يَئِسُ إذا رأى التمسك بالتوحيد والإقرار به والتزامه، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حريص على أن يَصُدَّ الناس عن هذا.**[2]

ويمكن الجمع بين القولين إذ لا تضادَّ بينهما والجمع أولى من الترجيح وهذا ما ذهب إليه **الإمام الشوكاني** عند تفسيره لهذه الآية قال:" أي: حصل لهم اليأس من إبطال دينكم، وأن يردُّوكم إلى دينهم كما كانوا يزعمون".[3]

---

[1] الدر المنثور، (5 / 180).

[2] هذه مفاهيمنا، تأليف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، طبعة إدارة المساجد والمشاريع الخيرية–الرياض–الطبعة: الثانية 1422هـ–2001م، ص211.

[3] فتح القدير، (353).

-الآية رقم:11-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

[المائدة: 11].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة:" اختلف الناس في سبب هذه الآية، وما النازلة التي وقع فيها الهمُّ ببسط اليد والكفُّ من الله تعالى؟

فقال الجمهور: أنَّ سبب هذه الآية في شأن بني النضير لـمَّا أرادوا الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم وقتله، فأخبره جبريل بذلك قبل أن يفعلوا فقام وتوجَّه إلى المدينة، **وهذا القول يترجَّح بما يأتي بعد من الآيات في وصف غدر بني إسرائيل ونقضهم المواثيق.**

وقالت جماعة من العلماء: سبب الآية فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع، لما استلَّ السيف وأراد قتل النبيِّ وقال من يمنعك مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله، فشام السيف في غمده وجلس.

وحكى **الطبري** أنَّ الآية نزلت بسبب قوم من اليهود أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلَّم في طعام فأشعره الله بذلك وما أدخله الطبري تحت هذه الترجمة يشبه قصَّة بني النضير.

وقال **قتادة:** سبب الآية ما همَّت به محارب وبنوا ثعلبة يوم ذات الرقاع من الحمل على المسلمين في صلاة العصر، فأشعره الله تبارك وتعالى بذلك، ونزلت صلاة الخوف فذلك كف أيديهم عن المسلمين.

وحكى **ابن فورك عن الحسن بن أبي الحسن** أنَّ الآية نزلت بسبب أنَّ قريشا بعثت إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم رجلا ليقتله، فأطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك وكفاه شرَّه.

وذكر **قوم من المفسرين وأشار إليه الزجَّاج** أنَّ الآية نزلت في قوله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) فكأنَّه تبارك وتعالى عدَّد على المؤمنين نعمه في أن أظهرهم، وكفَّ بذلك أيدي الكفَّار عنهم".[1]

-الـــــــدراســـــة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف المفسِّرُون في سبب نزول هذه الآية وقد ذكر **الجرجاني سبب الاختلاف** فقال:" **وسبب اختلاف الرواة في مثل هذه الآية غَيْبَتُهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقت النزول، ومشاهدتهم إيَّاه يتلوها في حادثة مثل ما نزلت فيه وكانوا يظنُّون أنَّها نزلت في ابتداء**".[2]

وأطال ابن عطيَّة في ذكر أقوالهم، نذكر أهمَّ الأقوال التي قيلت في سبب نزولها وهي ثلاثة أقوال:

[1] المحرر الوجيز، (3 / 124-126) باختصار.
[2] درج الدرر، (1 / 522).

-القول الأوَّل: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى يهود بني النضير يستعين بهم في ديَّة، فهمُّوا أن يقتلوه، فنزل ذلك فيه. وهذا مروي عن مجاهد وابن عباس، وعكرمة، ويزيد، وعبد الله بن أبي بكر وعكرمة والكلبي.[1]

-القول الثاني: أنَّ سبب الآية فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع، لما استلَّ السيف وأراد قتل النبي وقال من يمنعك مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله، فشام السيف في غمده وجلس، واسم هذا الأعرابي غورث بن الحارث. وهذا مروي عن جابر وقتادة.[2]

-القول الثالث: أنَّ سبب الآية ما همَّت به بنو محارب وبنوا ثعلبة يوم ذات الرقاع من الحمل على المسلمين في صلاة العصر، فأشعره الله تبارك وتعالى بذلك، ونزلت صلاة الخوف فذلك كف أيديهم عن المسلمين، وهذا مروي عن قتادة.[3]

إنَّ هذه الروايات الصريحة التي ذُكرت كأسباب للنزول والتي ذكرها ابن جرير وغيره من علماء التفسير كلُّها مرسلة وأسانيدُها ضعيفة.[4]

---

[1] جامع البيان، (8 / 230)، الدُّرُّ المنثور، (5 / 22)، (معالم التنزيل، (3 / 28)، تفسير ابن كثير، (5 / 130)، بحر العلوم، (1 / 420)، الوسيط، (2 / 165)، معاني القرآن للزجاج، (2 / 156)، التفسير الكبير، (1/ 187)، لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السوطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، طبعة: 1426هـ-2006م، ص93، وأسباب النزول، تأليف: علي بن أحمد الواحدي، عالم الكتب-بيروت-(دط)، (دت)، ص144.

[2] جامع البيان، (8 / 232)، الدر المنثور، (5 / 226)، تفسير ابن كثير، (5 / 129)، زاد المسير، (2 / 308)، تفسير البحر المحيط، (3 / 456)، فتح القدير، ص360، لباب النقول في أسباب النزول، ص94.

[3] جامع البيان، (8 / 232)، الدر المنثور، (5 / 226)، زاد المسير، (2 / 309)، لباب النقول، ص94.

[4] أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان لابن جرير، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، تأليف: حسن بن محمَّد شبالة البلوط، جامعة أم القرى، سنة:1419هـ، ج2، ص108.

وما روي عن جابر في شأن الأعرابي غورث بن الحارث ضعيف في كونه سبباً للنزول، إلا أنَّ أصله صحيح ومخرَّجٌ في الصحيحين وهذا نصُّه : " عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرَةٍ فعلَّق بها سيفه قال جابر: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي: من يمنعك مني قلت: الله، فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ".[1]

لكنَّ هذا الحديث ليس فيه سبب نزول الآية، وإنَّما يدخل في معنى الآية وليس صريحا في السببية.

وردَّ **ابن عاشور القولين** الأوّلين فقال:" وأمَّا ما يُذكر من غير هذا ممَّا همَّ به بنو النضير من قتل النبي صلى الله عليه وسلَّم حين جاءهم يستعينهم على دية العامريَّيْن فتآمروا على أن يقتلوه، فأوحى الله إليه بذلك فخرج هو وأصحابه، وكذا ما يُذكر من أنَّ المراد قصَّة الأعرابي الذي اخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وهو قائل في منصرفه من إحدى غزواته؛ فذلك لا يناسب خطاب الذين آمنوا، ولا يناسب قصَّة الأعرابي لأنَّ الذي أهمَّ بالقتل واحد لا قوم ".[2]

---

[1] أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، حديث رقم: 4136، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توكُّله على الله تعالى، حديث رقم: 843

[2] التحرير والتنوير، (6 / 138).

2–ترجيح ابن عطيَّة:

رجَّح ابن عطيَّة القول الأوَّل، وذكر أنَّه قول الجمهور وهو أنَّ الآية نزلت في بني النضير لـمَّا همُّوا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فكفَّ الله أيديهم، فقال: **"وهذا القول يترجَّح بما يأتي بعد من الآيات في وصف غدر بني إسرائيل ونقضهم المواثيق".**[1]

3–دراسة ترجيح ابن عطية:

إستند ابن عطية في ترجيحه إلى السياق وتحديدا **بلحاق الآية** عندما شرع في تفسير قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [المائدة: 12]، قال:" **هذه الآيات المتضمِّنة الخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوِّي أنَّ الآية المتقدِّمة في كفِّ الأيدي إنَّما كانت في أمر بني النضير".**[2]

ويوضّح هذا السياقَ ووجهَ الشاهد منه؛ ما سنذكره من كلام الطبري الذي سبق ابنَ عطيَّة في ترجيحه في كون الآية في بني النضير، واستند إلى السياق في ترجيحه فقال: " وأولى الأقوال بالصِّحة في تأويل ذلك قول من قال: عنى الله بالنِّعمة التي ذكر في هذه الآية نعمته على المؤمنين به وبرسوله التي أنعم بها عليهم في استنقاذه نبيَّهم محمَّداً صلى الله عليه وسلَّم، ممَّا كانت يهود بني النضير همَّت به من قتله وقتل من معه، يوم سار إليهم نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الدِّية التي كان تحمَّلها عن قتيلي عمرو بن أميَّة.

[1] المحرر الوجيز، (3 / 125).
[2] المحرر الوجيز، (3 / 126).

وإنَّما قلنا: **ذلك أولى بالصحة في تأويل ذلك؛ لأنَّ الله عقَّب ذكر ذلك برمي اليهود بصنائعها، وقبيح أفعالها، وخيانتها ربَّها وأنبياءَها** ".[1]

وقال **ابن جزيّ**: " ويقوِّي هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود ".[2]

ومن المفسِّرين من نزع إلى الإطلاق والعموم منهم:

1-**أبو حيان**: قال:" وقد طوَّلوا بذكر أسباب أُخَر...والذي تقتضيه الآية: أنَّ الله تعالى ذَكَّر المؤمنين بنعمه؛ إذ أراد قوم من الكفَّار لم يعيِّنهم الله، بل أبهمهم-أن ينالوا المسلمين بشر، فمنعهم الله، ثمَّ أمرهم بالتقوى والتوكُّل عليه ".[3]

2-**ابن سعدي**: قال: " وهذا يشمل كلَّ من همَّ بالمؤمنين بِشَرٍّ من كافر ومنافق وباغ، كفَّ الله شرَّه عن المسلمين؛ فإنَّه داخل في هذه الآية ".[4]

الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة وابن جرير من أنَّ الآية في اليهود لدلالة السياق عليه؛ هذا من حيث تعيين المخاطبين بالنظر إلى سياق الآيات؛ وأما بالنظر إلى معنى الآية فالعموم فيها لكل من همَّ بالمؤمنين من شر صائب ووجيه.

---

[1] جامع البيان، (8 / 233).

[2] التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 229).

[3] تفسير البحر المحيط، (3 / 456).

[4] تيسير الكريم المنان، (1 / 405).

-الآية رقم: 41-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ [المائدة: 41].

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: " اختلف الناس فيمن المراد بقوله﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾.

فقال السديُّ: نزلت في رجل من الأنصار زعموا أنَّه أبو لبابة بن عبد المنذر أشارت إليه قريضة يوم حصرهم: ما الأمر؟ وعلام ننزل من الحكم؟ فأشار إلى حلقه بمعنى أنَّه الذبح.

وقال **الشعبي** وغيره: نزلت الآية في قوم من اليهود أرادوا سؤال النبي صلى الله عليه وسلَّم في أمر رجل منهم قتل آخر، فكلَّفوا السؤال رجلا من المسلمين وقالوا: إن أفتى بالدية قبلنا قوله، وإن أفتى بالقتل لم نقبل.

وقال عبد الله بن كثير ومجاهد وغيرهما: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ يراد به المنافقون.

ويحتمل أن يكون المعنى: لا يحزنك المسارعون في الكفر من اليهود، ووصفهم بأنَّهم ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ إلزاما منه لهم من حيث حرَّفوا توراتهم وبدَّلوا أحكامها ".[1]

[1] المحرر الوجيز، (3 / 167-168) باختصار.

-الـــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير فيمن المراد بقوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة:41] عل خمسة أقوال:

-القول الأوَّل: نزلت في أبي لبابة ابن عبد المنذر، بقوله لبني قريضة حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلَّم: إنَّما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد. وهذا مروي عن السُّدِّي.[1]

قال ابن عطيَّة: "وهذا ضعيف".[2]

وقال **أبو حيَّان:** " وهذا بعيد عن مساق الآية ".[3]

-القول الثاني: أنَّها نزلت في رجل من اليهود سأل رجلا من المسلمين يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عن حكمه في قتيل قتله، وهذا مروي عن عامر الشعبي.[4]

-القول الثالث: أنَّها في ابن صوريا اليهودي آمن ثمَّ كفر، وارتدَّ بعد إسلامه، وهذا مروي عن أبي هريرة.[5]

---

[1] جامع البيان، (8 / 413)، الدُّر المنثور، (5 / 305)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1130)، زاد المسير، (2 / 357)، درج الدّرر، (1 / 565)، بحر العلوم، (1 / 436)، تفسير القرطبي، (7 / 475).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 167).

[3] تفسير البحر المحيط، (3 / 498).

[4] جامع البيان، (8 / 413)، الدر المنثور، (5 / 299)، زاد المسير، (2 / 357)، تفسير البحر المحيط، (3 / 499).

[5] جامع البيان، (8 / 415)، زاد المسير، (2 / 357)، الدر المنثور، (5 / 301).

-القول الرابع: أنَّها في رجل يهوديٍّ كان قد زنى ومُرَّ به على النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم محمَّمٍ[1] مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فذكروا أنهم بدَّلوا الرجم بالتحميم والجلد؛ فأحيا فيهم النبي صلى الله عليه أمر الرجم الذي أماتوه ورجمه؛ فأنزل الله الآية. وهذا مروي عن البراء بن عازب.[2]

-القول الخامس: أنَّ الآية في المنافقين، وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعبد الله بن كثير.[3]

وذهب إلى هذا القول: **الشوكاني**[4]، **وابن جزي**[5]، **والماوردي**[6].

3-ترجيح ابن عطيَّة:

رجَّح ابن عطيَّة أن تكون الآية في اليهود، واستدلَّ على ترجيحه بسياق الآيات وتحديدا بلحاقها وذلك عندما شرع في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 43].

---

[1] أي: مسودَّ الوجه بالحُمَم، والحُمم جمع حُمة: وهو الفحم

[2] جامع البيان، (8 / 415)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1132)، حديث رقم:(6365)، أسباب النزول للواحدي، ص195، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص100.

[3] جامع البيان، (8 / 418)، الدر المنثور، (5 / 298)، زاد المسير، (2 / 357)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1132)

[4] فتح القدير، ص372.

[5] التسهيل لعلوم التنزيل، (1 / 236).

[6] النكت والعيون، (2 / 38).

فقال: " ﴿ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : يعني بالتوراة وبموسى، وهذا إلزام لهم، لأنَّ من خالف حكم كتاب الله فدعواه الإيمان به قلقة. **وهذه الآية تقوّي أنَّ قوله في صدر الآية:﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ أنَّه يراد به اليهود** ".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

إنَّ ما ذهب إليه ابن عطيَّة من أنَّ الآية في اليهود قد جمع بذلك ثلاثة أقوال من الأقوال المحكيَّة آنفا بغضِّ النظر عن خصوصيَّة أسبابها، فقد تكون في ابن صوريا، وقد تكون في اليهوديَّتن اللذين زنيا وقد تكون في اليهوديَّ الذي قتل وسأل النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم عن حكم قتله، وهذا ما أشار إليه قبل ترجيحه فقال: " **وهذه النوازل كلُّها وقعت، ووقع غيرها مما يضارعها ويحسن أن يكون سببا لفضيحة اليهود في تحريفهم الكلم وتحرُّشهم بالدين، والروايات في هذا كثيرة ومختلفة** ".[2]

إلا أننا نجد جمعا من العلماء يرجِّح أن تكون الآية في اليهوديِّ الذي زنى مستدلا بسبب نزول الآية، خاصَّة وأنَّه مما صحَّ السند به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وهو:

ما **رواه مسلم وغيره عن البراء بن عازب** قال: "مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمَّمًا مجلودا فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا: نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال:" أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟

[1] المحرر الوجيز، (3 / 174).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 167).

قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنَّا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد؛ قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع؛ فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم: إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ يقول ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ ، في الكفَّار كلِّها ".[1]

فقد ذهب إلى ترجيح هذا القول استنادا إلى هذا الحديث الصحيح جماعة من العلماء منهم:

1-**ابن كثير**: قال: " والصحيح أنَّها في اليهوديَّين اللذين زنيا ".[2]

[1] **رواه مسلم**، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود، حديث رقم: (1700)، **وأبو داود**: كتاب الحدود، باب: في رجم اليهوديين، حديث رقم: 4448، **وابن ماجة**، كتاب الحدود، باب: رجم اليهودي واليهوديَّة، حديث رقم: (2558)، **والبيهقي** في السنن، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الذميين، ج8، ص246، و**أحمد** في مسنده -طبعة الرسالة-، حديث رقم: (18525).

[2] تفسير ابن كثير، (5 / 220).

2-القرطبي: قال: " وهذا أصَحُّ الأقوال ".[1]

3-البغوي: قال: " وهذا أصحّ؛ لأنَّ الآية في الرجم ".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن كثير، والقرطبي، والبغوي؛ لأنَّه يجمع بين إعمال سبب النزول الصحيح في بيان المعنى، والنظر إلى سياق الآيات الذي بموجبه رجَّح ابن عطيَّة ما ذهب إليه.

-الآية رقم: 118-

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾
[المائدة: 118]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: " هذه الآية على قول من قال:" إن توقيف عيسى عليه السلام كان إثر رفعه"- مستقيمة المعنى، لأنَّه قال عنهم هذه المقالة وهم أحياءٌ في الدُّنيا وهو لا يدري على ما يوافون.

وهي-على قول من قال: " إنَّ التوقيف هو يوم القيامة"-بمعنى: إن سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك تصنع بحق المِلك ما شئت لا اعتراض عليك،﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ بتوبة كما غفرت لغيرهم فإنَّك أنت العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك...**وهذا عندي هو القول الأرجح ويتقوَّى بما بعده** ".[3]

---

[1] تفسير القرطبي، (7 / 475).

[2] معالم التنزيل، (3 / 57).

[3] المحرر الوجيز، (3 / 305-306).

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

هذه المسألة التي ذكرها ابن عطية، والتي هي استنباط لمعنى الآية، وهذا الاستنباط مبنيٌّ على مسألة خلافية بين أهل التفسير تطرَّق إليها قبل هذا الموضع وهي عند قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾[المائدة: 116]؛ فقد اختلف المفسرون في وقوع هذا القول إلى قولين:

-القول الأوَّل: هذا القول من الله عزَّ وجل إنما هو في يوم القيامة، وهذا مروي عن ابن جريج، وقتادة وجمهور المفسرين.[1]

-القول الثاني: أن الله عز وجلَّ قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه، وهذا القول قاله السدِّيُّ.[2]

وقد ذهب **الطبري** إلى ترجيح القول الثاني فقال: " وأولى القولين بالصواب عندنا في ذلك قول من قال بقول السُدِّيِّ، وهو أنَّ الله تعالى ذكره قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وأنَّ الخبر خبرٌ عمَّا مضى؛ لعلَّتين:

إحداهما: أنَّ (إذ) إنَّما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها، الماضي من الفعل، وإن كانت قد تدخلها أحيانا في موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها، وذلك غير فاش ولا

---

[1] جامع البيان، (9 / 134)، الدر المنثور، (5 / 606)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1253)، تفسير القرطبي، (8 / 300)، تفسير ابن كثير، (5 / 425)، تفسير البحر المحيط، (4 / 63)، معالم التنزيل، (3 / 121).

[2] جامع البيان، (9 / 133)، الدر المنثور، (5 / 606)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1253)، زاد المسير، (2 / 463).

فصيح في كلامهم، فتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وُجِد إليه السبيل، أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر.

والأخرى: أنَّ عيسى لم يشكك هو ولا أحدٌ من الأنبياء أنَّ الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يُتَوَهَّم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيبا لربِّه تعالى: إن تعذِّب من اتخذني وأمِّ إلهين من دونك فإنّهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنَّك أنت العزيز الحكيم ".[1]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

لقد ذهب ابن عطيَّة إلى ترجيح القول الأوَّل، وهذا ما يظهر من بنائه معنى الآية على أنَّ هذا القول من الله عز وجلَّ إنما هو في يوم القيامة وهذا نصُّ ترجيحه: قال: " وهي-على قول من قال: " إنَّ التوقيف هو يوم القيامة"-بمعنى: إن سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك تصنع بحق المِلك ما شئت لا اعتراض عليك، ﴿ **وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ** ﴾ بتوبة كما غفرت لغيرهم فإنَّك أنت العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك...**وهذا عندي هو القول الأرجح ويتقوَّى بما بعده** ".[2]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطيَّة أنَّ التوقيف والقول من الله عز وجل يكون يوم القيامة، وذكر أنَّه القول الأرجح واستدلَّ عل ترجيحه بالسياق وتحديدا **بلحاق الآية** وهو قوله تعالى﴿ **قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة: 119 – 120].

---

[1] جامع البيان، (9 / 135).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 305-306).

قال أبو حيَّان: " قرأ الجمهور (هذا يومُ) بالرفع على أنَّ (هذا) مبتدأ و(يومُ) خبره، والجملة محكيَّة بـ(قال)، وهي في موضع المفعول به لـ(قال) أي: (هذا الوقت وقت نفع الصادقين)، وفيه إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام، -وقرأ نافع (هذا يومَ) بفتح الميم... **واختلف في نصبه أهو على المصدريَّة؟ أو ينتصب مفعولا به؛ فعلى هذا الخلاف ينتصب إذا كان إشارة إلى الخبر أو القصص نصبَ المصدر، أو نصب المفعول به. قال ابن عطيَّة: " وانتصابه على الظرف وتقديره (قال الله هذا القصص أو الخبر يوم ينفع، معنًى يزيل رصف الآية وبهاء اللفظ والمعنى).**

والوجه الثاني: أن يكون ظرفا خبرُ هذا و(هذا) مرفوع على الابتداء، والتقدير (هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع) ".[1]

فبيَّن **أبو حيَّان** بكلامه وجهَ الشاهد من ترجيح ابن عطيَّة بلحاق الآية، وكيف أنَّ هذا القول يكون يوم القيامة، وقد ذكر **البغوي** أنَّ هذا القول هو قول سائر المفسرين فقال: " وقال سائر المفسرين: إنَّما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾[المائدة: 109]، وقال من بعدها﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ ، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء (إذْ) بمعنى (إذا) كقوله عز وجلَّ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ [سبأ: 51]، أي: إذا فزعوا (يوم القيامة) والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنَّها كالكائنة لأنَّها آتية لا محالة ".[2]

فكلام البغوي يبيِّن أن المفسِّرين استندوا فيما ذهبوا إليه إلى السياق سباقًا ولحاقًا.

وصرَّح جمع من المفسرين بهذا الترجيح منهم:

---

[1] تفسير البحر المحيط، (4 / 67).

[2] معالم التنزيل، (3 / 121).

1-ابن كثير: فقد قال مرجِّحا هذا القول، ورادًّا على الطبري اختيارَه: " قال ابن جرير: هذا هو الصَّواب، وكان ذلك حين رفعه الله إلى السماء الدنيا. واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين:

أحدهما: أنَّ الكلام بلفظ المضي.

والثاني: قوله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾، ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾.

وهذان الدليلان فيهما نظر؛ لأنَّ كثيرا من أمور يوم القيامة ذُكِر بلفظ المضي ليدلَّ على الوقوع والثبوت، ومعنى قوله﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ : التبري منهم وردُّ المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات.

والذي قاله قتادة وغيره **هو الأظهر**، والله اعلم: أنَّ ذلك كائن يوم القيامة؛ ليدلَّ على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ".[1]

2-**القرطبي**: قال: " والأوَّل أصحُّ، يدلُّ عليه ما قبله من قوله: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾[المائدة: 109]، وما بعده: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾،

[1] تفسير ابن كثير، (5 / 425-426).

وعلى هذا تكون (إذ) بمعنى (إذا) كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ [سبأ: 51]، أي: إذا فزعوا. وقال أبو النَّجم:

ثمَّ جزاك الله عنِّي إذْ جَزَى جنَّات عدن في السماوات العلا

يعني: إذا جزى. وقال الأسود بن جعفر الأزدي:

فأَلآن إذْ هَازَلْتُهُنَّ فإنَّما يَقُلْنَ ألا لم يذهبِ الشَّيخ مَذْهبا

يعني: إذا هازلتهن، فعبَّر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لأنَّه لتحقيق أمره، وظهور برهانه، كأنَّه قد وقع.

وفي التنزيل: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: 44]، مثله كثير ".[1]

3-ابن الجوزي: قال: " والأوَّل أصحُّ ".[2]

4-**ابن عاشور**: قال: " ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [المائدة: 116]، فهو ما يقوله الله يوم يجمع الرُّسُل وليس ممَّا قاله في الدنيا، لأنَّ عبادة عيسى حدثت بعد رفعه، ولقوله ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ ، فقد أجمع المفسِّرون على أنَّ المراد به يوم القيامة، وأنَّ قوله ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ قول يقوله يوم القيامة ".[3]

---

[1] تفسير القرطبي، (8 / 300-301).

[2] زاد المسير، (2 / 463).

[3] التحرير والتنوير، (7 / 112).

4-الراجح ووجه الترجيح:

فالملاحظ من هذه النُّقول أنَّ كلَّ من رجَّح من هؤلاء المفسرين استند في ترجيحه إلى السياق، سباق ولحاقا مما يجعل الراجح ما ذهب إليه ابن عطية وجمهور المفسرين.

المبحث الرابع: ما رجح فيه ابن عطية بالسياق في سورة الأنعام:

تمهيـــــــد:

ابتدأت بإشعار الناس بأن حقّ الحمد ليس إلاّ لله لأنّه مبدع العوالم جواهر وأعراضاً فعلم أنّه المتفرّد بالإلهية، وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجنّ بإثبات أنّه المتفرّد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرّفاً ولا علماً. وتنزيهُ الله عن الولد والصاحبة. قال أبو إسحاق الإسفرائيني في سورة الأنعام كلّ قواعد التوحيد.

وموعظة المعْرضين عن آيات القرآن والمكذّبين بالدين الحقّ، وتهديدهم بأن يحلّ بهم ما حلّ بالقرون المكذّبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى، وأنّهم ما يضرّون بالإنكار إلاّ أنفسهم، ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم، ثم عند البعث، وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي صلى الله عليه وسلم من طلب إظهار الخوارق تهكّماً.

وإبطال اعتقادهم أنّ الله لقّنهم على عقيدة الإشراك قصداً منهم لإفحام الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان حقيقة مشيئة الله وإثبات صدق القرآن بأنّ أهل الكتاب يعرفون أنّه الحقّ.

والإنحاء على المشركين تكذيبَهم بالبعث، وتحقيق أنّه واقع، وأنّهم يشهدون بعده العذاب، وتتبرّأ منهم آلهتهم التي عبدوها، وسيندمون على ذلك، كما أنّها لا تغني عنهم شيئاً في الحياة الدنيا، فإنّهم لا يدعون

إلاّ الله عند النوائب، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنّه لا يؤاخذ بإعراض قومه، وأمرُه بالإعراض عنهم وبيان حكمة إرسال الله الرسل، وأنّها الإنذار والتبشير وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلّبون علمه من المغيّبات، وأنّ تفاضل الناس بالتقوى والانتساب إلى دين الله وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال.

وبيان أنّ التقوى الحقّ ليست مجرّد حرمان النفس من الطيّبات بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتزكية.

وضرب المثل للنبيء مع قومه بمثل إبراهيم مع أبيه وقومه؛ وكان الأنبياء والرسل على ذلك المثل من تقدّم منهم ومن تأخّر.

والمنّة على الأمة بما أنزل الله من القرآن هدى لهم كما أنزل الكتاب على موسى، وبأن جعلها الله خاتمة الأمم الصالحة.

وبيان فضيلة القرآن ودين الإسلام وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات.

وتخلّلت ذلك قوارع للمشركين، وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بنعم اشتملت عليها مخلوقات الله، وذكر مفاتح الغيب، وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدّها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم[1].

[1] التحرير والتنوير، (125/7).

-الآية رقم: 09-

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾

[الأنعام: 9]

-نصُّ موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: "وذكر بعض النَّاس في هذه الآية أنَّها نزلت في أهل الكتاب، وسياق الكلام ومعانيه يقتضي أنَّها في كفَّار العرب ".[1]

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

ذكر ابن عطيَّة أنَّ بعض الناس ذكروا أنَّ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، وهذا مروي **عن ابن عباس، والضحَّاك.**[2]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال: "**وسياق الكلام ومعانيه يقتضي أنَّها في كفَّار العرب** ".[3]

---

[1] المحرر الوجيز، (3 / 318).

[2] جامع البيان، (164-165)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1267)، معالم التنزيل، (3 / 130)، معاني القرآن للنحَاس، (2/ 403)، اللباب في علوم الكتاب، (8 / 39).

[3] المحرر الوجيز، (3 / 318).

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطيَّة أن تكون الآية في كفَّار ومشركي العرب، واستدل على ذلك أنَّ سياق الكلام ومعانيه يقتضيه، وذلك أنَّه لم يجر ذكر لأهل الكتاب قبل هذه الآية؛ ذلك أنَّ الآيات من أوَّل السورة إلى غاية هذه الآية في المشركين والكفَّار.

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: 1]، فقد روي عن **قتادة، والسدي، وابن زيد** أنَّها في المشركين عبدة الأوثان، قال **ابن جرير** مبيِّنًا الصحيح في تفسير هذه الآية ومن عُنِيَ بها: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنَّ الله تعالى ذكره أخبر أنَّ الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمَّ بذلك جميع الكفَّار، ولم يَخصُص منهم بعضا دون بعض، فجميعهم داخلون في ذلك؛ يهودهم ونصاراهم، ومجوسهم، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر ".[1]

وقال **محمد رشيد رضا**[2]: " ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: 1]، ردٌ على مشركي العرب ومن دعا دون الله إلها ".[3]

---

[1] جامع البيان، (9 / 149).

[2] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الاصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الاصلاح الاسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والادب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، توفي سنة:1354هـ. ينظر الأعلام: (126/6).

[3] تفسير المنار، تأليف: محمَّد رشيد رضا، دار المنار، الطبعة الثالثة: (1367هـ)، ج7، ص295.

وقد ردَّ **ابن جرير** أن تكون الآية محل الدراسة في أهل الكتاب بعدما أسند ذلك إلى ابن عباس والضحَّاك فقال: " وقد بيَّنَّا فيما مضى قبل أنَّ هذه الآيات من أوَّل السورة بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان، أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ".[1]

وإذا نظرنا إلى غرض السورة ابتداءًا ومقصدها العام؛ نجد أنَّها تتمحور على ردِّ الشرك وتقرير التوحيد ببراهينه بخطاب موجَّه للمشركين، غير خاصٍّ بقوم دون قوم، وهذا من السياق العام الذي يصبُّ في ترجيح ابن عطيَّة.

قال ابن عاشور مبيِّنا أغراض هذه السورة: " ابتدأت بإشعار الناس بأنَّ حق الحمد ليس إلا للَّه؛ لأنَّه مبدع العوالم جواهر وأعراضا؛ فعُلِم أنَّه المتفرِّد بالإلهية.

وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنَّه المتفرِّد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق

الإنسان، ونظام حياته وموته بحكمته-تعالى-وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرُّفا ولا علما.

وتنزيه الله عن الولد والصَّاحبة، قال أبو إسحاق الإسفرائيني: " **في سورة الأنعام كلُّ قواعد التوحيد**... وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي صلى الله عليه وسلَّم من طلب إظهار الخوارق؛ تهكُّما...**وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهليَّة، وأشدُّها مقارعةَ جدالٍ لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم** ".[2]

---

[1] جامع البيان، (9 / 165).

[2] التحرير والتنوير، (123-125).

وقال محمد رشيد رضا: " ولمَّا كان أمر العقائد هو الأهم المقدَّم في الدين، وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، قُدِّمت السور المشتملة على محاجَّتهم بالتفصيل، ناسب أن يجيء بعدها ما فيه محاجَّة المشركين بالتفصيل وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها ".[1]

وقال في موضع آخر: " والأنعام مُعظمها؛ بل كلُّها في محاجَّة المشركين ".[2]

4-الراجح ووجه الترجيح:

وهذا يدلُّ عل صحَّة ما رجَّحه ابن عطيَّة بالسياق من أنَّ الآية في كفَّار ومشركي العرب.

-الآية رقم: 57-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾[الأنعام: 57]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: " وقال بعض المفسرين: الضمير في ﴿ بِهِۦٓ ﴾ عائد على ﴿ مَا ﴾ والمراد بها الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين، وقيل: **المراد بها العذاب، وهذا يترجَّح** بوجهين:

---

[1] تفسير المنار، (7 / 288).

[2] تفسير المنار، (7 / 289).

أحدهما من جهة المعنى وذلك أن قوله﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ يتضمَّن أنَّكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب إلاَّ أنَّه ليس عندي.

والآخر من جهة اللفظ وهو الاستعجال الذي لم يأت في القرآن استعجالهم إلاَّ للعذاب لأنَّ اقتراحهم بالآيات لم يكن باستعجال ".[1]

-الـــــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في ﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ على قولين ذكرهما ابن عطيَّة ولم ينسبهما:

-القول الأوَّل: الذي استعجلوا به هو الآيات التي كانوا يقترحونها، وهذا القول قاله الزجَّاج.[2]

-القول الثاني: أن الذي استعجلوا به هو العذاب، وهذا القول قاله ابن عباس والحسن.[3]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

أحدهما من جهة المعنى وذلك أن قوله﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ يتضمَّن أنَّكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب إلاَّ أنَّه ليس عندي. **والآخر من جهة اللفظ وهو الاستعجال** الذي لم يأت في القرآن استعجالهم إلاَّ للعذاب لأنَّ اقتراحهم بالآيات لم يكن باستعجال ".[4]

---

[1] المحرر الوجيز، (3 / 374-375).

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، (2 / 256).

[3] زاد المسير، (3 / 51)، النكت والعيون، (2 / 12)، الوسيط، (2 / 279).

[4] المحرر الوجيز، (3 / 374-375).

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

إستند ابن عطية في ترجيحه إلى السياق سباقا ولحاقا؛ فلفظة الاستعجال لحقت (ما) الموصولة فبيَّنت المراد بها، وهو العذاب، ثمَّ إنَّ السياق العام لاستعمال لفظة الاستعجال من الكفار إنما تكون لاستعجال العذاب ويدلُّ لذلك هذه الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود: 8].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾[الشورى: 18].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 54].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [يونس: 50 – 51].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: 16].

وقد ذهب إلى هذا القول جمع من المفسرين نذكر منهم:

1-ابن **جرير الطبري**: قال: " ما الذي تستعجلون به من نقم الله وعذابه بيدي ".[1]

2-**ابن كثير**: قال: " ﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: من العذاب ".[2]

3-**ابن أبي زمنين**: قال: "﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ من العذاب".[3]

4-**محمد الأمين الشنقيطي**: قال: " أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يخبر الكفار، أن تعجيل العذاب عليهم الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم ليس عنده، وإنما هو عند الله إن شاء عجله، وإن شاء أخره عنهم، ثم أمره أن يخبرهم بأنه لو كان عنده لعجله عليهم بقوله ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 58] ".[4]

5-**ابن عاشور** قال: " والمراد بـ"﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ العذاب المُتَوَعَّد به عبَّر بطريق الموصوليَّة لما تُنبئ به الصلة من كونه مؤخَّرا مدَّخرا لهم، وأنَّهم يستعجلونه وأنَّه واقع بهم لا محالة، لأنَّ التعجيل والتأخير حالَّان للأمر الواقع؛ فكان قوله"﴿ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ في نفسه وعيدا ".[5]

4-الراجح ووجه الترجيح:

فما ذهب إليه ابن عطية هو الراجح وذلك لما استدلَّ به من السياق من جهة المعنى سباقًا، ومن جهة استعمال لفظة الاستعجال لحاقًا.

---

[1] جامع البيان، (9 / 279).

[2] تفسير ابن كثير، (6 / 51).

[3] تفسير ابن أبي زمنين، (2 / 72).

[4] أضواء البيان، (228/2).

[5] التحرير والتنوير، (7 / 267-268).

-الآية رقم: 65-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: 65]

-نص موضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: " هذا إخبار يتضمَّن الوعيد، والأظهر من نسق الآيات أنَّ هذا الخطاب للكفَّار الذين تقدَّم ذكرهم، وهو مذهب الطبري، وقال أبيُّ بن كعب، وأبو العالية، وجماعة معهما: هي للمؤمنين وهم المراد، قال أُبيُّ بن كعب: هي أربع خلال وكلُّهنَّ عذاب وكلُّهنَّ واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم بخمس وعشرين سنة، لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض، واثنتان واقعتان لا محالة- الخسف والرجم، وقال الحسن بن أبي الحسن: بعضها للكفَّار وبعضها للمؤمنين، بعث العذاب من فوق وتحت للكفَّار وسائرها للمؤمنين، وهذا الاختلاف إنَّما هو بحسب ما يظهر من أنَّ الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين ".[1]

-الـــدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

[1] المحرر الوجيز، (3 / 382).

اختلف أهل التفسير فيمن عُنِيَ بهذا الخطاب الذي يتضمَّن الوعيد على ثلاثة أقوال:

-القول الأوَّل: الخطاب للكفَّار الذين تقدَّم ذكرهم في الآيات السابقة وهذا مروي عن الحسن[1] وهو قول الطبري[2]

-القول الثاني: الخطاب للمسلمين وهذا مروي عن ابن عباس، وأبيّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وأبي العالية، وقتادة[3] وهذا القول رجَّحَه القرطبي فقال: " وهو الصحيح، فإنَّه المشاهد في الوجود، فقد لبسنا العدوُّ في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا، واستباحة بعضنا أموال بعض، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ".[4]

-القول الثالث: أن هذه الآية بعض الخطاب فيها موجَّه للمشركين وبعضها للمسلمين، وهذا مروي عن الحسن[5] وقد ردَّ الألوسي هذا القول فقال: " ولا يخفى أنَّه تفكيك للنَّظم الكريم".[6]

وكذلك **ابن عاشور** قال: " ولا أنَّها تهديد للمشركين والمؤمنين، كما ذهب إليه بعض السَّلف،

إلا على معنى أنَّ مفادها غير الصريح صالح للفريقين لأنَّ قدرة الله على ذلك صالحة للفريقين، ولكن المعنى التهديدي غير مناسب للمسلمين هنا ".[7]

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1310)، تفسير ابن كثير، (6 / 58).

[2] جامع البيان، (9 / 308).

[3] جامع البيان، (9 / 301)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1310، رقم:7404)، الدر المنثور، (6 / 74)، درج الدرر، (1 / 613)، زاد المسير، (3 / 59)، النكت والعيون، (2 / 127)، الوسيط، (2 / 284).

[4] الجامع لأحكام القرآن، (8 / 415).

[5] جامع البيان، (9 / 308)، الدر المنثور، (6 / 85)، زاد المسير، (3 / 60).

[6] روح المعاني، (7 / 180).

[7] التحرير والتنوير، (7 / 285).

2-ترجيح ابن عطيَّة:

قال ابن عطيَّة: " والأظهر من نسق الآيات أنَّ هذا الخطاب للكفَّار الذين تقدَّم ذكرهم".[1]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

رجَّح ابن عطيَّة أن يكون الخطاب للكفار استنادا إلى السياق وتحديدا بالسباق وهو قوله تعالى

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 63-64]، ولا شك أنَّ هذه الآيات في المشركين فقد قال في تفسيرها: " هذا تماد في توبيخ العادلين بالله الأوثان، وتوقيفهم على سوء الفعل في عبادتهم الأصنام، وتركهم الذي ينجِّي من المهلكات، ويُلجَأ إليه في الشدائد ".[2]

وقد ذهب إلى هذا الترجيح جمع من المفسرين منهم:

1-ابن جرير: قال: " والصواب من القول عندي أن يقال: إنَّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان، وإيَّاهم خاطب بها؛ لأنَّها بين إخبار عنهم وخطاب لهم، وذلك أنَّها تتلوا قوله ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 63-64]،

[1] المحرر الوجيز، (3 / 382).

[2] المحرر الوجيز، (3 / 380).

ويتلوها قوله ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ [الأنعام: 66]، وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذِّبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بيِّنا أنَّ ذلك وعيد لمن تقدَّم وصف الله إيَّاه بالشرك، وتأخَّر الخبر عنه بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر ".[1]

فنلاحظ أنَّ ابن جرير رجَّح بالسياق سباقا ولحاقا، ورغم ترجيحه هذا إلا أنه ذكر أنَّ هذا الوعيد قد يعمُّ المشركين وغيرهم فقال: " غير أنَّ ذلك وإن كان كذلك، فإنَّه قد عمَّ وعيده بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها ".[2]

2-**ابن عاشور**: قال: " والمعنى قل للمشركين، فالمُخَاطب بضمائر الخطاب هم المشركون ".[3]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة وابن جرير وابن عاشور لدلالة السياق، ولاعتبار ضمائر الخطاب في النَّظم القرآني؛ لئلاَّ يتفكك السياق ويتنافر الكلام.

[1] جامع البيان، (9 / 308).
[2] جامع البيان، (9 / 308).
[3] التحرير والتنوير، (7 / 283).

-الآية رقم: 75-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: 75].

-نص مـــوضع الترجيح:

قال ابن عطيَّة: "وملكوت بمعنى: الملك، والعرب تقول: (لفلان ملكوت اليمن) أي: ملكه.

وقال الضحَّاك ومجاهد أيضا: إنَّ الإشارة ها هنا بملكوت السماوات هي إلى الكوكب والشمس والقمر... وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: جلَّى له الأمور سرَّها وعلانيتها

قوله عزوجلَّ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ [الأنعام: 76]، هذه الفاء في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا ﴾ رابطة جملة ما بعدها بما قبلها، وهي ترجِّحُ أنَّ المراد بالملكوت هو هذا التفصيل الذي في هذه الآية ".[1]

-الـدراســـة:

1-دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في المراد في الملكوت في الآية على خمسة أقوال:

القول الأوَّل: المراد بالملكوت: ملك السماوات والأرض، لأنَّ الملكوت بمنزلة الملك إلاَّ أنَّ الملكوت أبلغ في اللغة من الملك، لأنَّ الواو والتاء تُزادان للمبالغة، وهذا مرويٌّ عن عكرمة.[2]

---

[1] المحرر الوجيز، (3 / 400-401) باختصار.

[2] جامع البيان، (9 / 348)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1326، رقم: 7500)، معاني القرآن للزجَّاج، (2 / 265).

القول الثاني: المراد آيات السماوات والأرض، وهذا مروي عن مجاهد، وسعيد ابن جبير، والسديُّ، وإبراهيم النخعي.[1]

القول الثالث: المراد بالملكوت: خلق السماوات والأرض، وهذا مروي عن ابن عباس، وقتادة.[2]

القول الرابع: المراد بالملكوت: الشمس والقمر والنُّجوم، وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد، والضَّحَّاك.[3]

القول الخامس: المراد بملكوت السماوات: القمر والنُّجوم والشمس، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، وهذا مرويٌّ عن قتادة.[4]

2-ترجيح ابن عطيَّة:

رجَّح ابن عطيَّة بقوله:" قوله عزوجلَّ ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ** ﴾ [الأنعام:76]، هذه الفاء في قوله تعالى﴿ **فَلَمَّا** ﴾ رابطة جملة **ما بعدها بما قبلها**، وهي ترجِّحُ أنَّ المراد بالملكوت هو التفصيل الذي في هذه الآية ".[5]

3-دراسة ترجيح ابن عطية:

---

[1] جامع البيان، (9 / 349)، تفسيرابن أبي حاتم، (4 / 1326، رقم:7501، 7502، 7503)، معالم التنزيل، (3 / 158)، الدر المنثور، (6 / 104)، معاني القرآن للنحَّاس، (2 / 448)، الوسيط، (2 / 289)، روح المعاني، (7 / 197)

[2] جامع البيان، (9 / 347)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1326، رقم: 4799)، الدر المنثور، (6 / 103)، معالم التنزيل، (3 / 158)، النكت والعيون، (2 / 135).

[3] جامع البيان، (9 / 351)، النكت والعيون، (2 / 135).

[4] جامع البيان، (9 / 352)، تفسير ابن أبي حاتم، (4 / 1327، رقم: 7505)، معالم التنزيل، (3 / 159)، الوسيط، (2 / 289)، النكت والعيون، (2 / 135)، روح المعاني، (7 / 197).

[5] المحرر الوجيز، (3 / 400-401) باختصار.

رجَّح ابن عطيَّة أن يكون معنى الملكوت في الآية هو ما جاء بعد الفاء من قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ [الأنعام:76] ، ويكون المعنى ما رآه ابراهيم عليه الصلاة والسلام من الكوكب والقمر والشمس، واستند في ترجيحه إلى أنَّ هذه الفاء تربط ما بعدها بما قبلها، وهو قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ وهذا هو السياق.

قال **السمين الحلبي**: " قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ : يجوز أن تكون هذه الجملة نسقا على قوله﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ عطفا للتدليل على مدلوله، فيكون ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ معترضا كما تقدَّم، ويجوز أن تكون معطوفة على الجملة من قوله﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ".[1]

وقال الألوسي: " ...ويحتمل أن يكون(العطف) تفصيلا لما ذكر من إراءة الملكوت وبيانا لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله إلى رتبة الإيقان، والترتيب ذكري لتأخُّر التفصيل عن الإجمال في الذِّكر".[2]

وذهب **الزمخشري** إلى أن العطف هو على قوله تعالى﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ﴾ .[3]

وقد ردَّ هذا الترجيح **ابن عاشور**، وذهب مذْهَبَ ابنَ عطيّة فقال: " ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ تفريع على قوله﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بقرينة قوله ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ فإنَّ الكوكب من ملكوت السماوات، وقوله في المعطوف عليه﴿ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[1] الدر المصون، (5 / 8).

[2] روح المعاني، (7 / 198).

[3] الكشَّاف، (2 / 366).

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فهذه الرؤية الخاصَّة التي اهتدى بها إلى طريق عجيب في إبكات لقومه ملجئ إيَّاهم للاعتراف بفساد معتقدهم، هي فرع من تلك الإراءة التي عمَّت ملكوت السماوات والارض، لأنَّ العطف بالفاء يستدعي مزيد الاتصال بين المعطوف والمعطوف عليه لما في معنى الفاء من التفريع والتسبُّب، ولذلك نعُدُّ جَعْلَ الزمخشري﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ عطفا على ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ﴾، وجعله ما بينهما اعتراضا، غير رشيق ".[1]

4-الراجح ووجه الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه ابن عطية وابن عاشور لدلالة السياق عليه، ذلك السياق الذي أشارت إليه فاء العطف التي ربطت ما قبلها بما بعدها.

[1] التحرير والتنوير، (7 / 317).

الخـــــاتمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنني أحمد الله عز وجل عل أن وفقني ويسَّر لي إتمام هذا البحث الذي هو جولة متواضعة وجهد مقلٍّ محاولةً في خوض غِمار التعامل مع كتاب عظيم من كتب التفسير لصاحبه العلاَّمة الهمام ابن عطية الأندلسي؛ ألا وهو كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" الذى سخَّر له مؤلِّفه نَفْسه وأوقاته لِيُخرج لبنة عظيمة في بناء صرح علم التفسير وخدمة كلام رب العالمين من أجل بيان معانيه، وإبراز الهدايات التي فيه، وقد اعتنى هذا البحث بالتنقيب عن درَّةٍ من درر ابن عطية التي وظَّفها في تفسيره استنباطا، واستدلالا، وترجيحا، ألا وهي دلالة السياق، وما هذا البحث إلا محاولة لكشف الستار عن هذه الدِّلالة، ومحاولةً للإجابة عن بعض التساؤلات التي طُرحت في المقدِّمة لغرض إزاحة الغبار عنها ولو نسبيًّا فقد توصل الطالب إلى مجموعة من النتائج تمخضَّت عن هذه الجولة المتواضعة وأردفها ببعض التوصيات.

فمن النتائج المُتَوصَّل إليها:

1-إعتناء ابن عطية بدلالة السياق في تفسيره في جانبها الترجيحي بين أقوال المفسرين وكان منهجه في توظيفها متنوعا؛ حيث أنَّه يحكِّم السياق في الترجيح بأنواعه؛ فتارة يرجِّح بالسباق، وتارة باللحاق، وتارة بهما جميعا.

3-تعددت مصطلحات ابن عطية في بيان الراجح بالسياق، فتارة يقول (وهذا هو الراجح)، وتارة يقول (وهذا هو المترجح)، و(وهو الأظهر)، (وهذا هو الصحيح)، (وهذا هو الصواب)، (وتناسق هذه الآية على التي قبلها)، (وهذا عندي هو القول الأرجح) و(ظاهر ما قبل وما بعد)، (ويؤيِّد ذلك ما تقدم)، (وهذا ظاهر واضح جار على مقتضى الكلام).

4-تعدَّدت طرق ابن عطية في التنصيص على مواضع الترجيح بالسياق، فقد اتَّسمت طُرق تنصيصه على الراجح بالتنوّع مما يدلُّ على أهمية دلالة السياق عنده وضرورة جعلها منهج تتباعي في تفسير القرآن الكريم؛ سواء في بداية تفسير الآية، أو في ثناها، أو بعد الشروع في تفسير ما يليها من الآيات فكان منهجه غنيًّا بخلاف غيرِه ممن اعتنى بهذه الدلالة في الترجيح ويمكن أن نجمله في الآتي:

أ-التنصيص على الترجيح في بداية حكايته لخلاف المفسِّرين في الآية.

ب-ذكر القول الراجح أوَّلا مستندا إلى السياق، ثم يُتبع أقوال المفسِّرين في الآية.

ج-حكاية الخلاف في الآية ثم يرجئ التنصيص على الترجيح حتى شروعه في تفسير الآيات اللاحقة فيقول (وهذه الآية دليل على أن الراجح ما تقدم).

5-إعتناء ابن عطية بدلالة السياق في الترجيح وقبله ابن جرير الطبري؛ يدل على أن لعلماء التفسير الأوائل اعتناء كبير بدلالة السياق كآلية من آليات الترجيح لا يمكن الاستغناء عنها؛ بل هي دلالة لها موقعها كمنهج متكامل لا محيد عنه في فهم النص القرآني.

6-توافق ترجيحات ابن عطية في كثير من الأحيان مع ما يرجِّحه ابن جرير بالسياق؛ يدل على مدى ارتباط علماء التفسير بالاستفادة من بعضهم البعض بإظهار أهمية هذه الدلالة في التطبيق، وهو نوع من التوريث بينهم والتنويه بشأن ذلك وتسليط الضوء على أهميَّة السياق في التطبيق الترجيحي؛ ثم إنَّ اعتناء ابن جرير وابن كثير وابن عطية وأبو حيان بالسياق توظيفا في الاستنباط والترجيح وهم الجهابذة في علوم اللغة والقراءات والحديث؛ يدلُّ على أنَّ دلالة السياق موروث حضاري أصيل تركه أسلافنا مضبوطا بضوابط في الاستدلال المتمثلة في النقل الصحيح والعقل الصريح، وأنَّ هذا ليس حكرا على المُحدَثين والمعاصرين بل هو قاعدة أصيلة منذ القدم عند علماء التفسير.

أما عن التوصيات في هذا الموضوع فتتمثل في:

1-أهمية ربط الباحثين من الناحية التطبيقية التأصيلية بكتب المفسِّرين القدماء ذوو التوجُّه التفسيري المنضبط بقواعد اللغة ونصوص الوحيَيْن؛ بغية الكشف والتنقيب عن قواعد الترجيح المؤصَّلة عندهم وبالتالي ضبط علم التفسير وصيانته عن كل دخيل؛ حيث أنَّ علم التفسير قد تجرَّأ عليه كل من لا باع له فيه؛ فنتج عن ذلك الخلط في التفسير والذي ينتج عنه الحطُّ من قيمة كلام رب العالمين.

2-أهمية الاعتناء بدلالات الترجيح المؤصَّلة والمبثوثة في كتب التفسير واستخراجها وإفرادها في بحوث مستقلة لحصرها وتطبيقها، محاولةً في التقليل من الخلاف في علم التفسير وحسم مادته وتخليصه مما شابه من آراء شاذة ومخالفة لصريح ظاهر القرآن وحتى ما لا يمكن أن تتصوره العقول، ذلك الخلاف الذي هو في بعض الأحيان ليس بخلافٍ ولكن عند من لا حظَّ له من النظر يجعله خلافا ويتخذ من ظنِّه هذا مطية للطعن في القرآن والتشكيك في إعجازه، والتزهيد في حجيَّته والتنفير من حِكمه وأحكامه.

3-ضرورة اعتناء جامعات العلوم الإسلامية بتدريس مقياس (المنهج التطبيقي لعلماء التفسير في الترجيح) للتنقيب عن قواعدهم وجعلها قاعدة للانطلاق في بناء صرح علم الترجيح التفسير.

وفي الأخير أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والحمد لله رب العالمين.

الفهـــــارس العـامـــة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فـهرس الآيـــات القـرآنية

طرف الآية ورقمها	رقم الصفحة
سورة البقرة	
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾08	81
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ 10	81
﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾18	87
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ ﴾ 21	91
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ 24،23	91
﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ 27	96
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ ﴾28	102
﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ 30	147
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ 40	100
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ ﴾ 79،78	106
﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ 80	113
﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ 81	112-111

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾82 111

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ﴾84 116-115

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ 85 117-114

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ 86 115

﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ 120 120

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ ﴾ 121 118

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ ﴾ 146 73

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ 159 124-123

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾161 126-125

﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم ﴾ 251 129

﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ 253 130-129

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا ﴾ 254 130

﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ 254 127

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ 264 134-133

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ ﴾ 266 136-133 -132-131

﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ ﴾ 269 74

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ 281 138

آل عمران

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾31 67

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا ﴾ 33 150

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ 35 147

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ ﴾ 41 147-142

﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾42 147

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ ﴾44 150

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ 72 192-191

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾142 154

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ ﴾ 144 153

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ 146 151

﴿ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ 170 57

﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ ﴾ 181 157

﴿ وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ 195 153

سورة النساء

﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ 06 73-72

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ 11 166

﴿ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ ﴾ 33 164

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ 37 72

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾38 72

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ 60 177

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ 77 173

﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ 78 175

﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ 89 177

﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ ﴾ 97 181-179

﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾100 185

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ﴾ 103 183

﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا ﴾ 117 186

﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ 118-119 188-189

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ 136 193

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ ﴾ 137 189-193

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ 138 190

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ 141 59

سورة المائدة

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ 03 195-196

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ 11 199

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ 12 203

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ 41 205

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ 43 207

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ 109 213-214

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ 116 211-215

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ 118 210

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ 119-120 212

سورة الأنعام

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ 1 219

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ 9 218

﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ ﴾ 26 69

﴿ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ 57 221

﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ ﴾ 58 224

﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ 63-64 227-70

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ 65 225-70

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ 66 228-70

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ﴾ 74 232

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ 75 229

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ 76 229

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ 91 67

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ 115 75

سورة الأعراف

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ 44 215

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ 163 61

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ 172 97

سورة الأنفال

﴿ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ 75 166

سورة التوبة

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ 33 197

سورة يونس

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ 31 63-62

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ 50-51 223

سورة هود

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ 8 223

إبراهيم

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ 34 110

الحجر

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ 47 71

الإسراء

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ 23 74

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ 26 74-73

الكهف

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ 22 49

﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ﴾ 29 112

﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا ﴾ 52 76-75

الأنبياء

﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ ﴾ 44 76

المؤمنون

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ 60 59

النمل

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ 90 110

العنكبوت

﴿ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ 54 223

الأحزاب

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ﴾ 37 161

سبأ

﴿ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ 14 53

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ 24 62

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾ 51 213

الصافات

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ 143 146

ص

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ 16 223

الشورى

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ ﴾ 18 223

الزخرف

﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ 32 74

المنافقون

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ 1-2 84

فهـرس الأحــاديث والآثـار

طرف الحديث والأثر	مصدره	الصفحة
أرأيت قول الله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	تفسير ابن جرير	59
إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون	صحيح مسلم	197
ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه	صحيح البخاري	123
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية	سنن الترمذي	59
عن ابن جريج قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾	تفسير ابن جرير	128
قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي	صحيح البخاري	136
كان المهاجرون حين قدموا المدينة	صحيح البخاري	166
لا حلف في الإسلام	صحيح مسلم	168
لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله	سنن الترمذي	145
مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهوديٍّ محمَّمًا	صحيح مسلم	209
هو الرجل يلعن صاحبه	شعب الإيمان	124
يا نبي الله إنا كنَّا في عزٍّ	سنن النسائي	178

فهـرس الأعـــــلام

العلـــم	رقم الصفحة
ابن أبي زمنين	126
ابن الجزري	81
ابن الجوزي	134
ابن الخطيب	34
ابن العربي	165
ابن القيم	64
ابن تيمية	35
ابن جرير الطبري	48
ابن جزي	34
ابن خالويه	82
ابن سعدي	64
ابن عطية الأندلسي	14
ابن فورك	92
ابن كثير	72
أبو الليث السمرقندي	119
أبو حيان	35
أحمد ابن الربيب	16

إسماعيل الشقندي	17
الأصم	130
الألوسي	94
الآمدي	47
البقاعي	74
البيضاوي	139
الذهبي	15
الرازي	160
الراغب الأصفهاني	146
الزجاج	131
الزركشي	43
السمعاني	144
السمين الحلبي	105
السيوطي	122
الشاطبي	45
الشوكاني	73
الصفدي	23
الضبي	15
عبد الرحمان الثعالبي	38

العز بن عبد السلام	48
العكبري	148
الفارسي	115
القاسمي	172
القرطبي	37
القسطلاني	81
القونوي	139
الكفوي	57
الماوردي	119
محمد الأمين الشنقيطي	75
محمد الطاهر ابن عاشور	46
محمد بن صالح العثيمين	146
محمد حسين الذهبي	27
محمد رشيد رضا	219
المهدوي	175

-قائمة المصـــادر والمراجـــع-

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم-

أ

- الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، (1434هـ-2013م.
- الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير مناقشة، جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة 1416هـ، دار الوطن للنشر، (د،ت).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: 1395هـ/1975م.
- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة – الرياض -، الطبعة الأولى: (1421هـ/2000م).
- أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان لابن جرير، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، تأليف: حسن بن محمَّد شبالة البلوط، جامعة أم القرى، سنة:1419هـ.

- أسباب النزول، تأليف: علي بن أحمد الواحدي، عالم الكتب-بيروت-(دط)، (دت).
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تأليف: عز الدين بن عبد السلام، المطبعة العامرة، 1313هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد المين الشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د،ت).
- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر،2002م.
- أقوال المفسرين-توجيهها ومسالك التوفيق بينها-، تأليف: حسين بن علي الحربي، دار كنوز إشبيليا –الرياض-الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م
- الإكليل في استنباط التنزيل، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1401هـ-1981م.
- الإمام في بيان أدلة الأحكام، تأليف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دراسة وتحقيق: رسالة ماجستير للطالب رضوان مختار بن غربية، جامعة أم القرى، 1404هـ/1984م.

ب

- البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثاية،1413 هـ-1992م.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، تأليف: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة: 1419هـ.
- بدائع الفوائد، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (دط)، (دت)
- البرهان في أصول الفقه، تأليف: أبي المعالي الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، دار الأنصار -القاهرة-، دط، دت.
- البرهان في علوم القرآن، تأليف: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة-(دط)، (دت).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف: أحمد بن يحي أبو جعفر الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى: 1410هـ-1689م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م.
- البهجة في شرح التحفة، تأليف: علي ابن عبد السلام التسولي، ضبط وتصحيح محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى:1418هـ-1998م.

ت

- تاج العروس من جوهر القاموس، تأليف: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة التراث العربي، وزارة الإرشاد والنباء بالكويت،138هـ/1965م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1417هـ-1997 م.
- التبيان في إعراب القرآن، تأليف: أبو البقاء العكبري، طبعة بيت الأفكار الدولية، (دت).
- التحرير والتنوير، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، طبعة سنة 1984م.
- تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، (دط)، (دت).
- التسهيل لعلوم التنزيل: تأليف: ابن جزي الكلبي المالكي، ضبطه وصحَّحه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م.
- تفسير البحر المحيط، تأليف: أبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان –، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م.

- تفسير السمرقندي، تأليف: أبي الليث السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.
- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين المعروف ب(تفسير ابن ابي حاتم)، تأليف :ابن أبي حاتم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة = الرياض، الطبعة الأولى : 1417- 1997 م.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: ابن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: (1423هـ-2002م).
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: الحافظ عماد الدين ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى:142هـ/2000م.
- تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة: 1435هـ.
- تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (1418هـ-1997م.
- التفسير الكبير، تأليف: فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى:(1401هـ-1981م.

- تفسير المنار، تأليف: محمَّد رشيد رضا، دار المنار، الطبعة الثالثة: 1367هـ.
- تفسير عبد ابن حميد وهو ضمن: قطعة من تفسير الإمام عبد ابن حميد، اعتناء مخلف بنيه العرف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى:1425هـ، 2004م- - تتمة الأعلام، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الثانية: 1422هـ/2002م.
- التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة – القاهرة–الطبعة السابعة.
- تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1387هـ/ 1967م، ج14، ص66.
- تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، (دط)، (دت).

ج

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الطبعة الأولى: 1422هـ، 2001م.
- الجامع الصحيح، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى: 1422هـ.

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد ابن احمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1427هـ/2006م).
- الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمَّد خير الأنام، تأليف: ابن قيِّم الجوزيَّة، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف (بتفسير الثعالبي)، تأليف: عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة: الأولى، سنة: 141هـ/1997م.

ح

- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان-الطبعة الأولى:1422هـ.
- الحجة في القراءات السبع، تأليف: ابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثالثة:1399هـ/1979م.

- الحجة للقرَّاء السبعة، تأليف: أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويبالي، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ/ 1984م.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تأليف: زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، دارا لفكر المعاصر، بيروت – لبنان–الطبعة الأولى:1411هـ–1991م

د

- الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين، تأليف: عصام ابن عبد المنعم، دار البصيرة–الاسكندرية–طبعة:2003.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، دط، دت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى: 1424هـ–2003م.
- درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، تأليف: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: طلعت فرحات، محمد أديب شكور، دار الفكر، الطبعة الأولى: –1430هـ/2009م.
- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، الباحث: أحمد فلاح المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007.

- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، تأليف: محمد إقبال عروي، روافد- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –الكويت-الطبعة الأولى 1428هـ-2007م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان الطبعة الأولى،1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبد الرحمان ابن خلدون، دار الفكر، بيروت –لبنان-طبعة: 1431هـ - 2001م.

ذ

- الذخيرة، تأليف: القرافي، تحقيق: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1994م.

ر

- الرسالة، تأليف: محمد ابن إدريس الشافعي، تحيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية-بيروت-(دط)، (دت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، (دط)، (دت).

ز

- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: ابن الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي لزهير الشاويش، الطبعة الثالثة: 1404هـ-1984م.

س

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، طبعة: 1415هـ/1995م.
- سنن ابن ماجة، تأليف: محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، (دت).
- سنن أبي داود، تأليف: سليمان ابن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية، (دط)، (دت).
- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية: 1397هـ/1977م.
- السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، إشراف شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى: 1421هـ/2001م.
- السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن علي البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، 1344هـ.
- السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمان عبد الله المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – السعودية-1429هـ/2008م.

- السياق القرآني ودلالته في التفسير، الباحث: العربي نقوب، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، 2009-2010.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م.

ش

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، (دط)، (دت).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى: (1414هـ-1993م).
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تأليف: ابن الجزري، ضبط وتعليق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية –بيروت–، الطبعة الثانية: 1420هـ/200م.

ص

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف على الطبع : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: 1408هـ/1988م.
- الصحيح المسند من أسباب النزول، تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، الطبعة السابعة:1430هـ-2009م.

- صحيح مسلم، تأليف: أبي الحسن مسلم بن الحجاج، اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، طبعة: 1419هـ/1998م.

ض

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد ابن عبد الرحمان السخاوي، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى:1412هـ/1992م.

ط

- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1417هـ/1997م.

ف

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة –بيروت–الطبعة الرابعة: 1428هـ/2007م.
- فهرس ابن عطية، تأليف: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية: 1983.

ق

- القاموس المحيط: تأليف: الفيروز آبادي، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، طبعة: 1431هـ/2010م.
- قلائد القيعان ومحاسن الأعيان، تأليف: أبو نصر الفتح الإشبيلي الشهير بابن خاقان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى:1409هـ-1989م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، تأليف: حسين بن علي الحربي، راجعه: مناع بن خليل القطان، دار القاسم – الرياض-الطبعة الأولى: 1417هـ/1996م.

ك

- الكليات، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1419هـ/1998م.

ل

- لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السوطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، طبعة: 1426هـ-2006م.
- اللباب في علوم الكتاب، تأليف: ابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى:(1419هـ-1998م.
- لسان العرب، تأليف: ابن منظور، دارالمعارف – القاهرة – دط، دت.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، 1406هـ – 1986م.

- لطائف الإشارات لفنون القراءات، تأليف: أحمد بن محمد القسطلَّاني، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، طبعة: (1434هـ).

م

- مجموعة الفتاوى، تأليف: تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء–مصر–الطبعة الثالثة: 1426هـ–2005م.
- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى:1376هـ–1957م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية–دولة قطر–، مطابع دار الخير: سوريا ولبنان، الطبعة الثانية، 1428هـ/2007م.
- المحصول في علم أصول الفقه، تأليف: فخر الدين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، دط، دت،.
- المستدرك على الصحيحين، تأليف: الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، إشرف يوسف عبد الرحمان المرعشلين طبعة دار المعرفة، (دت).

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، عامر غضبان، مؤسسة الرسالة: الطبعة: الأولى: 1419هـ/1999م.
- مشاهير علماء نجد، تأليف: عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة الثانية سنة: (1394هـ).
- مصنَّف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، شركة دار القبلة، الطبعة الأولى:1427هـ، 2006م.
- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م.
- معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي، دار صادر –بيروت–، طبعة:1397هـ، 1977م،
- معجم التعريفات: تأليف: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة–(دط)، (دت).
- معجم مفردات ألفاظ القرآن، تأليف: الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني، الملقب بالراغب الأصفهاني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، (دط)، 1432هـ/2010م.
- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبو الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة 139هـ/1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، (د،ط)، (د،ت).

- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، تأليف: عبد الوهاب فايد، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة: 1393هـ/ 1973م.
- الموافقات، تأليف: أبو إسحاق الشاطبي، ضبط وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، -السعودية-الطبعة الأولى:1417هـ-1997م.

ن

- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: أبو بكر بن العربي، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية-مصر-، (د،ت).
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء، تأليف: أبي جعفر النحاس، تحقيق: سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:1412هـ-1991م.
- النسخ في القرآن، تأليف: مصطفى زيد، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: (1408هـ-1987).
- النشر في القراءات العشر، تأليف: ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (دط)، (دت).
- نظرية السياق القرآني، تأليف: المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل، طبعة1، 2008.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ/1995م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (دط)، 1388هـ.
- النكت والعيون، تأليف: الماوردي، راجعه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ط)، (د،ت).
- النهاية في غريب الأثر، تأليف: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، طبعة: 1399هـ/1979م.

هـ

- هذه مفاهيمنا، تأليف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، طبعة إدارة المساجد والمشاريع الخيرية–الرياض–الطبعة: الثانية 1422هـ–2001م.

و

- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:1420هـ–2000م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى:(1415هـ–1994م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1971م.

فـهـرس الموضوعـــات

- **إهـــداء**
- **شـــكر**

مقـدمة.....**أ–س**

مدخـــل: في الترجمة لابن عطية وكتابه المحرر الوجيز..... 13

المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن عطية.....14

تمهيـــــــد:.....14

المطلب الأول: اسمه ونسبه.....14

الفرع الأوَّل: اسمه:.....14

الفرع الثاني: نسبه.....15

المطلب الثاني: مولده:.....15

المطلب الثالث: نشأته العلمية.....15

الفرع الأول: البيئة الزمانية والمكانية.....16

الفرع الثاني: القدرات الشخصية.....17

الفرع الثالث: شيوخه.....18

المطلب الرابع: أشهر تلاميذه.....20

المطلب الخامس: مكانته العلمية.....21

المطلب السادس: مؤلفـــاتـه.....22

المطلب السابع: وفـــــاتــه.....25

المبحث الثاني: **التعريف بتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية** 26

تمهيـــــــــد:.....26

المطلب الأول: التصنيف العام لتفسير ابن عطيَّة.....26

المطلب الثاني: مصادر ابن عطية في تفسيره.....28

المطلب الثالث: منهج ابن عطية في تفسيره من خلال مقدمته.....31

الفرع الأول: سبب تأليف الكتاب.....31

الفرع الثاني: الأسس المنهجية التي سار عليها ابن عطية في تفسيره وبيَّنها في مقدمته.....32

المطلب الرابع: مكانة تفسير ابن عطية بين العلماء وإفادتهم منه.....33

الفرع الأول: مكانة تفسير ابن عطية بين العلماء وثناؤهم عليه.....34

الفرع الثاني: تأثير تفسير ابن عطية في مناهج المفسرين بعده.....37

الفصل الأول: معالـــــم ومفاهيـــم تأصيليَّة في الترجيح والسيـــاق والدلالـــة.....39

تمهيـــــــد:.....40

المبحث الأول: مفهوم الترجيح وأهميَّته.....40

تمهيـــــــد:.....40

المطلب الأول: الترجيح لغة.....40

المطلب الثاني: الترجيح اصطلاحا.....42

المطلب الثالث: أهميَّة الترجيح.....44

المطلب الرابع: الترجيح وتقديم الأولى:.....50

الفرع الأول: تقديم الأولى:.....50

الفرع الثاني: الترجيح:.....50

المبحث الثاني: مفهـوم الدلالـــــة.....51

تهيـــــــد: 51

المطلب الأول: الدلالة لغة:.....51

المطلب الثاني: الدلالة اصطلاحا: 52

المبحث الثالث: مفهـــوم السيـــــاق.....54

تمهيـــــــد:.....54

المطلب الأوَّل: السياق لغة:.....54

المطلب الثاني: السياق اصطلاحا:.....55

المطلب الثالث: مفهوم السباق واللحاق والعلاقة بينهما:.....57

الفرع الأول: مفهوم السباق.....57

الفرع الثاني: مفهوم اللحاق.....57

الفرع الثالث: العلاقة بين(السياق)، والسباق، و(اللحاق).....57

المبحث الرابع: أهميَّـة السيـاق ودلالتـه علـى الترجيح.....58

تمهيـــــد: 58

المطلب الأوَّل: بيان أهميَّة السياق.....58

المطلب الثاني: السياق ودلالته على الترجيح.....65

الفرع الأول: ضوابط الترجيح بدلالة السياق.....65

الفرع الثاني: اعتماد المفسرين على دلالة السياق في الترجيح.....68

الفرع الثالث: تطبيقات المفسرين لدلالة السياق في الترجيح.....69

الفصـل الثـاني: الجانب التطبيقي في الترجيح بالسياق عند ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز.....79

تمهيـــــد: 79

المبحـث الأول: ما رجَّـح فيه ابن عطية بالسيـاق في سـورة البقـرة.....79

تمهيـــــد: 79

-الآية: رقم:10: دلالة السياق على الراجح من القراءتين في الآية.....80

-الآية: رقم:18:بيان السياق للمعنى الراجح لنفي الرجوع المذكور في الآية.....87

-الآية: رقم:21: الترجيح بالسياق في بيان المقصود بالخطاب والنداء في الآية.....91

-الآية: رقم:27: الترجيح بالسياق في بيان معنى العهد الآية.....96

-**الآية: رقم: 28**: الترجيح بالسياق في بيان ترتيب الموتتين والحياتين في الآية.....102

-**الآية: رقم: 79**: الترجيح بالسياق في بيان من وجّه إليهم الكتب والتبديل في الآية.....106

-**الآية رقم: 81**:الترجيح بالسياق في بيان معنى السيئة والخطيئة في الآية.....110

-**الآية رقم: 85**:بيان السياق للراجح من القراءتين في الآية.....114

-**الآية رقم:121**:الترجيح بالسياق فيما يعود عليه الضمير في قوله تعالى﴿بِهِۦ﴾.....118

-**الآية رقم: 159**:الترجيح بالسياق في بيان اللاعنِين في الآية.....123

-**الآية رقم: 254**: الترجيح بالسياق في بيان نوع الانفاق المذكور في الآية.....127

-**الآية رقم: 266**:الترجيح بالسياق في بيان المثل المضروب فيها.....131

-**الآية رقم: 281**: الترجيح بالسياق في المقصود باليوم الـمُحَذَّر منه في الآية.....138

المبحث الثاني: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة آل عمران.....141

- تمهيـــــــد: 141

-**الآية رقم: 41**: الترجيح بالسياق لمعنى التسبيح في الآية.....142

-**الآية رقم: 42**:الترجيح بالسياق في بيان العامل في (إذ) في الآية.....147

-**الآية رقم:146**:الترجيح بالسياق في مستند الفعل (قاتل) في الآية.....151

-**الآية رقم: 181**:الترجيح بالسياق في سبب نزول الآية.....157

المبحث الثالث: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة النساء.....163

- تمهيـــــــد: 163

-**الآية رقم: 33**: الترجيح بالسياق في بيان المراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ في الآية.....164

-**الآية رقم: 77**: الترجيح بالسياق في بيان المُعَيَّنِين بالخطاب في الآية.....173

-**الآية: رقم: 100**: الترجيح بالسياق في بيان معنى السَّعة في الآية.....179

-**الآية رقم: 103**: الترجيح بالسياق في بيان معنى القضاء في الآية.....183

-**الآية رقم: 117**: الترجيح بالسياق في بيان المراد بالشيطان في الآية.....186

-**الآية رقم: 137**: الترجيح بالسياق في بيان القوم المخاطبين في الآية.....189

المبحث الرابع: ما رجَّح فيه ابن عطية بالسياق في سورة المائدة.....194

- تمهيـــــــد: 194

-**الآية رقم: 03**: الترجيح بالسياق في بيان معنى اليأس في الآية.....195

-**الآية رقم: 11**: الترجيح بالسياق في بيان سبب نزول الآية.....199

-**الآية رقم: 41**: الترجيح بالسياق في بيان المسارعين بالكفر في الآية.....205

-**الآية رقم: 118**: الترجيح بالسياق في بيان قول عيسى وتوقيفه المذكور في الآية.....210

المبحث الرابع: ما رجح فيه ابن عطية بالسياق في سورة الأنعام.....216

- تمهيـــــــد: 216

-**الآية رقم: 09**: الترجيح بالسياق في بيان المقصودين بالخطاب في الآية.....218

الآية رقم:57: الترجيح بالسياق في بيان عائد الضمير في قوله تعالى ﴿بِهِۦ﴾.....221

الآية رقم: 65: الترجيح بالسياق في بيان المخاطبين بـالآية.....225

الآية رقم: 75: الترجيح بالسياق في بيان معنى الملكوت في الآية.....229

خـــــــــــاتمة.....234

الفهارس العامة.....238

أولا: فهرس الآيات القرآنية.....239

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار.....249

ثالثا: فهرس الأعلام.....250

رابعا: قائمة المصادر والمراجع.....253

خامسا: فهرس الموضوعات.....270

ملخص البحث باللغة العربية.....276

ملخص البحث باللغة الإنجليزية.....278

ملخص البحث

يعتبر هذا البحث دراسة تطبيقية على تفسير ابن عطية الأندلسي؛ المسمى بـ" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" وكان محل الدراسة فيه على وجه الخصوص؛ دلالة السياق؛ وذلك أنَّ ابنَ عطية الأندلسي وظَّف هذه الدلالة كآلية للترجيح بين الأقوال التفسيرية؛ لبيان الراجح منها؛ وردِّ المرجوح والضَّعيف منها؛ فأردت بهذا البحث أن أجمع ما رجَّح فيه ابن عطية بدلالة السياق من بداية سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام، فخرج عنوان البحث كالآتي:

" الترجيح بدلالة عند ابن عطية في تفسيره من بداية سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام –جمعا ودراسة–".

وقد بدأت هذا البحث بفصل تمهيدي، تناولت فيه ترجمة لابن عطية وكتابه المحرر الوجيز، ثمَّ أتبعت ذلك بفصل سميته: " **معالم ومفاهيم تأصيلية في الترجيح والسياق والدلالة**"، بيَّنْت فيه مفهوم الترجيح وأهميته، ومفهوم الدلالة، ومفهوم السياق القرآني، وكذلك دلالة السياق وأهميتها في الترجيح، هذا فيما يخص الجانب التأصيلي للسياق وأهميته في الترجيح.

أمَّا الجانب التطبيقي والذي كان التركيز عليه في هذا البحث؛ فقد تَتَبَّعت المواضع التي رجَّح فيها ابن عطية بالسياق في كلٍّ من سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، حيث ذكرت الآية من كل سورة وجعلتها محل الدراسة.

فذكرت نصَّ موضع الترجيح من تفسير ابن عطية، ثم جعلت دراسةً للأقوال التي ذكرها؛ من حيث ذكر مصدرها ومن قال بها سواء من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم ممن اشتهرت أقوالهم في التفسير، ثم ذكرت ترجيحَ ابن عطية مردفا ذلك بدراسة لهذا الترجيح؛ من حيث وجه الشاهد، ونوع السياق المستعمل سباقًا أو لحاقًا، أو كلاهما، ثم قارنته مع ترجيحات من سبقه من المفسِّرين المعتنيين بالسياق كابن جرير، أو من جاء بعده كأبي حيان، والقرطبي، وابن عاشور، والشنقيطي.

ثم ختمت دراسة الآية بمحاولة بيانِ الراجح في المسألة، ووجه الترجيح في ذلك معتمدا في ذلك على ما قوي من الأدلة وظهر في الاستدلال في الترجيح.

Summary Search

The thesis consider as a pratical research about Tafsir Ibn Atia – constructive of Koran- what is named: ALMOHARAR OUA ALWAJIZ FI TAFSIR ALKITEB AGAZIZ.

The special subject treated in this thesis is meaning of context (what comes before and after a word) because Ibn Atia used this styl as a way of chances between the defferent opinion and to chose the right one.

I will in this work to collect the sites where Ibn Atia used the context for his chosen from bigin of Al-Baqarah to last of Al-an'am and i will study and analysis it . after that i give it a name as:

weighing with context at Tafsir Ibn Atia from bigin of Al-Baqarah to last of Al-an'am.-Collecting and treating-

First i begin with a preface contain biography of Alimam Ibn Atia and a few informations about his tafsir. Than i put a section named: marks and signs in weighing and context and meaning. I give in a difinition of weighing and a kind of context and meaning and there importances. This in the theoric side.

In the pratical side where i fix my study; i already track the chances of Ibn Atia with context in surat AL-BAQARA , AL-E-IMRAN, AN-NISA, AL-MAEDA, AL-ANAAM. At each site i copy the verses than i study every opinion (its sourse, and who say it from AS-SAHABA and who came after them) , then i copy chances of Ibn Atia with a face of affirmation and with exemple and which kind of context he used , than i compare it with Chances of IBN JARIR, and ABI HAYANE and AL-KORTOBI and IBN-ACHOR and A-CHANKITI.

Then, i ended the study of each verse with the right Chances granted and confirmed by proof.

In conclusion, i put the research results .